جامعة الدول العربية
معهد الدراسات العربية العالية

محاضرات
عن
الشعر العراقي الحديث

ألقاها
الأستاذ
عبد الكريم الدجيلي

﴿ على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ﴾

١٩٥٩

١٩٥٩

الشعر العراقى الحديث

جامعة الدول العربية
معهد الدراسات العربية العالية

محاضرات
عن
الشعر العراقي الحديث

ألقاها
الأستاذ
عبد الكريم الدجيلي
(على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية)

١٩٥٩

١٩٥٩

كلمة لابد منها

وبعد الحمد فقد تفضل معهد الدراسات العربية العالية ، لجامعة الدول العربية، ودعاني لالقاء بضع محاضرات في الشعر العراقي الحديث، على طلابه: — القسم الأدبي — فلبيت هذه الدعوة شاكراً للمعهد رعايته وعنايته بهذا الجانب الأدبي من العراق ، لأن هذا الموضوع لم يخرج فيه كتاب يشمل جميع جوانبه ، اللهم إلا بعض المقالات التي لا غنى فيها لباحث .

لقد رافقتُ هذه الحقبة الأدبية من يوم ولادتها ، وسبرت هذه النهضة الفكرية بعد أن وعيتُ غالب ما قيل فيها . وعلى الرغم من ضيق الوقت الذي اكتنف هذه الدعوة ، وتتابع الاحداث العنيفة التي طوحت بالحكم الاستعماري في العراق فإني قد سجلت هذه الحقبة الأدبية ، بكل جوانبها وأطرافها ، ولكن بشكل مضغوط وموجز ، ولعلها تكون نواة لكتاب موسع شامل لكل جوانب هذه الفترة الأدبية .

كما حرصتُ أن أكشف من هذا الموضوع جانبه العام ، وأترك الجانب الفردي من الشاعر ، وهو وإن كان يعطينا صوراً عن وجهة نظره ، في بعض الأحوال الفردية . إلا أنني أهملتها إلى ما هو أوسع دائرة ، وأبعد مجالاً لتتجلى هذه الحقبة للشعر العراقي الحديث لمن يريد أن يتلمسها في إطارها العام لا الخاص الذي تكتنفه الفردية والمحلية في أغلب الأحيان وعلى اكثر الأوقات .

وقد اعتبرتُ رائد الشعر الحديث في العراق ، وطليعته من جانب الأخيلة والاساليب هو الشاعر المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي النجفي . فديوانه — لمن سبره — خير دليل على صدق هذا المدعى . فجميع شعره — المنشور وغير المنشور — مشرق الأساليب طريّ الاخيلة ، تقبل عليه

النفس لجريه على الطبيعة ولأنه لا تعقيد فيه ولا تـكلّـف ، كما انه الحد الفاصل فى نظرى بين الفترة المظلمة ، والنهضة الحديثة للشعر العراقى .

كما جعلت الاستاذ الـكبير محمد مهدى الجواهرى انموذجاً للشعر الحديث فى العراق ، وختمت هذه الدراسة بمزيد من ألوانه الأدبية فى مختلف المراحل. فقد سجل الجواهرى بشعره هذه المرحلة من تاريخ العراق الحديث بـكل ما فيها ، وصورها وأبدع فى تصويرها . فقد طلع على الناس بقصيدة سنة ١٩٢٠ فى الثورة التى كانت ضد الحـكم الاستعمارى البريطانى فى العراق والتى استغلت للحكم العربى الهاشمى المزيف . كما طلع على الناس بقصيدة فى ١٤ تموز الخالد سنة ١٩٥٨ وهو اليوم الذى طوح بذلك الحـكم الاستعمارى البغيض المبرقع فلا غرابة إذن أن يـكون الاستاذ الجواهرى هو الانموذج الصحيح الذى يصور هذه الحقبة الأدبية من تاريخ العراق

وختاماً أرجو المعذرة ممن يجد هفوة لان الـكمال مستحيل ؟

بغداد ١٤ / ٣ / ١٩٥٩

عبد الـكريم الدجيلى

الشعر العراقي قبل الدستور العثماني

حتى الحرب العالمية الأولى

لازال العراق يفخر بما دوّن له التاريخ الأدبي، وحفظ . من تراث ضخم في عالم الشعر والشعراء . وانّه ليَعتزُّ بهذا المنجم الأدبي منذ العصر الجاهلي حتى الساعة التي نحن فيها .

فلقد بزّ العراق ، في هذه التركة الأدبية ، وفي هذا الجانب الغني - أعني الشعر — جميع الشعوب العربية ، في مختلف أدوارها وعصورها .

فلو استعرضنا أسماء البارزين ، والمحلقين منهم ، بله الناظمين لظهر لنا سجل حافل مزدانٌ بالعباقرة من الشعراء في العراق منذ أقدم العصور .

فمن أبي دوآد الأيادي، والحارث بن حِلّزة ، والمسيب بن علس ، وعديّ ابن زيد ، والمنخّل اليشكريّ ، وعمرو بن كلثوم في الجاهلية .

إلى أبي الأسود(١) الدؤلي ، ومالك بن الريب ، وجرير ، والفرزدق والكميت وبشار بن بُرد في العهد الإسلامي .

وكان العراق يزخر بالعمالقة من الشعراء ، في العهد العباسي ، أمثال العباس(٢) بن الأحنف ، وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبي العتاهية ، وأبي تمّام ، ودِعْبِل والحسين بن الضحاك . وابن الرومي . والبحتري ، والشريفين : الرضي والمرتضي ، ومهيار الديلمي ، وابن التعاويذي ، وابن المعلم(٣) والأبله البغدادي(٤) وغيرهم .

---

(١) حققه وطبعه مؤلف هذه الرسالة عبد الكريم الدجيلي

(٢) طبعته وحققته الدكتورة عاتكة الخزرجي

(٣) يتوافر على تحقيقه الاستاذ كوركيس عواد مدير مكتبة الآثار ببغداد

(٤) يقوم بتحقيقه عبد الكريم الدجيلي مؤلف هذه الرسالة

أما الشعر فى الفترة المظلمة ، فهو وإن هَبَط جملةً لا تفصيلاً إلا أن العراق كان يحتضن عدداً من الشعراء ، كصفى الدين الحلى ، وأمثاله، يرتفعون عن غيرهم من شعراء الشعوب العربية .

وإذا أتينا على شعر النهضة الحديثة فلا يعوزنا البرهان على صحة الادعاء. فمن رائدها الأول السيد « محمد سعيد » الحبوبى النجفى إلى العبقرى الفذ « محمد مهدى الجواهرى » خير دليل ، وأسطع برهان على ما أقول .

وليس ما ذكرته مجرد خرص أو تخمين ، فدواوين الشعراء الذين مرَّ ذكرهم — وأغلبها مطبوعة تحتضنها المكتبات — شاهدة على صدق ما أقوله ، وليس ما أدعى بخاف ومستتر .

فالشعراء الذين ذكرتهمُ ، وعشرات من أمثالهم ، من الذين أنجبهم العراق ، ولم أذكرهم ، هم محلقون مجيدون فى هذا الجانب الأدبى . وفى هذا اللون الفنى .

ولم يكن لأي شعب من الشعوب العربية ، فى جميع أدواره ، وفتراته مثل هذا العدد الهائل والمحلِّق من الشعراء .

قد يبرز فى فترات نادرة ، وشاذة شاعرٌ ملهمٌ مثل « محمود سامى البارودى ، أو « شوقى » ، أو غيرهما ، من الشعراء ، فى البلاد العربية غير العراق ، ومع ذلك فهو لا يخلو من شاعرٍ أو أكثر يقرب منه ، أو يساوقه ، مثل الحاج كاظم الأزرى . والحاج هاشم الكعبى ، والسيد حيدر الحلى ، والسيد محمد سعيد الحبوبى ، والشيخ جواد الشبيبى ، ومعروف الرصافى ، والحاج عبد الحسين الازرى . والشيخ عبد الحسين الحلى وغيرهم .

وبعد هذه اللمحة الخاطفة الوجيزة ، من تاريخ الشعر فى العراق، فلا بد لى من القول : بأن الشعر فى البلاد العربية ، والإسلامية ، قبل النهضة ، وقبل إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ كان يدور فى فلك الملوك والخلفاء والأمراء ، والوزراء ، ومن يضلع فى ركابهم . ويترسم خطاهم .

فالعهد الأموى كله، على وجه التقريب، والعباسى على استطالته، والفترة المظلمة وما نتج فيها من الشعر — وان قل كيفاً لا كماً — كان فى خدمة أرباب المال والجاه، والسلطان. وكان الشعراء يقفون على الأبواب منتظرين إيماءة من الخليفة، أو إشارة، من الأمير، أو الوزير، للدخول وللمثول بين يديه مادحين ذلك المخلوق الذى جاءته الخلافة، أو الأمارة بالوراثة. وقد يكون هذا المخلوق، مضطرباً فى تفكيره، أو ماجناً فى سلوكه، أو شاذاً فى تصرفاته، أو يكون جاهلا وجلاداً اغتصب الحكم بالدم والحديد فيقف الشاعر أمامه يكيل له المدح، والتقريض، ويخلع عليه حلل الثناء، وبرود الحمد، ويرفعه إلى مقام الانبياء والرسل، فى الزهد والعبادة، والتجرد إلى الله، وأنه قد تقمص الخلافة، أوالوزارة، بإرادة من الله. فهذا أبو العتاهية يقول فى الخليفة المهدى. وهو المعروف بأنه أطلق الحريات لنفسه ولولديه ابراهيم وعُلَيّه

أتتهُ الخلافة منقـادة	إليه تجررُ أذيالها
فـلم تكُ تصلحُ إلا له	ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامَها أحدٌ قبله	لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعهُ بنات القلو	ب لما قدر الله أعمالها

كما أن الشاعر كان ينعتُ الامير أو الخليفة بالذكاء، والفطنة والتعقل والإدراك ويثنى على بطولته عند اشتباك الرماح والسيوف، واختلاط الفيلق، وثوران النقع. إلى غير هذه النعوت، والألقاب التى كان الشاعر فيها كاذبا دجالا فى كل ماقال. فهو لايريد من وراء هذا المدح، سوى المال وإن ساءت سبله وهوت به إلى درك النفاق والاستكانة والتهافت.

هكذا كان حال أكثر الشعر العربى منذ العهد الأموى حتى القرن التاسع عشر. فهو لايعرف غير القصر ومن فيه وما فيه. مبرراً آثامه، وجرائمه، وجرائره سادلا عليها ثوباً من الرياء والكذب والنفاق

وأكثر الشعراء فى تلك العصور ، لا يعرفون للشعر وجهة إلا الوجهة التى ينتزع منها المال ، من أين جاء سبيله . أما الشعب وما يلاقى من ويلات ومحن ومصائب ، وما ينتابه من فقر مدقع ، ومرض مهلك ، واستكانة ومذلة . فالشاعر بعيد عنه غير ملتفت إلى هذا الذى يرزح تحت كابوس الجهل والفقر والمرض ، والحفاء ، والعرى ، لأن بضاعته لاتنفق فى هذه الأسواق ولا ربح له فى مدرجة هذا الصعيد . وكل همه إرضاء المثرين والمتمولين والاقطاعيين ومن على شاكلتهم . فهو يدور كالحرباء حيثما در معاشه . ويقول لا بوحى من ضميره وتفكيره .

وقد يشذ بين حين وآخر ، شاعر يصور لنا الشعب ، وآلامه ، وأحزانه وبلاءه ، ومحنه ، كأبى العلاء المعرى وأمثاله . وقليل هم الذين لا تستهويهم المادة ، ولا تنزل بتفكيرهم إلى هذا الدرك المتهافت . إلا أن كلامنا ينصب على المجموع لا على الأفراد .

هذا هو واقع الشعر العربى فى العراق ، منذ فجر الدولة الأموية حتى النهضة الحديثة . وكان الشعر العراقى فى تلك الفترة بأخيلته ومعانيه تكراراً لمعانى السابقين واجتراراً للأقدمين منهم فى كل دواعى الشعر وأغراضه .

فوصف الناقة ، وما يتصل بها ، والخيمة وأسبابها وأوتادها والبيداء ومجاهلها ، والغلو المغرق فى المدح ، وأن الممدوح هزبرٌ لا تقف أمامه الفرسان ، وخضم لا نفاد لعطائه وكرمه ، وطود راسخ فى الحلم لا تزعزعه الحوادث ، وهو بَصيرٌ بعواقب الأمور ، وما جريات الأحوال ، يخترق الحجب فى الذكاء والفطنة والإدراك .

أما الغزل قبل عصر النهضة ، فهو صورة منتزعة وملتقطة مما كان عليه غزل الأقدمين من قبل . كذلك حال جملة الأغراض الأخرى ، كالرثاء ، فى الإمام الحسين وغيره . والهجاء بنفس العقلية السابقة ، وبنفس الروح التقليدية التى لم تعرف الإبداع فى أكثر إنتاجها .

وشعر الحماسة هو الآخر بقى على ما كان عليه من تفاخر بالآباء والأجداد . والعشيرة التى لا تقبل الضيم . ولا تتلمض جرع الخسف ، فهى فى القمة من حيث الشرف ، والمنعة ، والجاه ، والسلطان ، وحماية الجار .

فهذه المعانى وأمثالها وما يقرب منها تتكرر بأوزان مختلفة وبأساليب متفاوتة فى الارتفاع والانخفاض من أقدم عهود الشعر إلى القرن التاسع عشر . والأدلة كثيرة لا تعوز المتتبع لدواوين الشعراء الأقدمين حتى عصر النهضة .

أما أساليب الشعر العراقى قبل عصر النهضة ، وعنايتها بالمحسنات اللفظية والمعنوية : من جناس ، وترصيع ، وازدواج ، وتورية ، وما أشبه ذلك فهى فى هذه الحقبة الأدبية لا تختلف عن سابقها من الشعر عن بقية البلاد العربية ، والإسلامية ، فى جملة هذه الأحوال .

كما أن بناء القصيدة هو لم يطرأ عليه تبديل أو تغيير . فقد كان لزاماً على الشاعر أن يبدأ القصيدة بالغزل ، أو النسيب ، أو وصف الفرس ، أو الناقة أو الليل أو الخمر وما يتصل بها ، من ذكر الساقى ، والكؤوس ، والندماء ، وأسمائها ، ودنانها ونقلها ، أووصف الرياض والرياحين والورود بمختلف أشكالها وألوانها .

ثم أن الأبيات الثلاثة : المستهل ، والتخلص ، والختام يجب أن تكون بارزة وناشئة عن بقية أبيات القصيدة . وهذا تقليد لا يحيد عنه شاعر مهما ارتفع أو هبط . وإذا حاد عن التخلص ، فالقصيدة مقتضبة . والاقتضاب : هو الانتقال بالقصيدة من المقدمة إلى الغرض المقصود بدون تخلص .

وهذه نماذج من الشعر العراقى قبل عصر النهضة ، تعطينا صورة صادقة ، واضحة ، لما ذكرنا من أحواله .

للسيد حيدر الحلى المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ مهنئاً الحاج محمد صالح كبه بقران ولده الحاج محمد حسن وذلك سنة ١٢٧٤ هـ .

حيتكَ مِن وَجناتها بشقيقِها ... وَجلتْ عليكَ مدامةً مِن ريقها(١)
وتَبَسمتْ لك عن ثنايا لم تشم ... عينٌ كبارِقها ولا كعقيقها
وحبتكَ مِن رشفاتها بسلافةٍ ... ما فض مرتشفٌ ختامَ رحيقها
ورنتْ بأجفانٍ إليكَ فواترٍ ... بأخي الهوى الدنيا تضيقُ لضيقها
يا أهل رامة ما الجمالُ وما الهوى ... إلاّ لشائق رِيمكم ومشوقِها
نفحتكم بعبيرها رِيحُ الصَبا ... ونحتكم دِيمُ الحيا ببروقِها
غيثٌ بسيبٍ ندى (محمد صالح) ... تشبيه واكفِ سُحبه ودفوقِها

* * *

وهذا الشاعر يعتبر فى رثاء «الحسين بن على» شهيد الحق والعدالة أروع شاعر فى هذا المجال . فقد رثاه بتسع عشرة قصيدة هى من عيون الشعر العراقى قبل عصر النهضة . وهى حتى هذه الساعة تكرر من أعلى المنابر فى مواسم إقامة ذكرى «الحسين» فمن قصائده هذه اللامية التى يستهلها بقوله :

عثر الدهرُ ويرجو أن يُقالا ... تربتْ كفُكَ مِن راجٍ محالا(٢)

* * *

أيهـا الراغبُ فى تفليسةٍ ... بأمونٍ قط لم تشكُ الكلالا
اقتعدها وأقمْ مِن صدرِها ... حيث وفدُ البيت يلقون الرحالا
واحتقبها عن لسانى نفثةً ... ضرماً حوّلها الغيظُ مقالا
فإذا أنديةُ الحيّ بدت ... تشعرُ الهيبة حشداً واحتفالا
قف على (البطحاء) واهتف ببنى ... (شيبةِ الحمد) وقل قوموا عجالا
كم رضاع الضيم لا شبّ لكم ... ناشىء أو تجعلوا الموتُ فِصالا
كم تمنون العوالى بالطلا ... أقتل الأدواء ما زاد مطالا
كم وقوف الخيلِ لاكم نسيت ... علكها اللجم ومجراها رعالا

---

(١) ديوان «الدر اليتيم والعقد النظيم» للسيد حيدر الحلى مطبعة بومبى ص ٢٩٢ .
(٢) ديوان «الدر اليتيم والعقد النظيم» للسيد حيدر الحلى مطبعة بومبى ص ٣٣٢ .

كم قرار البيض فى الغمدِ أما آنَ أنْ تهتزَّ للضربِ انسلالا
قوّموها أسلا خطيـــةً كقدودِ الغيدِ ليناً واعتدالا
واخطبوا طعناً بها عن ألسنٍ طالما انشأت الموتُ ارتجالا

* * *

وللشيخ صالح التميمى المتوفى سنة ١٢٦١ هـ يخاطب الوزير (على رضا) بهذه القصيدة :

أيام غيرك قد أكدى بها أملى عسى بأيامك الأيام تسمح لى(١)
من لى بتقبيل كيف صوبُ عارضها يُزرى بوا كفِ صوب العارض الهطل
إلى متى وأنا أغدوا إلى فئةٍ لم تسدِ لى الخيرُ فى قولٍ وفى عمل
لم يبق بعدك فى الزوراء ذاكرمٍ يُرجى ولا لبنى الآداب من أمل
إنى أقول مقالاً جلّ عن خطأ كما ترفع عن زيغ وعن زلل
قد كان لى ثوب آمال فمـــزقه صرفُ الزمان بكفٍ غير ذى شلل
وكنتُ بالشعر أدنى كلَّ شاردةٍ والشعر لا ينتغى بعد الوزير (على)

* * *

وللحاج هاشم الكعبى قصيدة طويلة يستهلها بقوله :

لو كان فى الرّبع المحيـــل بُرْءُ العليـــل من الغليل(٢)
ربـع الشبـاب ومنزل الأحبـاب والخل الخليل
لعب الشمالُ بهم كما لعبتْ شمـول بالعقـــــــول
طلل يضيفُ النـازلين شجاه قبـــل النزول
مستأنسا بالوحش بعد أوانس الحىّ الحلول

---

(١) ديوان التميمى ١٠١ مطبعة الزهراء فى النجف .
(٢) ديوان الكعبى ص ٣٢ المطبعة الحيدارية فى النجف .

مستبدلاً ريماً بريم آخذاً غيلا بغيل

* * *

وللسيد عبد الغفار الاخرس المتوفى سنة ١٢٩١ هـ يمدح الوزير داوود

أراني مقيما بالعراق على ظمى ولا منهلٌ للظامئين ومرتعُ(١)
وكيف بوردِ الماءِ والماءُ آجنٌ يبل به بلَّ الغليل وينقعُ
قدكنت لاأعطى الحوادث مقودى (وانى لريبِ الدهر لا اتزعزعُ)
وكنت إذا طاشت سهامُ قسيها وقتنى الردى من صنع داوود ادرعُ

* * *

وللحاج كاظم الازرى قصيدة يستهلها

أى عذرٍ لمن رآك ولاما عميت عنكَ عينهُ أم تعامى(٢)
أو لم ينظرِ اللواحظ تهدى سَقماً والشفاهُ تبرى السقاما
لو ملكنا ملك العراق ومصر دون رؤياكَ مابلغنا المراما
أنت أنت الدنيا ولولاك ساءت مستقراً بأهلها ومقاما

* * *

وللحاج حسن القيم فى مدح السلطان (عبد الحميد) حين أمر باصلاح عمارة « المجيدية » ببغداد وبقى بهذا الاسم حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فسمى « المستشفى الجمهورى »

بنيت دار شفاء إن شكت ألماً قومٌ فيمنك يشفيها من الألم(٣)
أحييت ناحلة الابدان من فئة قد كاد يقضى عليها السقم بالعدم

---

(١) ديوان عبد الغفار الاخرس .
(٢) ديوان الازرى .
(٣) فى شعراء الحلة الخاقانى . وفى البابليات اليعقوبى

ولو أردت الاستشهاد على مثل هذه الألوان الأدبية لضاق بي المقام ولكن لابدّ من ذكر بعض أسماء الشعراء فى هذه الفترة السابقة لعصر النهضة الأدبية فى العراق ، كالسيد راضى القزوينى ، والشيخ صالح الكواز الحلى ، والشيخ عباس النجفى ، والشيخ محسن الخضرى ، والسيد إبراهيم الطباطبائى ، والسيد جعفر الحلى ، والشيخ حسن مصبح ، والشيخ حمزة النحوى . وأمثال هؤلاء وهم كثر لا مجال لإحصائهم فى هذه الرسالة . كما أن دواوين هؤلاء الشعراء الذين مرّ ذكرهم وغيرهم أكثرها مطبوعة . كما لا يخفى عليكم أن الشعر كان مقصوراً على الطبقة الروحية .

بقى أمر لا بد من الإشارة إليه : وهو أن تحديد الأدوار الأدبية ، لا يقصد به إلا التحديد التقريبى . إذ أنه من الصعب على مؤرخ الأدب أن يضع حدوداً بينة المعالم ، ومقاييس واضحة المفارقات للتيارات الأدبية ، فزمان تغيير الأهداف الشعرية ، والأغراض الأدبية ، يقتضى الامتداد والاستطالة .

فحينما نحدد الشعر الحديث ونميزه عن غيره ونقول : إن ابتداءه منذ إعلان (الدستور) العثمانى ١٩٠٨ م فليس هذا بالتحديد الواقعى لزمن الابتداء . بل الواقع أن إرهاصاً قد سبق إعلان هذا الدستور وأن الشعراء قد نظموا قصائد كثيرة قبل هذا الزمن وطالبوا كغيرهم بتحسين الحالة السياسية . وبتشريع الدستور ، وإقامة المجالس النيابية والبلدية ، وما تتطلبه الأنظمة الديمقراطية فى العالم المتحضر .

كما هم صوروا الخليفة العثمانى وما هو عليه من استبداد وتعسف . وأن حكم الفرد قد ذهب وولى . إلى كثير من أشباه هذه الأغراض والأهداف حتى إذا أخذ الشعب حقه وشرع الدستور مثلا عند ذلك تختلف بعض الأغراض ، فلا يطالب بإقامة حكم ديمقراطى بعد أن شرع الدستور ، ولا يطالب بحكم الشعب بعد إقامة المجالس النيابية والبلدية .

فالشاعر لا ينتقل بأهدافه من حال إلى حال بهذه السهولة التى تحددها الأدوار الأدبية . اللهم إلا فى موطن واحد قد ينتقل الشاعر دفعة واحدة وذلك مثلا عند حصول انقلاب سريع ، وخاطف كالذى وقع فى العراق فى (١٤) تموز سنة ١٩٥٨ م فقد تغيرت دفعة واحدة وبسرعة بعض مرامى الشعراء ، وأغراضهم . إذ لم يطالبوا بإلغاء الملكية بعد أن حققته الثورة كما لم يطالبوا بإقامة النظام الجمهورى بعد أن اعلنته. هذا ما أردت تبيانه فى موضوع الأدوار الأدبية عند ما يقسمها مؤرخوا الأدب العربى .

إن الاستعمار التركى كان وبالا على الأمة العربية جمعاء ، وبخاصة من بينها الشعب العراقى . فقد أراد الأتراك بعد أن رفع العربُ أصواتهم للمطالبة بالحكم الذاتى ، أن يجعلوا من العراق رقعة تركية بكل معنى هذه الكلمة . فقد كانت اللغة العربية فى العراق تدرس باللغة التركية . وأصبحت مواد الدراسة فى اللغة العربية من المطاليب التى كان الوطنيون يطالبون بها ، وكانت من شعاراتهم قبل النهضة .

فقد أراد « سليمان » فيضى أن يفتح فى البصرة مدرسة باسم (تذكار الحرية (١) » بشرط أن تكون لغة التدريس فيها اللغة العربية إلا أن الوالى قال له : إن اسمها ، ولغة الدراسة فيها يتعارضان مع القوانين . وبعد لأى وجهد فتحت المدرسة . ثم لم تمر على فتحها سنة إلا وأبدل الأتراك اسمها باسم «الاتحاد والترقى» وجعلوا لغة التدريس فيها اللغة التركية . ولكن الطلاب أبوا الالتحاق بها احتجاجاً على هذا العمل، فاضطرت جمعية «الاتحاد والترقى» إلى غلقها .

كما أن العراق كان متأخراً عن مسايرة جاراته سوريا ومصر . فبينا نرى بوادر النهضة لاحت تباشيرها واخضر عودها فى هذين القطرين لأسباب قد يطول شرحها — نجد العراق فى ذلك الوقت يعج بالخرافات ، ويرزح تحت

---

(١) فى غمرة النضال لسليمان فيضى .

وطأة الجهل ، والرجعية . وجل شعرائه لم تصل إليهم هذه الطلائع من النهضة اللهم إلاّ القليل والنادر منهم الذى لا أثر له بين هذا الخضم الزاخر من الشعر العراقى . والذى لم يطرأ عليه أى علامة من علامات بوادر النهضة الحديثة . فهو بعدُ لم ينفك عن الإطار المحدق به من دياجى الفترة المظلمة بكل تقاليدها الأدبية المتوارثة . يقول الرصافى :

بلادٌ بها جهلٌ وفقرٌ كلاهما … أكولٌ شروب للحياة قتولُ(١)
أَجلْ أنكم أنتم كثيرٌ عديدكم … ولكن كثيرُ الجاهلين قليلُ
وأى فريق قامَ للحقِ صدّهُ … فريق طلوب للمحال خذولُ

* * *

على أنّ عهداً من عهود الاستعمار التركى قد اتسم ببعض الصلاح فى العراق . وهو عمل فردّى . ومع ذلك فلم يدم طويلا ، وكرّ راجعاً إلى ما كان عليه من استبدادٍ ، وجور ، وظلم وتنكيل .

فقد كان عهد ولاية داوود سنة ١٢٣٢ ﻫ بالنسبة لما قبله عهد عدل . إذ أسس بعض المعاهد والمدارس وأنشأ بعض الأسواق وعُنى بالأدباء ، والعلماء ، وأكرم مثواهم . ودواوين الشعراء فى هذا العهد مليئة بذكره ، والإشادة بخدماته ، حتى أنه عيّن الشاعر الشيخ صالح التميمى كاتباً فى ديوان وزارته .

كما أن « مدحة » قد ازدهرت فى مدة ولايته البلاد بالتجارة والصناعة والعمران ، فأنشأ جريدة (الزوراء) ، وألف مجلساً للشورى ، ودرّب الناس على نقد الحاكمين ، وقضى على قطاع الطرق ، إلى حد ما ، وخفض الضرائب ، وأسس معملاً للنسيج ، وابتنى مدرستين ثانويتين ، ونصب « جسراً » على نهر « دجلة » وأسس دائرة للمعارف ، كما أسس دوائر أخرى للنفوس . والطابو ، والبلديات . وشرع التجنيد الإجبارى ، وهدم أسوار

---

(١) ٣٨٨ ديوان الرصافى مطابع دار الكتاب

العاصمة (بغداد) فوسّع حدودها . كما أسس مدينتي (الناصرية) و(الرمادي) .

على أن هذا (الوالي) لم يبق في العراق أكثر من ثلاث سنوات وبعد أن غادره « عادت حليمة إلى عادتها القديمة » كما يقول المثل .

وقد نمت بعض أغراض الشعر العراقي في زمن (مدحة) وترعرعت . وهذا شيء طبيعي ، إذ أن الإصلاحات التي قام بها لا بد وأن تكون موضوعا لمدحه على الأقل . فقد نظم المرحوم الحاج محمد حسن كبه قصيدة يصف فيها « المحفة » التي تسير على الخط الحديد ، والتي تجرها الخيول بين بغداد والكاظمية . فهذه القصيدة وإن كان غرضها مستحدثاً إلاّ أن أسلوبها قديم .

رُبَّ (مقصورةٍ) تطير كقلبي ... يومَ بان الخليطُ لا بجناح (١)
غضة الصفحتين تسبق طر ... فين بطرفين في عمود صباحِ
فهي كالبرق أو براق إذ ما ... جاز في عدوه سنامَ الضراحِ
وهي خود تهتزُّ لا بقوامٍ ... وعروسٌ تختالُ لا بارتياحِ
وإذا ما أتيتها مستظلا ... فزت في سهمها بأعلى القداحِ
نعمتنا في صفوها باغتباق ... وازدهتنا في لهوها باصطباحِ
وانتظمنا بها انتظامَ عقودٍ ... صقلتها بنات ذات الوشاحِ
واتسقنا بأفقها كنجومٍ ... ونبتنا بروضها كالأقاحِ
وارتوينا بلطفها لا بماء ... وانتشينا بصفوها لا براحِ
بنت سير لدي السري إذ تغنت ... أعربت عن ضمير ذات الوشاحِ

* * *

هذه القصيدة وإن كانت أهدافها جديدة إلا أن أخيلتها وأساليبها هي نفس الأخيلة والأساليب القديمة . فالمحفة تكاد تطير مُسرعة كقلبه الخفاق

---

(١) في مجموعة خطية يملكها مؤلف هذه الرسالة .

يوم بان عنه ركب الحبيب . وهى طرية الصفحتين تسبق العينين بجوادين . وهى كالبرق أو البراق فى السرعة ، كما أنها من ناحية ثانية كالخود تتمايل العرضنة إلا أنها بغير قوام إلى آخر هذه الأخيلة التى لم تكن غريبة عليك فقد قرأتها فى كثير من الدواوين ، وسمعتها فى أغلب الشعر بمختلف الأدوار والعصور .

وكذلك نظم فى نفس هذا الغرض السيد ابراهيم الطباطبائى المتوفى سنة ١٢١٩ ﻫ . فقد وصف محجة الحديد ، ومركباتها بين الكاظمية وبغداد . وهو بها كسابقتها فى الأخيلة والأسلوب إلا أنها أقوم فناً ، وأثبت تركيزاً

كيف تنقاد قلعة من حديدٍ أو حديد ينساب فوق حديدِ(١)
لم تخدّ وجه الثرى بخدود وهى إذ ذاك آية الأخدودِ
فالوراءُ القريب غيرُ قريبٍ والأمامُ البعيد غيرُ بعيدِ

* * *

وهذا عبد الباقى العمرى يصف « التلغراف » بأرجوزة طويلة مثبتة فى « ديوان عبد الباقى العمرى » .

إن عهد ولاية « مدحة » قد نبه الناس فى العراق وبخاصة الشعراء منهم ، فعصره عصر إرهاص لإعلان الدستور العثمانى وما أن أعلن حتى سرت موجة عارمة من الفرح ، والغبطة ، والاستبشار ، بين مختلف الطبقات فى العراق فانطلقت قرائح الشعراء ، وهم السباقون فى مثل هذه الأحوال . يقول الرصافى :

سقتنا المعالى من سلافتها صرفا وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا(٢)

---

(١) ديوان السيد ابراهيم الطباطبائى ص ٧١ مطبعة صيدا .
(٢) ١١٣ ديوان الرصافى مطابع دار الكتاب العربى

وزفتْ لنا الدستور أحرارُ جيشنا فأهلاً بمن زفت وشكراً لمن زفا
ولاحتْ لنا حرية العيش بعدما أماطتْ لنا الأحرار عن وجهها السجفا

* * *

وفى هذا الوقت صدرت عدة جرائد ومجلات فى مختلف أنحاء العراق(١) وما انقضت إلا أيام معدودة حتى انتقض الاتراك على العرب وظهرت العنصرية التركية لكل ذى عينين ، كما طلعت بعض الصحف التركية تشتم العرب وتطعنهم بمقدساتهم . وتحولت دعوة الاتراك إلى استعمار سافر للعرب و « عثمنة » برزت فيها العصبية الجاهلة الفاسدة بأقبح مظاهرها وصورها حتى أن أحد علماء الأتراك المسمى « عبدالله » نادى بالمصلين فى صلاة الجمعة : « أيها المسلمون امسحوا من مساجدكم أسماء الخلفاء الراشدين وآل الرسول ممن لايفيدكم أمرهم »(٢) ورحم الله من قال :

كان عبد الحميد بالأمس فرداً فغدا اليوم ألف عبد الحميد

ولقد أضيفت إلى الشعر العراقى فى هذه الفترة ، واستحدثت أغراض أخرى نتيجة للوضع السياسى الذى طرأ عليه بإعلان هذا الدستور . فقد أصبح الشعر يعنى بالسياسة عناية فائقة . ولم يكن العراق هو الوحيد فى هذا الموضوع . لأن اعلان الدستور له كبير الأثر فى خلق الشعر السياسى فى جميع البلاد العربية ، إلا أن هذا الغرض فى العراق طغى على كل الأغراض ، فالعراق ليس كغيره من الشعوب العربية ، إذ أن النهضة الأدبية فيه كانت نتاج نهضة سياسية بخلاف سورية ومصر ، فإن النهضة الأدبية فيها كانت نتاج عوامل ثقافية لوقوعها على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، ولعوامل ثقافية أخرى لا مجال لذكرها هنا ، بينما كان العراق متأخراً فى هذا المضمار الثقافى الحديث . ومن هنا نرى فى الشعر العراقى الحديث جانب

---

(١) ٨٠ فى غمرة النضال لسليمان فيضى مطبعة الشركة التجارية
(٢) ٨٤ « فى غمرة النضال » لسليمان فيضى مطبعة الشركة التجارية

الفصاحة فيه أقوم من غيره من البلاد العربية لان ثقافته الأدبية كانت مستقاة من دواوين الشعراء الأقدمين الذين يعنون بفصيح الكلام ، وغاد الشعر العراقى فى هذه الحقبة يدعو إلى تقوية الروح الوطنية ، وإثارة العواطف المتصلة بالحرية الفردية يقول الرصافى :

أحب الفتى أن يستقل بنفسه فيصبح فى أفكاره مطلقاً حرا(١)
وأكره منه أن يكون مقلداً فيحشر فى الدنيا أسراً مع الاسرى

* * *

كما يدعوا إلى جمع الشمل ، والالتحاق بالركب العربى واستقلاله ، وحريته وانطلاقه ، وانصافه ، وإلى جانب هذا عاد يشجب العادات السخيفة ، ويظهر نواقصها . كما ينقد التقاليد البائدة ، التى أمست لاتقوى على البقاء . والابقاء على التقاليد التى تعنى بتقويم الاخلاق الفاضلة ، والخلال الحميدة ، فهى حصانة للنفس ، وردع للغرائز — وكبح للميول والاهواء . يقول الاستاذ محمد رضا الشبيبى :

وإذا أراد اللهُ رقدة أمة حتى تضيع أضاعها أخلاقَها(٢)

* * *

كما ندد الشعر بالجهل . ودعا إلى نشر العلم بين أفراد الأمة التى انطبقت عليها الأمية ، وران عليها الظلام العقلى يقول الاستاذ محمد على اليعقوبى

لا تفخروا بسوى العلوم فشأنها شأن كبيرُ
ودعوا الفخار بأعظمٍ رمم حوتهن القبور

(١) ديوان الرصافى مطبعة دار الكتاب العربى
(٢) ديوان محمد رضا الشبيبى مطبعة لجنة التأليف والنشر

العلمُ للمرء الدليل لقصده أنى يسير
العلم أجنحة البلاد به لغايته تطير
بالعلم فاوض من تشاء فإنه نعم السفير
وإذ خلوت فانه نعم المنادم والسمير
و لجهلُ إنملك العقول فذاك سلطان يجور

وهى قصيدة طويلة عامرة بشتى الألوان من هذا الطراز .

* * *

وللاستاذ جميل صدقى الزهاوى فى هذا المجال ثلاث قصائد نكتفى بأبيات من إحدى هذه القصائد .

ليس الحياة سوى وغى والناسُ مغلوب وغالب(١)
والعلم فى هذا الجهاد هو السلاحُ لمن يُحارب
بالعلم طار المرءُ حتى مر ما بين السحائب
بالعلم أضحى الناس يطوون البحار مع السباسب

* * *

كما تطرق الشعر العراقى إلى المستحدثات الصناعية . كالبرق ، والتلفون ، والقطار ، والطيارة ، والباخرة ، والتلغراف . يقول الرصافى(٢) .

(وللبرق) أسلاك تؤدى الأخبار دقيقة مثل دقاق الأوتار
فوق الثرى مدت وفوق الأبحار فى عمد قد ركزت كأشجار

* * *

ويقول الزهاوى فى الطيارة ، وهى الشغل الشاغل للمفكرين منذ أقدم العصور والأدوار :

---

(١) ٢٢٠ ديوان الزهاوى .
(٢) ٢٤٨ ديوان الرصافى . مطبعة دار الكتاب العربى .

حكم النار فى الهواء وطارا ينهب البيد ساميا والبحارا(١)
لو رآه آباؤه قبل أحقا بٍ لظنوه مارداً جبارا

* * *

ويقول الرّصافى فى القاطرة التى قربت كل بعيد ، وأدنت كل مترامٍ :

وقاطرةٍ ترمى الفضا بدخانها وتملأ سيرالأرض فى سيرهاُ عبا(٢)
لها منخر يبدى الشواظ تنفساً وجوف به صار البخارُ لها قلبا

* * *

كما أن له قصيدة فى الطيارة :

وطائرةٍ مرّفعة الذنابى باجنحةِ الرياح لها ارتقاءُ (٣)
يجولُ بها من (البنزين) روح كما جالت بأوردةٍ دماءُ
بعصر (الكهرباء) أتت فأمسى لعصر (الكهرباء) بها ازدهاءُ
تمرّ كأنها فى الجو نسرُ إلى زهر النجوم له انتماءُ

* * *

وتقع الدواهى على « ستيد » داعية السلام مذ ركب الباخرة « تتنيك » وهى من أعظم البواخر فى العالم يوم ذاك . وحدث أن اصطدمت بجبل فغرقت . وقد هزّ هذا الحادثُ العالم بأسره . يقول الأستاذ على الشرقى :

أداعية السلام وقد تداعى عليك سلام أرواح الجنودِ(٤)

وكان المستر « ستيد » من أشد المؤمنين بعلم الأرواح :

---

(١) ٤٥ : ٢ الاتجاهات الأدبية أنيس الخورى المقدسى .
(٢) ٢٠٢ ديوان الرصافى . مطبعة دار الكتاب العربى .
(٣) ٣٢٣ ديوان الرصافى » » » »
(٤) ١٥٧ ديوان على الشرقى (عواطف وعواصف) مطبعة المعارف .

رقدت فأيقظتك صروف خطب | فلم تعبأ فعدت إلى الرقودِ
شديد العزم كنت وأنت حي | فمتّ وأنت فى عزمٍ شديد
وجادل فيك سطح البحر قعر | فملت عن الشقيّ إلى السعيدِ
أجوهرة على الأمواج تطفو | محال بل تعاجل فى الركودِ
لئن صعدت بك الأمواج يوما | فقد عوّدت نفسك للصعودِ

* * *

وقد هزّ هذا الحادث الأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي فنظم قصيدة عنوانها « تتينك » وذلك سنة ١٩١٢ — ١٣٣١ :

بأبيك أقسم يا ابنة البحر الذى | وأراك كيف رأيت فتك أبيكِ(١)
ما حطّ ثقلك فى حشاه نكايةً | لكنه فرطُ احتفالٍ فيكِ
عبرت تشق اليم غير مطيعةٍ | لإشارةِ التسكين والتحريكِ

* * *

ويسمع ، ويقرأ الأستاذ محمد باقر بن المرحوم العبقرى الشاعر الشيخ جواد ، وشقيق الأستاذ محمد رضا الشبيبي فيقول :

يقولون لى (باريس) أرض مضلة | فقلت بعدتم فهى سابغة الظل(٢)

* * *

وهذا الأستاذ على الشرقى يصف بلدته النجف : وهى بلد التقاليد الدينية ، والقيود الاجتماعية الموروثة ، ومع هذا كله فهى البلد التى بزغت منها ثورة العراق سنة ١٩٢٠ م والتى زعزعت المستعمرين ، وهم فى أول عهودهم باستعمار العراق . كما أنها كانت ينبوع الشعر : قديمة ، وحديثة ، فالحبوبى طليعة الشعر

---

(١) ديوان الشبيبى ١٦٩ مطبعة النشر والتأليف القاهرة .
(٢) شعراء الغرى للخاقانى.

الحديث والشبيبي ، والشرقي ، والصافي النجفي والعبقري الفذ شاعر العرب محمد مهدي الجواهري كلهم من النجف . يقول الشرقي في هذا البلد :

وما بلد ضمني سجنه ولكنه قفص البلبل(١)
ترّف جناحاه لم يستطع مطاراً فيفحص بالأرجل
لقد أقفلوا باب آماله فحام على بابه المقفل

* * *

هذه الأغراض الحديثة في الشعر العراقي لم تكن عامة وشائعة بين كل الشعراء في هذا الظرف ، فلم يتنبه لها إلا النابهون ، والمتصلون بالأجواء السياسية ، والحياة الاجتماعية الحديثة . وهم قلة قليلة بين هذا الخضم الزاخر من الشعراء في العراق .

إن الذين خرجوا على التقاليد الأدبية المتجددة من القدم ، ورموها جانباً كانوا الطليعة للشعر العراقي الحديث . والرواد لهذه النهضة التي شملت جميع الشعراء الآن على وجه التقريب . وجعلهم قادة للشعر العراقي المعاصر .

إلا أن الأسلوب الشعري في هذا الدور بقي كما هو سابقاً اللهم إلا الذين لهم صلة وثيقة بالحياة الاجتماعية الحديثة ، فقد تغيرت أساليبهم بعض التغير إذ أصبح هؤلاء يواجهون الموضوع رأساً وبدون براعة استهلال ، وبغير مقدمة للقصيدة في الحماسة أو في النسيب والتشبيب ، أو في ذكر الأطلال والدمن وما أشبه هذه المقدمات الملتزمة في الشعر القديم . كما خلا الشعر العراقي في هذه الآونة الأدبية من المحسنات اللفظية والمعنوية المتكلفة نوعا ما من بعض الشعراء . فصار الشاعر يعنى بوحدة القصيدة خلافا لما كان عليه

---

(١) ديوان علي الشرقي « عواطف وعواصف » . مطبعة المعارف ببغداد وقد نظم هذه القصيدة حسب ما يقول سنة ١٩١٠ م .

الشعراء سابقاً من أن كل بيت منها على وجه التقريب مستقلا بمعناه بحيث لو قدمت بعض الأبيات على البعض الآخر لما ظهر اختلاف واضح المعالم فى القصيدة .

أما الآن وفى هذا الوقت فإن الشاعر الذى وصل إليه رذاذُ الحضارة يتوخى أن تكون قصيدته فى موضوع واحد متسلسل الفكر . وقد تكون القطعة الشعرية متجزئة لمظاهر الموضوع الواحد ، فتصبح قطعاً و « موارد » إلا أنها جميعاً فى صلب ذلك الموضوع ، لا تخرج عنه إلا وترجع إليه .

الأوزان

أما الأوزان المستخدمة فى هذا العصر حتى الحرب العالمية الأولى فقد جرت على سنن الأقدمين من الشعراء لم تحد عما دونه « الخليل » بن أحمد فى الأوزان اللهم إلاّ القليل الذى نظم على بحر « الدوبيت » الفارسى .

وقد كثر النظم فى هذا الدور على نسق « الموشح » وزاد عما كان عليه قبل إعلان الدستور العثمانى . ولعل هذه الظاهرة تفـلـتٌ وانطلاق عن التقليد الشعرى السائد .

وقد بقيت مع هذا (وحدة القافية) هى المفضلة والمحببة لأغلب الشعراء ولا زال الافذاذ منهم ، والذين هم فى العلية من الشعر العربى لا يحيدون عنها . إذ أن القافية المتسلسلة دليل الثروة اللغوية . ولعل الزمن سيرغم الشعراء على نبذ هذا القيد التقليدى الذى لا موجب له .

وأمر آخر لا بد من الإشارة إليه هو أن قسما كبيراً من شعراء هذه الفترة وخاصة من كان منهم فى الحوزة العلمية الدينية بقى سادراً جارياً فى نظمه على طرق الأقدمين ، وباقياً على تلك التقاليد الأدبية الموروثة ، والمتلقاة جيلا عن جيل فهو وهو فى هذه المرحلة تكون مقدمة قصيدته فى وصف الفرس ، أو الناقة . ويعنى بـ « التخلص والختام » . هذا إلى جانب البراعة

فى حسن الاستهلال . كما أن بعضاً من هذه الفصيلة ظل ينظم « الأراجيز والمتون » فى النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والفقه ، وأصوله . وهم يرون الشعر القديم بتقاليده المتحدرة فى الأجيال السابقة هو كل شىء . أما هذه الأغراض المستحدثة من سياسية ، واجتماعية ، فلا تجد منهم أذناً صاغية ، وساروا فى أجوائهم الأدبية هذه ، وبإطارهم المتحدر من الأجيال السحيقة يتصيدون التورية والجناس وبقية المحسنات المتكلفة بكل أنواعها .

البنـد

وفى العراق ظاهرة أدبية ، ولون يعد من فصيلة الشعر ، لا وجود له فى الأقطار العربية الأخرى . بل إن الأمة العربية — عدا العراق — لا تعرف عن « البند » أى شىء .

فهو وإن وجد فى القرن الحادى عشر للهجرة إلا أن كثيراً من الشعراء فى هذا الدور الذى نؤرخ شعره يقرضونه فى مختلف الأغراض الأدبية . بل وقد تخطى هـذا اللون الأدبى إلى القرن الرابع عشر فنظم على سننه بعض الشعراء .

وفى رأيى أن « البند » مقتبس من الأدب الفارسى . وكلمة (بند) فارسية معربة بمعنى الفقرة ، أو العقدة ، أو الفاصل .

وهو من فصيلة الشعر ، يجرى فى الغالب الأعم على بحر « الهزج » إلا أنه بغير قافية . وقد ألفت كتاباً أسميته « البند فى الأدب العربى » ، وهذا أنموذج يعطيك عنه صورة واضحة عن (البند) ، لمعتوق بن شهاب الموسوى (١) المتوفى ١٠٨٧ هـ .

---

(١) ١٩٧ ديوان معتوق الموسوى . مطبعة السعدية بالاسكندرية .

« فى وصف الآيات السماوية »

أيها الراقد فى الظلمة ، نبه طرف الفكرة ، عن راقدة الغفلة ، وانظر أثر القدرة ، وأجل غسق الحيرة ، فى فجر سنا الخيرة ، وارنُ الفلكِ الأطلس والعرش ، وما فيه من النقش ، وهذا الأفق الأدكن ، فى ذا الصنع المتقن ، والسبع السماوات ، ففى ذلك آيات هدى تكشف عن صحة إثبات إلهٍ كشفت قدرته عن غرر الصبح ، وأرخت طرر النجح على نحر ضياه فغدا يغسل من مبسمه الأشنب فى مضمضتى نور سناه لعس الغيهب ، واستبدلت الظلمة عن عنبرها الأسود بالأشهب . واعتاضت ، عن مفرقها الحالك بالأشيب الخ .

« المشروط والمستبد »

وقبيل إعلان الدستور العثمانى شب نزاع كان عميق الأثر فى العراق فقد دخل كل بيت وانقسمت العوائل بسببه ، وحتى البيت الواحد قد يوجد فيه تياران مختلفان .

وهذه الظاهرة الحزبية عرفت فى دقتها بـ « المشروطة والمستبد » فالذين يرون أن يكون حكم السلطان مقروناً باقامة مجلس للشورى « برلمان » هم الموسومون بـ « المشروطة » . وفى هذا الجانب المتحررون والمتجددون والذين يريدون الخروج على التقاليد البالية ، وعلى إقامة حكم عادل . ومساواة بين الرعية ، ونبذ الطقوس التى ماجاء بها الإسلام . وبعبارة أخصر أن هذا الجانب يرجو حكما « ديمقراطياً » .

أما الجانب الذى وسم بـ « المستبد » فانه يرى إطلاق يد السلطان ، أو خليفة المسلمين « كما يسمونه » بكل ما يراه ، وحسب معتقده صلاحا لأنه

المرجع الديني الأعلى ، وبعبارة اوضح أن المستبدين يرون بأن يكون الحكم فردياً و « دكتاتورياً » .

وفى خضم هذا النزاع العقائدى أزهقت دماء لا فى العراق فحسب بل وفى (إيران) أيضاً . وفى هذا المجال السياسى العنيف سلك الشعر العراقى مصوراً لهذا النزاع الفكرى . وكان أغلب الشعر فى الجانب المتحرر منه وهو (المشروطة) .

فهذا السيد عبد المطلب الحلي ينظم قصيدة عامرة الجوانب فى مدح الرئيس الأعلى « للمشروطة » وهو العلامة المتحرر الشيخ « ملا كاظم » . وفى هذه القصيدة يعدد الشاعر مساعي هذا الزعيم الروحي فى تحرير تركيا ، وإيران كما يعرض بخلع الملكين « محمد علي » شاه إيران ، و « عبد الحميد » الخليفة العثمانى ، ويشرح فيها زحف « محمود شوكة » من سلانيك إلى الآستانة .

وطار صماخ الجور حتى تركته ومعطسه من تحت نعليك راغم(١)
غداة لطمت (المستبد) بلطمة على تاجه منها غدا وهو لاطم
فيا ظفرت لابن « المظفر » راية ولم يعن عنه جيشه المتزاحم
بلى نكصت راياته عن مجاهد لسطوته تعنو الجيوش الخضارم
يطاعن بالأقلام وهى أسنة ويضرب بالآراء وهى صوارم
ولما رأى الله انتصارك للهدي أثابك نصراً والمتوج راغم
فهبت رجال من (سلانيك)أيقضت إلى العدل عين الحزم والحزم نائم
فلم تبق من تلك العروش وإن علت بناءاً سوى الآثار وهى علائم
ترحل عنها صاحب التاج واغتدت ترن بهاتيك القصور الحمائم

* * *

---

(١) البابليات اليعقوبي ٢ : ٥٤ .

وللمرحوم الشيخ حسن البهباني النجفي في هذا النزاع الحزبي بيتان من الشعر إلا أنهما في الغزل .

قلت لما بدا العذار بخديه   إلى أين أيها المستبد (١)
قال غازٍ أهيل مشروطة الحب   بجيش كالنمـل ليس يعد

* * *

والشعر في العراق على وجه الاطلاق في هـذه الفترة — قبيل الحرب العالمية الأولى — كان متأرجحاً في أغراضه، وأهدافه . فشعراء النجف والحلة ، وهم أكثر الشعراء في العراق عدداً وعدة بكل الأدوار الأدبية . كانت مواضيعهم تدور حول المساجلات ، والنقائض ، والمباريات ، وفي حفلات الأفراح ، والأتراح : في الزواج ، والختان : — وهي محافل تعقد بكثرة كثيرة — وفي موت عالم أو أديب . ولا زال هذا اللون من الشعر حتى هذه اللحظة له سوق رائجة في النجف .

كما أن المجالس التي تعقد لرثاء الحسين بن علي شهيد العقيدة يتلى فيها شعر كثير . يتفاوت قوة وضعفاً بالنسبة لمقدرة الشاعر الفنية . ولو جمع هذا الشعر المذهبي وطبع على حده لكان ثروة أدبية ضخمة ، وفي عشرات من المجلدات .

أما النادرة الأدبية ، والطرفة المستملحة ، والنكتة البريئة فهي من سمات الشعر النجفي ، ومن طابعه .

ولا يفوتني أمر آخر قبل الانتهاء من هذا الفصل هو أن دواوين شعراء هذه الفترة الأدبية مليئة بالمواضيع الفردية كوصف « السماور » أو وصف

---

(١) في مجموعة خطية لمؤلف هذه الرسالة وسمتها بـ « النوادر » .

(٢) جمع شعر النجف الأستاذ علي الخاقاني بكتاب أسماه (شعراء الغري) كان في اثني عشر مجلداً عند الطبع وكل مجلد من هذه المجلدات يحتوي على أكثر من خمس مئة صفحة .

« النرجيلة » ، أو تفضيل (القهوة على الشاى) ، أو وصف (رحلة) إلى مكة والمدينة ، أو وصف (الساعة) ، أو تصوير (وليمة) ، أو تقريض (كتاب) إلى غير هذه المواضيع التى لا ضابط لها ولا حد .

فللسيد جعفر الحلى المتوفى سنة ١٣١٥ هـ مقطوعة شعرية تدل على طول باع ورجاحة فن فى مضمار الشعر ، فقد تزوج بعض الأدباء من لداته بامرأة ثيب فقال على سبيل التندر :

بشراك فى لؤلؤةٍ مثقوبةٍ ... انفع من لؤلؤةٍ لم تثقَبِ(١)
ومهرةٍ إِ وَطْئاً شخص ظهرها ... أحسنُ من جامحةٍ لم تركبِ
ومنهجٍ قد سلكت فيه الخطا ... أحسن منْ نهجٍ جديدٍ متعبِ
وقد وجدنا فى الكتابِ آيةً ... قدم فيها الله ذكر الثيب
اسمُ العجوز فى المقال طيب ... لأنه وصف لبنتِ العنبِ
مَرّت عليها أربعون حجةً ... فهى إذن كالصارم المجربِ
عرّفها الدّهرُ تقلباتهِ ... فاستصفها عارفة التقلب
ومن يسب الثيباتِ ساءنى ... لأنه قد سب ظلماً مذهبى
خديجة بنتُ خويلدٍ على ... ما نقلوا أعز أزواج النبى
بك الأثافى كملت ثلاثةً ... ففز بها كالمرجل المركب

* * *

إلى اخر هذه القطعة الفنية بالصور الحية النابضة . وأن هذه اللوحة الفنية إن دلت على شيء فأنها تدلّ أولاً وبالذات على القدرة العجيبة التى

---

(١) ٤٣ ديوان السيد جعفر الحلى « سحر بابل وسجع البلابل » طبع بمطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣١هـ وقد أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه من الفوائد والشروح العلامة الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله .

يتحلى بها هـذا الشاعر فى المجالات الأدبية . وديوانه ملىء بأمثال هذه الألواح الفنية .

وهذا العبقرى الشيخ صالح الكواز يصف « ديكا » بأدق وصف وأرق تعبير . وبأجمل ما يصفه مصور فنى فيقول :

ملأت المسامع منا صياحا   أتنعى الدجى أم تحيي الصباحا(١)
أمْ أنت نذير لمعتنقين   قد رفع الليلُ عنهم جناحا
خشيت غيور الحمى أن يرى   وصالهما فيثير الكفاحا
نصحت ورعت فلن تستحق   هجاء ولن تستحق امتداحا

* * *

وللمرحوم عبد الباقى العمرى يصف « نرجيلة » :

أبيضـة للنعامة   أم وردة فى كمامه
تزيح عن كل صدر   من الغموم غمامه
الماءُ فى القلب منها   والنارُ فوق العمامه
وصوتها إن تغنتْ   يحكى هديل الحمامه

وللسيد إبراهيم الطباطبائى النجفى فى وصف « السماور » :

وأعجم غنانى بصوت مركب   من النار والماء النقاخ المؤرق(٢)
حشاشتهُ جمرُ الغضا وزفيره   يطير شواظاً من لهيب محرق
وقد فك شدقيه فعض حمامة   تزق بنيها بالمدام المروق

* * *

---

(١) فى مجموعة خطبه لمؤلف هذه الرسالة .

(١) ولد السيد إبراهيم فى النجف وتوفى فيها سنة ١٢١٩هـ وهذه الأبيات مثبتة فى آخر ديوانه ص ٢٦٨ المطبوع فى صيدا سنة ١٣٣٢ وقد قام بتحقيقه ولد السيد حسن وقدم له الأستاذ على الشرقى .

إلى آخر هذه المواضيع الفردية التى لا مجال لحصرها فى مثل هذا المجال الضنك . وشعر هذه الفترة شعر تقليدى لا عاطفة فيه إلا القليل منه . ومع ذلك فهو سجل حافل لمثل هذه المواضيع لذلك العصر . وشعر الغزل التقليدى الذى يدور حول معانٍ وألفاظ متكررة ، كثير فى هذه الحقبة .

بقى أمر لابدّ من الإشارة إليه وهو أنه فى أخريات هذا العصر الأدبى برز عدد من الشعراء يعدون من خيرة شعرائه . وسيأتى لهم ذكر فى صدر النهضة الأدبية الحديثة . وهم محمد رضا الشبيبى ، ومعروف الرصافى ، وعلى الشرقى وأمثالهم .

* * *

الشعر الحديث

بين حربين

من ١٩١٤ إلى ١٩٤٥

وإذا كنا منصفين فى أحكامنا على الشعر والشعراء ، وكان لابد لنا من القول فى من هو رائد الشعر الحديث فى العراق . ومن هو طليعته ، كان الجواب على هذا الحكم لا يتعدى شاعراً واحداً هو العبقرى السيد محمد سعيد الحبوبى . الذى كان وما يزال شعره رقيقاً ليناً ، يرغمك على قراءته وسماعه ، لأنه يتفاعل مع عواطف القارىء والسامع . وأنك حيث تنصت إلى قصيدة من قصائده ، أو موشحة من موشحاته تجد نفسك مع الطبيعة تشاهد الروض بأزهى أشكاله وألوانه . فهو يصورها لك بأجلى ما يصوره مبدع مفن . وهكذا هو فى كل أغراضه ومقاصده مع أنها على النهج التقليدى القديم ، فاسمعه فى هذه الموشحة الروضية المشرقة بانتقاء ألفاظها ، وحسن مبانيها ، وجميل أخيلتها .

عارض الوسمى كم قد روّضا — وجه وهدٍ وكثيب أو عس
وكأن الماء لما غُيضا — قيل يا أرض ابلعى ثم اكتسى
والبسى أخضر لكن فضضا — بالاقاحى فهو أسنى ملبس
الحمتْ آساً وسدتْ سوسنا — يد أزهار الربيع الأبهجِ
ثم حاكته تضاهى اليمنا — هكذا صنعاء أو لا تنسج

* * *

والثريا مثل كف بضةٍ — للدجى أومت فلباها الغسقْ
أو كعنقودٍ بدا من فضةٍ — قد جلاها الأفقُ فالأفقُ طبقْ

وسهيل خد خود غضة   لثمت فاحمر منها وخفق
أو كقلب بالملاح افتتنا   فهو خفاق كثير الوهج
بات ينزو مستطيراً شجناً   إذ أتى الليل بظل سجسج

* * *

فهذا الشعر الرقيق حافل بالصور الحية ، يصور لك المطر الوسمى ، وقد أينعت السهول والوديان ، وزهت بعد أن جفت تلك الغياض عنها فا كتست الأرض وأزينت بالرياحين والأزهار .

تعد هذه الحقبة الأدبية من ١٩١٤ — ١٩٤٥ من أحفل الحقب وأثقلها بالحوادث التى مرت على البلاد العربية والإسلامية أيضاً فقد انهارت فيها دول ونظم قديمة ، واختلقت فيها دول ونظم حديثة فاهتزت اجتماعياً وثقافياً وسياسياً . فقد كان الشعراء فى هذه الحقبة هم المصورون لما كانت عليه البلاد من القوضى والفساد والانحلال ، وهم الدعاة للإصلاح والعدل فايقضوا الشعور ، وارهفوا الإحساس . فأصبحت المقاييس الاجتماعية والأدبية غيرها بالأمس . والأدباء عادة والشعراء منهم خاصة هم طليعة هذه النهضات فهم المفصحون عما يدورُ فى الشعب .

أما غزلُ الحبوبى فيكاد يقطر رقة وعذوبة فهو يصور لك خلجات النفس وهواجسها ونزعاتها .

همت فى حبك والحب هيام   فلى اللوم ولا لوم عليك
وتعاصيت على داعى الغرام   فوقعتُ الآن طوعاً فى يديك
كلما رمتُ أعاصيك الزمام   جذبتنى سورة الحب إليك
فإذا جال فوآدى وقفا   حول مغناك فلم ينطلق
وعلى نادى هواك اعتكفا   فغدا مأمنه فى فرق

* * *

بثُّ من حبك ذا طرف قريح　　　　حُرقي وجدى ودمعى غامرى
خضل الأردان ذا قلب جريح　　　　أتحرى كل برق حاجرى
ما لقى القيسان قيس بن زيح　　　　ما ألاقيه وقيس العامرى
لا ولا عروة فيما سلفا　　　　بعض مالاقيت فى الحب لقى
ليت دين الحب لما خُلفا　　　　لم تقم بيعته فى عنق

* * *

هذا الرائد للشعب العراقى الحديث فى أساليبه الطرية ، وتعابيره الرفيعة هو الفاصل بين الفترة المظلمة وبين ما استجد بعدها من شعر ظهرت تباشيره على تلاميذه ، وطلاب مدرسته الأدبية أمثال رضا الشبيبي وعلى الشرقى ومعروف الرصافى ومن لف لفهم .

فشعر الحبوبى يعد الحدث التأريخى للشعر العراقى الحديث . ولعل تجواله بين النجف التى هى على حافة الصحراء مركز العلم والثقافة . وبين نجد والحجاز وقد عاش فيهما زمناً . لعل هذا هو السبب الذى جعله ينطلق بالألوان البديعة من الشعر لم يعهده العراق من قبل . وأصبح شعره الجديد زينة المحافل والأندية الأدبية ، واستطاع بهذه الأساليب الجديدة ، وبهذه الصفحة المشرقة أن يثبت أن الشعر ليس بضاعة تباع وتشترى ، وأنه ليس مهنة يكتسب منها العيش ، واستطاع أن يبدل من عقلية الشعراء ، وأرجع الشعر إلى الفطرة ، وتصوير الحياة الاجتماعية بما فيها .

والحبوبى شخصية واسعة الأرجاء . له جوانب متعددة . فهو لا يعرف غير الحق ، ولا يدين إلا بالفضيلة وحب الخير . وأن له فى تأريخ الحرب العالمية الأولى سجلاً حافلاً بالبطولة والجهاد . وما أن أعلن هذا الجهاد ضد الكفر سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م فى العراق والدعوة إلى الدفاع عن ثغور

المسلمين إلا" ولحق به جمع غفير من الإقليم الجنوبى للعراق . وقد سار بهم نحو الشعيبة محارباً . ولا أنساه وقد خرج من الضريح العلوى فى النجف واضعاً السيف فى عنقه والجموع الغفيرة خلفه تودعه ، وقد أرسل له السيد محمد القزوينى هذين البيتين :

نحن بنى العرب ليوث الورى دين الهدى فينا قوى عزيز(١)
لابد أن تزحفَ فى جحفلٍ تبيد فيه جحفل الإنكليز

وما أن سارت الأمور على غير مجاريها ، وعلى غير الطرق التى أرادته ـ وكان ماكان من الخذلان عاد إلى بلدة « الناصرية » وما لبث فيها إلا أياماً حتى فارق الحياة ، فرثاه الكبار والصغار من الشعراء بأحر مايرثى شاعر يدين بالفضيلة والأخلاق .

وهذه قصيدة الأستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبى تعطينا صورة من فضله وخلقه وجهاده فى الذود عن حياض المسلمين .

عم الثغور الموحشات ظلام ودَجتْ لأنك ثغرها البسامُ (٢)
طَوَتِ الفيالقُ نكساً أعلامها إذ ليس تخفقُ بعدك الأعلام
رابطت فى ثغرِ العراق وثغرها يحمى الحجاز بسده والشامُ
سقط الذى شيدتَ من أركانه وأعيد فيه النقض والإبرامُ
صالتْ على تلكَ المنيةِ أختُها وسطا على ذاك الحمام ِحمامُ
لله تسعة أشهرٍ قضيتُها طالتْ عليك فكل شهرٍ عامُ

* * *

إلى آخر هذه القصيدة التى إن دلت على أمرٍ فهى تدل على خلو الميدان من زعيم روحى واجتماعى مثل الحبوبى .

---

(١) من مجموعة لمؤلف هذه الرسالة (٢) ١٨٥ ديوان الشبيبى مطبعة لجنة النشر والتأليف فى القاهرة .

إن يوم « الشعيبه » هو يوم المعركة الرهيبة فى هذا المكان بين الأتراك والإنكليز سنة ١٩١٤ فقد قاد « سليمان عسكرى » القائد التركى المعروف الجيش بنفسه مع أنه كان جريحاً . وقد أعدت له محفة من « بغداد » إلى « الناصرية » فزحف بالجيش التركى والمجاهدين العرب على الإنكليز ، وبعد قتال مرير هزم الجيش التركى وترك نصفه بين قتيل وجريح وانتحر القائد « سليمان عسكرى » .

وقد سجل هذه المعركة الرهيبة ، والتى تعد من أعظم المعارك فى العراق الأستاذ محمد رضا الشبيبى بقصيدة تعد من عيون الشعر .

نبتُ الربا حمرُ أشلاء وَأوراد ... منثورة لك بين القصر فالوادى(١)
دون « الشعيبة » أجساد موزعة ... فى البيد توزيعَ أعضاء بأجساد
جيش أقام ثلاثاً فى خنادقها ... خالى الحقائبِ من ماءٍ ومن زادِ

* * *

عشرون ألف عراقى ومثلهمُ ... حمر الحماليق من تركٍ وأكرادِ
فلّ العدو جناحيهم وَقلبهمُ ... من قبل تجهيز أعوانٍ وامدادِ
وقائدٍ حملوه فى محفتـهِ ... إلى الشعيبة من زوراء بغدادِ

* * *

جرى سليمان فى استعجال مصرعه ... مجرى كفاةٍ بأمرِ الحرب قواد
قاد الألوف فأرداها وأتبعها ... فى الحال نفسَ أبى غير منقادِ
مخاطرٌ عاش أعماراً لأنّ له ... فى إثرِ كل نجاة يوم ميلادِ

أسمعت إلى هذا الوصف فكأنك تشاهد المعركة فى خلال أبياتها ، وكأنك ترى الأشلاء المبعثرة هنا وهناك مضمخة بالدماء ، فهى والأوراد الحمر مبثوثة على حد سواء ، وقد شبه الأشلاء بالورود لأن سيلها كان عطراً وهو

---

(١) ٤٨ ديوان الشبيبى مطبعة لجنة النشر والتأليف فى القاهرة .

الجهاد فى سبيل الله ، وإذا كانت كذلك فهى أعطر من الورود وأزهى وأزكى .

ثم يأتى على ذكر الجيش ، وأنه أقام ثلاثة أيام فى الخنادق وحقائبه فارغة من الماء والزاد ، وهم عشرون ألفاً أو يزيدون من العراقيين وغيرهم من الأتراك قد هجم عليهم العدو ففلّ عددهم وقتل الكثير منهم . أما القائد التركى الذى أتى من بغداد إلى وسط المعركة وهو جريح فقد انتحر لما أن رأى الهزيمة قد حلّت بجيشه

كل هذا وغير هذا قد صوره الشاعر بأجلى مايصوره مِفَنّ مبدع مع تسلسل الفكرة ، وانتقاء فى الألفاظ .

وإذا كانت هذه المعركة قد خسرها المسلمون المجاهدون فانها عادت على الأدب العربى بالربح فكانت هذه القصيدة ومثيلاتها من نتاج تلك المعركة .

ومن جملة الشعراء الذين رثوا السيد محمد سعيد الحبوبى الأستاذ على الشرقى ومستهلها .

حماة الحمى قد شيعوك إلى الثغرِ فبالرغم أن يستقبلوك إلى القبر (١)

ورثاه الشيخ جواد الشبيبى والد الأستاذ محمد رضا ومستهلها :

لواء الدين لُفّ فلا جِهاد وباب العلم سُدّ فلا اجتهاد(٢)

لقد اختلفت الأوضاع الاجتماعية ، والسياسية بصفة خاصة ، فى العراق منذ بداية الحرب العالمية الأولى ، وتبعاً لذلك فقد ساوق الشعر العراقى هذه الحياة الاجتماعية الجديدة فاختلفت أغراضه وأهدافه عما كانت عليه سابقاً . أما أخيلته وأساليبه فقد دب فيهما نشاط وتجاوب مع الحياة الاجتماعية ، وإن كان بطيئا .

أما الناحية السياسية فى هذا الظرف أعنى من أوائل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ إلى ثورة العراق سنة ١٩٢٠ فكانت مضطربة ، فالخوف والقلق سائدان على المجتمع العراقى بأسره من جراء الحملة البريطانية وما

---

(١) من مجموعة خطية (٢) من ديوانه المخطوط .

سيعقبها ، ثم وجود الأتراك وهم يحاربون الإنكليز فى هذا الجزء من البلاد العربية ، مع علمهم بأنّ العرب لا يميلون إليهم بل ويكرهونهم ، لما أوقعوا عليهم من ظلم ، وجورٍ ، واستبداد ، وهتك للأعراض ، وسلبٍ للأموال ، إلى غير هذه الفظائع التى ارتكبها الأتراك فى العراق .

وقد صور الشعر العراقى جميع هذه المآسى التى وقعت على العراق منهم وإليك بعضها لأن تسجيلها جميعاً يحتاج إلى رسالة منفردة :

١ — فى سنة ١٣٣٥ هـ وفى أوائل محرم الحرام دخل القائد التركى « عاكف » الحلة بجيشه وقد خدع أهلها لإعلانه بأنه يريد أن يمر بها فاحتلها ، وأعلن الأحكام العرفية ونصب المشانق لأهلها ، وأعدم « ١٢٦ » شخصاً ، وهدم ثلاث محلات منها ، كما نفى إلى ديار بكر عدداً كبيراً من أهلها . وبقى فيها حتى أن احتل الإنكليز بغداد فالتحق به جيش « السماوة » الذى كان مرابطاً فيها فانسحب الجميع إلى أعالى الفرات . وفى هذا المجال يقول الأستاذ محمد على اليعقوبى عند تأبينه السيد محمد القزوينى الزعيم الروحى لمدينة الحلة .

قاستْ مِنَ الأهوالِ بعدَكَ أهلُها ... مالم يجلْ بسوانحِ الأفكارِ (١)
فتكتْ بها (الأتراكُ) فتكَ أميةٍ ... (بالفاخرية) فى بنى المختارِ
قتل ونهب وانتهاكُ محارمٍ ... وحريقُ أوطانٍ وهدم ديارِ

* * *

ويقول الأستاذ على الشرقى فى قصيدته « صفير العسس » .

(للتركِ) فى تقطيع أسبابِنا ... إلى المعالى السببُ الأولُ (٢)
قد حرشوا النارَ باطنا بِنا ... وأوقدوا البيتَ لكى يصطلوا
كم لهواتٍ أشغلوها بِنا ... فى ساعة الضيقِ لكى ينجلوا

---

(١) ديوان اليعقوبى ج ١ : ٢٢٦ مطبعة النعمان فى النجف .
(٢) ديون (عواطف وعواصف) للأستاذ على الشرقى ص ٩٢ مطبعة المعارف بغداد .

يستنجدونا وبأحبابنا أسيافُهم تفعلُ ما تفعلُ

* * *

هزتْ (فروق) عرشَ عبدالحميدْ فهزتْ الزوراءُ آبطالها
وابتسم (الترك) لعهد جديدْ فضاحكتْ (بغداد) آمالها
ويومَ راع القوم هولُ الوعيدْ خضنا لِرَدِّ الكيدِ أهوالها
فصار إذ تم لها ما تريدْ لنا المعزى والمهنى لها

* * *

وتثير الحروب والفتن فى العراق شجون الأستاذ محمد رضا الشبيبي فينظم قصيدة يتذمر فيها من سير الشؤون العامة فى هذا الجزء من الوطن العربى الذى يخادعه قواد الأتراك ويضمرون له العداء .

إلى مَ أجوبُ القطر سال جهالةً وماج تقاليداً وفاض خرابا(١)
سمعتُ بهصوتَ الرقى فأوجستْ به النفس من أعلى (فروق) خطابا
أخذناهُ تغريداً فرد به البكا على أثر أرزاء العراق نعابا
فيالك صوتاً كان طائرُ يُمنه يردد ورقاءً فرد غرابا

أسمعت إلى هذه النفثة من الأستاذ ، ووعيت ما فيها من حرقة ، ولوعة ، وهو ينظر إلى الشعب العراقى الذى يتخبط فى الجهالة والتقاليد التى ما أنزل الله بها من سلطان . ثم تقف نفسه حائرة وجلةً من صوت هذا الرقى المنبعث عن أفواه لا تنطق بالحق . فالأتراك يضمرون للعرب أمراً غير الرقى لهم على كل حال .

فالشعر العراقى كان سجلا لبقية الثورات والانتفاضات . فى النجف

---

(١) ديوان الشبيبي ص ٦ مطبعة لجنة النشر والتأليف فى القاهرة .

ثار المواطنون على الأتراك سنة ١٩١٥ وطردوهم نهائياً منها . كما طرد الأتراك أيضاً بحادثة (كربلاء) في نفس السنة.

وقامت « النجف » بانتفاضة ضد « الإنكليز » سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧م وقتلوا الحاكم السياسى « الكبتن مارشال » حاكم المدينة وحوصرت النجف (٤٥) يوماً بجيش انجليزى تبودل إطلاق النار بينه وبين النجفيين ، وبعد أن تم للإنكليز الاستيلاء على المدينة عوقب نحو مئتين منهم بالشنق والنفى . وقد فرّ من هذا الحصار الأستاذ عباس الخليلى بأعجوبة إلى (إيران) ونظم فى هذه الحادثة قصيدة عامرة يقول فيها :

رويداً رجال الإنكليز ورأفة ... إنْ اليوم أسرفتم فان لنا غدا(١)
وإنْ قصرت أقدامنا عن خطاكم ... مددنا إلى ما فوق هامكم يدا
على مهل ما نحن بالنعم التى ... ركبتم فهل خلتم خلقنا لكم سُدى
يحبكمُ أهل العراق على النوى ... فتىً فى سبيل المجد أمسى مشردا
إنْ اليوم أطلقت اللسان بحبكم ... فبالامس عنكم قد سللت المهندا

* * *

ولقد سجل الأستاذ محمد رضا الشبيبى هذه الحوادث التى انتابت العراق بقصيدة عنوانها « ثورة على الأتراك » وهى قصيدة طويلة عامرة فيها صراحة ونعى على السياسة لأنها حيل لا أمل لنا من إدراكها ثم يسير بالقصيدة على هذا الطريق فى الصراحة .

تأبى الحوادثُ إلاّ أن نَملكم ... ولا ـ ودين التآخى ـ ما بنا مللُ(٢)
أين الرهين بأموالٍ لنا ذهبتْ ... ومن يقيد بإخوان لنا قتلوا
أما شهيد معلّى فوق مشنقةٍ ... أو موثق بحبال الأسر معتقل

* * *

---

(١) شعراء الغرى ٤ : ٥٢٤ للاستاذ الخاقاني .
(٢) ديوان الشبيبى ٢٩ مطبعة النشر والتأليف فى القاهرة .

الشعر الحديث

والتغنى بالقومية العربية

درج العرب منذ أحقاب وأزمان يتغنون بامجاد أسلافهم ، وأجوادهم ، وشعر الحماسة مليىء بامثال هذا اللون الأدبى

إلا أنّ الشعر العراقى الحديث فى هذه الحقبة كان التغنى فيه بالقومية العربية ، ليس من ذلك القبيل بل قبيل آخر هو التحدى للاسعتمار التركى الذى أضاع البلاد العربية بجهل حكامه . يقول الاستاذ محمد رضا الشبيبى :

نحن الألى عرض فى جنب جوهركم   فيه نصالُ المنايا الزرق تنتصل (١)
قوم من العرب وخزُ النحل حظهم   وحظُ قومٍ سونا الارىُ والعسلُ
عند المغانم لا نُدعى ويفدحُنا   من المغارمِ ثقلُ ليس يحتَملُ

* * *

ويقول فى قصيدة أخرى ناعياً على الاتراك وسوء حكمهم .

ألا مدركٌ هذى البلاد وأهلها   فقد لقيتْ مِن جور ساستها جهدا (٢)
تفرغ أيدينا لتملأ جيبها   وتنهكنا جوعاً لنُشبعها حمدا

* * *

ثم هو فى قصيدة أخرى نراه بلون آخر متذكراً ماضى العرب من ناحية وانهم لاينصاعون للهوان والخسف . وهم معتزون بكرامتهم ورجولتهم وطيب مولدهم من ناحية ثانية

---

(١) ديوان الشبيبى ص ٢٩ مطبعة النشر والتأليف بالقاهرة

(٢) ديوان الشبيبى ص ١٨ مطبعة النشر والتأليف بالقاهرة

عرب على قسماتِ وجه وَليدهم ... مُتبين عنوان طيب المولِد (١)
لايطرقونَ الماء شيب نميرُه ... وغدا مخاضة رائح أو مغتدي

* * *

وللأستاذ السيد سعيد كمال الدين الذى قام بقسط وافر فى القضايا العربية هذه الأبيات :

أيجمع شملى من عراق ، وتونسٍ
مع الشام . مع لبنان . مع نجد . مع مصر (٢)
مع اليمن الميمون ؛ ثم مراكش ... أيجمع هذا الشمل يافرحةَ العُمر
فننسج للتاريخ ثوباً مجدداً ... تطرزه كفُّ الكرامة والنصر
وتصبح أقطارُ العروبة حُرّةً ... وشبانها فيها ذووا النهى والأمر

ونتيجة لهذه الانطلاقة من جانب العرب فقد اتسعتْ آفاق الشعراء فى العراق فى هذه الآونة فتجاوزتْ حدودها الأدبية الضيقة وخرجت من ذلك الإطار المحدق بفنها وعن تلك النواميس التى كانت مذعنه لها ، فهذا السيد عبد المطلب يقول :

أيها الغرب منك ماذا لقينا ... كل يوم تثير حرباً طحونا(٣)
أجهلتم بأننا – مذ خلقنا – ... عربُ ليس ينزل الضيم فينا
ولنا منعة من العِزّ يأبى ... عودُها أن يلين للغامزينا

ويقول الرصافى :

سنطلب هذا الحق بالسيف والقنا ... وشيبٍ وشبانٍ على ضمرٍ بلق(٤)

---

(١) ديوان الشبيبى ص ١٩ مطبعة النشر والتأليف بالقاهرة .
(٢) ٤ : ١٥٨ شعراء الغرى المطبعة الحيدرية
(٣) شعراء الحلة .
(٤) ديوان الرصافى ٣٩١ مطبعة دار الكتاب العربى

بكل ابن حربٍ كلما شدّ هزها　　　بعزمٍ من السيفِ المهندِ مشتقِ
تراه إذا ما عبّس الموت وجهه　　　بوجه يلاقى الموت مبتسم طلق
من العربِ مطبوعِ الطباعِ على العلى
بديع معانى الحسن فى الخَلق والخُلق

* * *

ونشبت الحرب « الإيطالية الطربلسية » سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٢ م فهزت مشاعر السيد عبد المطلب الحلى فقال :

قل لإيطاليا التى جهلتنا　　　بثبات الإقدام هل عرفونا (١)
كيف ترجو كلاب (رومة) منا　　　أن ترانا لحكمها خاضعينا
دون أن تفلق الجماجم والهام　　　بضرب يأتى على الدارعينا
سائلوها بنا غداة التقينا　　　والمنايا يخطرن فيهم وفينا
سل « طرابلسا » التى نزلوها　　　كيف ذاقوا بها العذاب المهينا

* * *

وللاستاذ الشبيبى عند نشوب الحرب العثمانية الإيطالية قصيدة عامرة تبين هول الحرب وشدتها

أوما أتاك (ببرقة) نبأ التى　　　رمت البلاد بمبرق وبمرعد (٢)
وتقدمتْ فتأخرتْ ولو أنها　　　قامتْ قيامتُها لقيل لها أقعدى
أبنى المطامع قوبلت أعدادكم　　　وقواكم بنظائرٍ لم تُعهدِ
فسلاحكم من أذرعٍ ورجالكم　　　من نسوة وجموعكم من مفرد

* * *

والجدير بالملاحظة فى هذه الأبيات ذكر المرأة ، وتشبيه الرجال الفارين

---

(١) ٤٤ قسم ثان من كتاب البابليات للأستاذ اليعقوبى .

(٢) ٩ ، ديوان الشبيبى مطبعة النشر والتأليف بالقاهرة . وله قصيدة أخرى فى هذا الموضوع ص ٢٢ فى ديوانه المطبوع .

الجبناء بها . والشاعر يمثل عصره تمام التمثيل فى العراق وفى ذلك الوقت الذى كانت المرأة فيه جـزءاً من أثاث البيت فلو أن الأستاذ الشبيبى نظم هذه القصيدة فى هذا الوقت لما شبه الرجال المغلوبين فى الحرب بالنساء إذ أن المرأة فى هذا العصر قد تطورت وخرجت من مكمنها إلى النور وشاركت الرجل فى حياته العامة والخاصة . وقد دفعتها الحياة فأصبحت تزاول أعنف الأعمال وأشدها جهدا ومشقة .

وأقرأ فى الشعر العراقى جانباً آخر من جوانب اليقظة العربية . هو التفجع واللوعة على الأيام الزاهرة الزاهية التى مرت على العرب ثم أخيرا على ما حل بهم من تشتت وتقسيم واضطهاد من الغرب المستعمر الذى يدعو للانسانية كل هذا وغير هـذا فى قصيدة محمد رضا الشبيبى وعنوانها (عاذل وعاذر) .

ألا نظرة للدراجاتِ عهودهم   لنشهد آداباً لهم وعلوما(١)
هَلُمّا نحيهم رُفاتاً رَميمـةً   ولكن متى حيا الرميمُ رميما
نُشاهد أرواحاً لهم أبدية   ونندبُ أرواحاً لنا وجسوما
متى أيها السفع الوجوه أرى لكم   وجوهاً أفاضت نضرةً ونعيما
تُشع حيـاة غضة وطلاقة   وتشبع نوراً ريقاً ونسيما

* *

ويقول الأستاذ على مشرقى فى قصيدته (مكوى العتب) .

قد طُوىَ الفسطاطُ عن مصرَ وقد   نامت بنو حمدانَ عنك ياحلبْ(٢)
وكوفةُ الجندِ اضمحلَّ جندها   وقدخلا المنبرُ من تلك الخطبْ

---

(١) ١٠ ديوان الشبيبى مطبعة النشر والتأليف بالقاهرة .
(٢) ١٠٠ ديوان عواطف وعواصف للأستاذ على الشرقى مطبعة المعارف .

لا ريشـــة للصقرِ فى أندلسٍ والشامُ لم يبقَ بها غيرُ الزغب
فقل لصنعاء ونجـــدٍ إذ أتى دورها هل ترجعان ما ذهب

ويقول الشبيبى :

من جاالب جُرحَ (بغدادٍ) وقد علمت أن الرشيد بذاك الجرح موتور(١)
للكرخ عهد منٍ (المأمون) مؤتمنٌ وفيه روح من (المنصور) منصور

* * *

ويقول فى قصيدة أخرى :

أعياد هذا الشرق صِرنَ مآتمـا لكنها لعُداتِنا أعيادُ(٢)
لسنا نحدُ عليك يوماً واحداً أو ليلة كل الزمان حِدادُ

. . .

ثم يأتى الاستعمار الغربى :

وَعدوكُم الاصلاح فلتتوقعوا بَرقاً جوانب وعدهِ إيعادُ
مدوا الحديد وما اهتززتُ لمده سِكَكُ الحديد بأرضنا أصفادُ
طرقُ الحديد إذا التوت وتشابكت شركٌ به شرفُ العراقِ يصادُ

. . .

هذه النفثة الأدبية ، والصرخة المدوية ، من الاستاذ الشبيبى أوجدها أخطر امتياز إلى (الألمان) فى عهد الحكم التركى . وهو امتياز خط سكة حديد اسطنبول — بغداد الذى كان مقرراً أن يمتد حتى البصرة على (الخليج) العربى . فقامت قيامة الانكليز من هذا الامتياز . وأخيراً رأوا خير طريق « لصده » هو بسط نفوذهم على العراق .

---

(١) ٣٢ ديوان الشبيبى مطبعة النشر والتأليف فى القاهرة .
(٢) ٢٤ ديوان محمد رضا الشبيبى مطبعة النشر والتأليف فى القاهرة .

ومن مظاهر هذه القومية الدعوة إلى الوحـــدة بين الصفوف ، ونبذ الاحقاد والضغائن والفتن . والتحلى بالمعارف والاتصاف بالجديد النافع ، والابتعـاد عن ذكر السالفين من الآباء والأجداد وما فعلوه كل هذا فى قصيدة الرصافى .

تقدّمْ أيهـا العربىّ شوطاً ... فانّ أمامكَ العيش الرغيدا (١)
وأسسْ فى بنائِـكَ كلَّ مجدٍ ... طريفٍ واترك المجد التليدا
فشر العالمين ذوو خمولٍ ... إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخيرُ الناسِ ذو حسبٍ قديم ... أقام لنفسِهِ حَسَباً جَديدا
تراه إذا ادّعى للناس فخراً ... تقيم له مَكارمُهُ الشُهودا
فدعنى والفخارَ بمجدِ قومٍ ... مضى الزمنُ القديم بهم حميدا
إذا ما الجهلُ خيّمَ فى بلادٍ ... رأيت أسودها مُسِختْ قرودا

. . .

وللأستاذ الشبيبي هذه القصيدة وتعتبر من أبرز شعره نظمها سنة ١٩٢م وهو فى مدينة صيدا يدعو فيها للوحدة أمام العدو الذى لا يريد غير الفرقة .

كونوا الوحـدة لا تفسخُها ... نزعاتُ الرأى والمعتقدِ (٢)
أنا بايعتُ على أن لا أرى ... فرقةً هاكم على هـذا يدى
عُقَدُ العالم شتى فاحصروا ... همكم فى حل تلك العُقَدِ
لتكن آمالكُم واضعـةً ... نُصب عينيها حياةُ الأبدِ
لتعش أفكارُنا مُبدعةً ... دأبُها ايجـادُ مالم تُجدِ

. . .

---

(١) ٣٥ ديوان الرصافى مطابع دار الكتاب العربي .
(٢) ٨١ ديوان الشبيبي مطبعة النشر والتأليف في القاهرة .

ويقول فى قصيدته (تنازع البقاء) .

رمتْ أمم عنها الجمود فأفلحتْ ... على حين أنّا تحته الآن نرزحُ (١)
محا اللهُ أجيالاً وكوّن غيرها ... ولوشاء ما كانوا ولو شاء ما مُحُوا
أصحُّ عبادِ الله ديناً ونحلةً ... مجاهدُ نفسٍ لا المصلِى المسبِّحُ

. . .

والأستاذ الشبيبى مصلح يرى وحدة الرأى كشأن غيره من المصلحين. فمن هنا ترى هذه الفكرة تتجدد فى أغلب قصائده :

وفرقةٍ بصميم الاجتماعِ بَدَتْ ... قضتْ على شمله المجموع بالبددِ (٢)
فليس تجنحُ آحاد لمجتمع ... ولا ترقُ جماعات على أحدِ
ما أكثر الجامعات السودِ قائمةً ... على مُنابِذةِ الأحقادِ والحسدِ

---

(١) ٨٨ ديوان الشبيبى مطبعة النشر والتأليف فى القاهرة .
(٢) ٨٤ » » » » » » » .

الشعر العراقى الحديث

فى ثورة ١٩٢٠

عندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها تراءى للاستعمار البريطانى بأن حلمه قد تحقق فأعدت المدرسة (الهندية) الاستعمارية البريطانية المشاريع لحكم العراق . إلا أن الشعب العراقى بأسره لم يقبل هذا الحكم المباشر لأن دهاقنة الاستعمار من هذه المدرسة لا يعطفون على القومية العربية ولا يحترمون العرب . كما أن مصالح الانكليز فى البترول . والسكك الحديد والموانى ، والتجارة ، وغيرهم لا تضمن مالم يحكم العراق حكماً مباشراً من رجال هذه المدرسة الاستعمارية .

وهناك مدرسة أخرى وهى المدرسة « الشريفية » الموجودة فى القاهرة والمكونة من رجال المكتب العربى وهذا المكتب يجمع الجواسيس أمثال « لورنس » وغيره والأذناب الذين تعاونوا مع الثورة العربية برآسة « الملك حسين » وأولاده . ورأى عميد هذه المدرسة يتلخص فى أن الحكم المباشر لا يجدى ، وأن أصدقاء الانكليز من العرب يجب أن تشكل الحكومات العربية على أن يكون شكلها عربياً إلا أنها مدعمة بحماية بريطانية قوية وشديدة .

هذا اللون الاستعمارى الوقح لم يقبله العراق لأن الاستعمار سيطر على اقتصاديات البلد عند فتحه ، كما أنه نقض العهود والوعود من الجنرال « مود » الذى قطعها على نفسه عند دخوله العراق إذ قال « جئنا محررين لا فاتحين » .

ثم أن الانكليز حينما دخلوا (بغداد) استولت الجيوش على كل خيرات البلد ، فارتفعت الأسعار ارتفاعاً فاحشاً ، كما أنها استعملت القسوة ، والشدة مع الناس من الرجال والنساء . وأن عملاءهم كانوا يدخلون البيوت على العوائل بحجة التفتيش فينهبون ما يشاؤون حتى الكتب الثمينة .

هذا اللون الاستعماري هو الذي أدى إلى انفجار ثورة ١٩٢٠ فى العراق .
لقد هدمت هذه الثورة كل آمال الاستعمار البريطاني إذ انهارت المقاومة الانكليزية فى أكثر أرجاء العراق على الرغم من أن أسلحة الثوار كانت بسيطة . ولم تقدر الحملة البريطانية على وقف الثورة العراقية إلا بعد أن استجلبت خمسين ألف جندي ، وصرفت ٤٠ مليونا من الجنيهات .

على أن الثورة فى نظر الشعب العراقي كانت حرباً مقدسة . وأن رجال الدين هم الذين افتوا بقداستها . وأن من يموت فيها كان مجاهداً فى سبيل الله شهيداً .

وبعد هذا كله عقد فى (القاهرة) المؤتمر الذى رأسه « شرشل » وقرروا الحكم فى العراق برآسة ملك عربي تعتمد عليه بريطانيا كل الاعتماد ، ويحفظ كل حقوقها فيه . فقرر المؤتمر إقامة حكومة عربية فى العراق على رأسها ملك يضمن مصالح البريطانيين هو فيصل بن الحسين فقام بهذه المهمة خير قيام . وركز الاستعمار بالاقطاعيين والخونة من عملاء الانكليز ، وحثالات الجندرمة من الأتراك .

هذا هو الجانب التاريخي من الثورة العراقية باختصار . كان واجباً حتميا على تقديمه لأنه يضيء على الجانب الادبي الذى نحن بصدد البحث عنه وهو الهدف والغرض من هذا البحث .

إن شعراء العراق البارزين . والذين يعدون فى الطليعة لم نجد لهم نتاجاً أدبياً أثناء الثورة العراقية . فالمرحوم (معروف الرصافي) لم يكن فى العراق ، ولم يدخل العراق إلا بعد أن شكل ما سمي بالحكم الوطني وبعد أن توج الانكليز فيصل بن الحسين على العراق . وبعد أن تلقى برقية من « حكمة سليمان » يرجو منه العودة إلى العراق لانشاء جريدة يتولى تحريرها . ولكن هل أن وجوده بالشام أو بفلسطين كان مانعاً من نظم قصيدة فى الثورة ومعنى هذا أن (الرصافي) لم يجد من الدوافع ما يقول الشعر فيها . كذلك الحكم على

الباقين من شعراء العراق البارزين مثل الشيخ محمد رضا الشبيبي وهو يعتبر من الأشخاص المندفعين فى ذلك الوقت بالقضايا العامة ، والمشتغلين فى الحقل السياسى العربى ، وكذلك يصح هـــذا القول على أخيه الشيخ باقر الشبيبى . أما الأستاذ على الشرقى فقد قيل عنه ما قيل فى موضوع الثورة وعلى أى حال فإن ديوانه خالٍ من أى قصيدة تستشعر منها بأنها تقرب من موضوع الثورة .

وبعد هذا فإن شعراء الثورة ليسوا من البارزين والمحلقين فى الشعر وأبرزهم هو الدكتور مهدى البصير وهو صاحب القصيدة التى مطلعها :

أعاد لنـا السيفُ مجد العرب ففازت دمشق وعزت حلب(١)

. . .

كما هو صاحب القصيدة التى مطلعها :

هدموا السلام فوطدوا آمالهم بحماية الأرعاد والأبراق(٢)

. . .

وهو صاحب القصيدة المشهورة :

بين الأسنـــة والقواضبْ شرف المبادىء والعواقبْ (٣)

وهى قصيدة طويلة لاداعى لذكرها جميعاً فمنها :

أيضـام شعب باسل جم المـآثرِ والمناقبْ
صعب الشكيمة صادق بجهاده سامى المذاهبْ
إنا تجنبنا الشقـاق فـكيف يحكمنا الأجانبْ

---

(١) ٩٧ الوقائع الحقيقية فى الثورة العراقية لعلى بزركان مطبعة أسعد ببغداد .
(٢) ٩٦ » » » » » » » » » » » :
(٣)

وله قصيدة أخرى فى موضوع الثورة القاها فى الجامع الأحمدى سنة ١٣٣٨ ﻫ يوم ١٤ رمضان .

إن ضاق يا وطنى علىّ فضاكا   فلتتسع بى للامام خطاكا (١)
بك همت أو بالموت دونك فى الوغى   روحى نداك متى أكون فداكا
ومتى بحبك للمشانق أرتقى   كى ترتقى بعدى عروش علاكا
أحمل وساماً فوق صدرك من دمى   ما كان أحلاه إذا حلاكا

. . .

فالشاعر إذا لم يمت فى سبيل الوطن فليس من أبنائه . وإن عينه لا يمر بها الكرى فهو قلق لأن البلاد غير مستقرة . فهو يرجو الرقى إلى المشانق من أجله الخ هذه المعانى الحماسية التى لا ترتفع إلى المستوى الأدبى الرفيع .

وله قصيدة أخرى مستهلها :

يا علم انت محرر الأوطان   فانشر لواك لنا على الشبان(٢)

. . .

ومن شعراء الثورة العراقية الأستاذ محمد الباقر الحلى وهو من أولئك الذين الهب الثوار بخطبه الحماسية وقصائده التى شحذت عزائم الثوار . فشعره وإن لم يرتفع من الناحية الفنية بل وحتى اللغوية إلا أنه من جانب ثانٍ يؤج بين الثوار لوضوحه عند عامة الناس . فمن قصائده :

يا شعب كيف حمى علاك يرام   وبنوك بعد العز كيف تضام
هذى الذئاب لهنّ فيك مسارح   فليحم عنك عرينه الضرغام

---

(١) الوقائع الحقيقية لعلى بزركان ص ٩٧ .
(٢) » » » » » » »

هم يطلبون على العراقِ وصايةً عجباً فهل أبناؤه أيتام

. . .

ومن قصائده التى كان لها وقع كبير وقد تلاها فى اجتماع سياسى لزعماء الثورة وذلك سنة ١٩٢٠ م .

بنو يعرب لا تأمنوا للعدى مَكرا
خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا
يريدون منكم بالوعودِ مكيدةً ويبغون إن حانتْ بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا أضا ليلهم فى الهند والكذب فى مصرا
حملنا وفى اليمنى الحسام لمن طغى علينا ، ومنشور الهدايةِ فى اليسرى

. . .

ومن شعراء الثورة العراقية المرحوم السيد خيرى الهنداوى المتوفى سنة ١٩٥٧ م .

إلى المجدِ قدْها فهى للمجدِ تنزع فقد طال ما ترجو وما تتوقع
لقد سمعتْ صوت النهوضِ إلى العلى فقامت على أقدامها تتوقع
بحقِ العلى قُدْها فاما حياتها تنال واما موتها فهو أنفع
أرى الأرض قد ضاقتْ علىّ برحبها فهل أنت يابن الأكرمين موسع
مُناى وقوفُ بين مشتجر القنا أحرضُ قومى للعلى وأشجع
ولست أبالى ان قضيت لبانتى دنا أم نأى عنى الحمام المروع

. . .

وللاستاذ ناجى القشطينى :

لقد نقض الأحلافُ فيكم عهوده ولا سبب يدعو لذلك مبرم
وراحت يهز العجب عطف غرورها وينجدها فى البحر جيشٌ منظم
فمدت يداها - شلها الله - تبتغى امتلاك عراقٍ إن هذا محرم

. . .

ومن شعراء الثورة العراقية المرحوم عبد الرحمن البناء . وله قصائد كثيرة نظمها فى ذلك العهد ، ونشرها فى جرائد الثورة . والبناء كثير الإنتاج سريعه .

ألا هكذا من رام أن يتحررا يطالب ومن يسكت يعش متأخرا
نهضنا فكسرنا القيود بهمةٍ لها قد غدا جمع العدوى مكسرا
نهضنا إلى استقلالنا بتكاتف نعمر مجداً قبلنا قد تبعثرا

. . .

ومن شعراء الثورة العراقية الأستاذ عبد الرزاق الهاشمى ، والسيد حبيب العبيدى ، والأستاذ عبد المجيد شوقى البكرى ، والسيد صادق الأعرجى ، والسيد عبد الكريم العلاف ، وفاضل الصيدلانى . والأستاذ السيد حسين كمال الدين فقد نظم قصيدة لامية مستهلها :

حنانيكَ ما العيش أن تنحنى برأسك كالأبله الخاملِ

. . .

وهى قصيدة بحث فيها الشاعر المخلصين على بذل النفس فى سبيل الكرامة ، وينعى فيها على العملاء الذين اتصلوا بالأجانب من أجل أطماع زائلة . ثم يعرج

على المرحوم الشيخ محمد تقى المحرك الروحى للثورة العراقية . وقد أفتى بالجهاد دفاعاً عن بيضة الإسلام .

ومن نظم فى الثورة العراقية الأستاذ جميل صدقى الزهاوى قصيدة وموضوعها (الرميثة) :

ماذا بضاحية الرميثة   من غطارفة جحا جح (١)
ولمن أقيمت فى البيوت   على كرامتها المناوح
قوم إلى دارِ البوارِ   مشوا فمن غاد ورائح
طلبو مساواة الحقوق   فطوحت بهم الطوائح
فزكت دماء قد أريقت   فوق هاتيك الأباطح

. . .

لقد أصاب الثوار ما أصابهم فى سبيل كرامتهم وعزهم ودينهم من قتل وتشريد وفقر لأن طيارات الانسكليز تركتهم بلا مأوى ولا مسكن ، وتركت جثث القتلى من النساء والأطفال مبعثرة الأوصال .

ومطوحين بنفسهم   خوف المذلة فى المطاوح
ترك العدى فتيـانهم   صرعى على سوح المسارح
وكأن طيـــاراتهم   فى الجو عقبان جوارح

وقبل الانتهاء من هذه القصيدة لا بد من ذكر أمر مهم وهو أن هذا الشاعر يناقض نفسه فينظم قصيدة فى مدح الحاكم السياسى « برسى كوكس » .

ومن شعراء الثورة العراقية الشيخ محمد على (اليعقوبى) الذى يحيى فيها الثوار ويعدهم بالنصر الذى سيكون حليفهم ، لأنهم بجانب الحق . وأنهم

---

(١) ١٢٠ . شعراء الثورة العراقية .

قد سمحوا بنفوسهم ففازوا بالعز ، وآب عدوهم بالخزى . إلى غير ذلك من الأغراض .

أحبتنا بساحات الكفاح ثقوا بالنصر فيها والنجاح(١)
نفرتم للوغى لما دعاكم لها الداعى بشوق وارتياح
سمحتم بالنفوس لها فكنتم مثالاً للشجاعة والسماح
ففزتم بالفخار بها وآبت أعاديكم بخزى وافتضاح
بيوم سجل التأريخ فيه مواقفكم بشكر وامتداح
به ابتهجت نواح الشعب بشراً و (لندن) باكية النواحى

. . .

ومن شعراء الثورة العراقية الأستاذ على البازى . وهو شاعر مكثر فى الفصحى والعامية . وقصيدته هذه طويلة يذكر فيها أسماء زعماء الثورة وقادة الدين ، وعلى رأسهم الشيخ محمد تقى صاحب الفتوى ، كما أنه يذكر المواقع التى حدثت فيها المعارك بين الإنكليز والعراقيين الثائرين على الظلم والطغيان والاستبداد . ومستهلها .

قف بالرميثة واسأل ما جرى فيها غداة ثارت بشوال ضواحيها(٢)

. . .

وللأستاذ محمد مهدى الجواهرى الذى سيأتى ذكره مفصلا قصيدتان . الأولى داليه نستدل منها على بدايته فى نظم الشعر . كما نلمح فيها عبقريته على الرغم من صغر سنه إذ نلمح بين القصيدة معانيا تقفز للقمة ثم تركزه فى

---

(١) ديوان اليعقوبى .
(٢) ١٣٨ شعراء الثورة العراقية .

الموضوع نفسه الذى لا يحيد عنه . وهذه البادرة دليل على ما سيكون عليه هذا الشاب فى المستقبل القريب وهذه هى القصيدة الأولى .

« الثورة العراقية »

(١)

إن كان طال الأمدُ   فبعد ذا اليوم غدُ
ما آن أن تجلوا القذى   عنها العيون الرُّمدُ
أسيافكم مرهفة   وعزمكم متقدُ
هبوا كفتكم عبرة   أخبار مَن قد رقدوا

« فى العوجة »

(٢)

فانشد بذاك عوجة   ومثلها يستنشدُ
هل اشتفت من العدى   أم بعد فيها كمدُ
وهل درتْ أبناؤها   أن الثنا مخلدُ
هم عمروها خطة   إلى اللقاء تحمدُ
خالدة ما ضرهم   أنهم ما خلدوا

« القطار »

(٣)

وللقطار وقعة   منها تفز الكبدُ
ما تركوا حتى الحديد   سلسلوا وقيدوا

---

(١) ٩٧ ديوان الجواهرى « بين الشعور والعاطفة » مطبعة النجاح سنة ١٩٢٨ م .
(٢) العوجة : قرية على جانب الفرات وتسمى بالرميثة . وفيها الواقعة المشهورة بين الثوار والبريطانيين . وقد فاز الثوار على الإنكليز .
(٣) هو القطار المدرع الذى بعثوه لتأديب الثور . وكان مشحوناً بالضباط البريطانيين لحطمه الثوار .

إلى أن يقول :

حتى إذا ما أجل دنا وحان الموعد
لم ينجه من الردى حديده الموصـــــد

. . .

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة .

أما القصيدة الثانية فهى تعتبر من أحسن الشعر الذى قيل فى ثورة ١٩٢٠ م على الإطلاق وهذه قيلت بعد الثورة بمدة وبمناسبة إحياء ذكرى لشهداء الثورة . وهى كما يظهرمنها للقارىء فى أخيلتها وأغراضها وأساليبها أرفع من سابقتها فى هذا المجال الأدبى .

لعل الذى ولى من الدهر راجعُ فلا عيش إن لم تبق إلا المطامع(١)
غرور يمنينا الحياة وصفوها سراب وجنات الأمانى بلاقعُ

. . .

وبما زهانى والقلوب ذواهل هناك وطير الموت جاث وواقعُ
وقد سدت الأفق العجاجة والتقت جحافل يحدوها الردى وقطائعُ
وقد بحّ صوت الحق فيها فلم يكن ليسمع إلا ما تقول المدافعُ
كمىّ مشى بين الكماة وحوله نجوم بليل من عجاج طوالعُ
يعلمهم فوز الأمانى ولم يكن لتجهله لكن ليزداد طامعُ
وما كان حب الثورة اقتاد جمعهم إلى الموت لولا أن تخيب الذرائعُ
هم استسلموا للموت والموت جازف وهم عرضوا للسيف والسيف قاطعُ

. . .

ومن شعراء هذه الثورة الأستاذ عبد الكريم الندوانى (اللامى) وقد

---

(١) ٥٤ ديوان الجواهرى « بين الشعور والعاطفة » مطبعة النجاح ببغداد ١٩٢٨

ألقى هذه القصيدة بين المجاهدين فى أطراف قضاء الحمى ننتخب منها هذه الأبيات .

ما الانتظار وقد بدت للرائى هذى البطاح تغص بالاشلاءِ (١)
كونوا لنار الخصم ماءً دافقاً فالنار يخمدها رشاش الماءِ
هبوا فقد حمى الوطيس ففجروا ترع الرقاب دماً على الرمضاءِ

. . .

وممن نظم فى ذكرى الثورة العراقية الأستاذ محمد جواد المعمار :

وتألقت حول (الرميثة) فتية مثل البدور يزينهم ابراق (٢)
خاضوا المعاركَ ثائرين ومابهم إلاّ الجسور إلى الردى سباق
فبنوا على أجسامهم وجسومهم مجـــداً لماء جسومهم دفاق
فتلألأت فى الرافدين رماحهم حتى استقل وبنده خفاق

. . .

وللأستاذ صالح الجعفرى قصيدة عنوانها « ذكرى شهداء الرميثة » وقد نظمها سنة ١٣٥٣هـ وهى مثبتة فى «شعراء الغرى» الجزء ٤ : ٣٣٩ . كما أن للأستاذ صالح بحر العلوم الشاعر الحر قصيدة (نشيد الثورة) مثبتة فى ديوانه المطبوع فى النجف ص ١٦ . وللاستاذ صالح الجعفرى قصيدة أخرى يجدها المتتبع فى شعراء الغرى ج ٧ : ٣٤٧ . وللاستاذ على الشرقى رباعية مثبتة فى ديوانه ص ١٧٠ (عواطف وعواصف) تؤيد المقالة التى تهمس عنه فى موضوع الثورة .

يا ثورة أعقبتها ندامـــة الثوّار

. . .

---

(١) الأدب العمارى .

(٢) الأدب العمارى .

إن الجانب الأدبى فى ثورة العراق على الانكليز المستعمرين سنة ١٩٢٠ كان ضحلا مهلهلا ، هذا إذا استثنينا قصيدة الأستاذ محمد مهدى الجواهرى العينية . فالغالب أن من نظم فى هذه الثورة لم يكن من الشعراء المحلقين فى فنهم ولعل نقاد الأدب يعدونهم ناظمين . كما أن بعضاً من هؤلاء الشعراء المار ذكرهم لم نجد لهم قبل هذه الثورة شعراً فقدظهروا أثناءها ، وقد حفزتهم ليقولوا هذا النظم الموزون وبعد الانتهاء منها تركهم الشعر . من ذلك مثلا قصيدة الأستاذ عيسى عبد القادر التى ألقاها فى جامع « الحيدرخانة » . وقد اعتبرت عند عامة الناس فى وقتها من الشعر الجيد فإذا ما رجعت إليها الآن وجدتها من ضعيف الشعر منها :

بنى النهرين نسل الطيبينا أفيقوا واسمعوا حقاً يقينا (١)
تفرقنا شعوباً وافترقنا فأصبحنا جميعاً صاغرينا
وأسلمنا بأجمعنا لقوم بغاة من طغاة جائرينا
فجاؤا واستبدوا ما استطاعوا وذا شان البغاة الظالمينا

. . .

أسمعت إلى هذا الكلام المقفى الموزون فحسب . إلا أن هذه القصيدة اقترنت بحادثة فسببت شيوعها وانتشارها . لقد ألقت سلطات الاحتلال البريطانى القبض على هذا الشاعر ، ونفته إلى البصرة فلما علم الناس بأمره اجتمعوا وقرروا تأليف وفد يقابل (المندوب السامى) محتجين على هذا التصرف المزرى من قبل السلطات العسكرية المحتلة .

إن هذا الحادث كفيل بأن يجعل من هذا الشعر المهلهل شعراً متميزاً فى الجودة وبخاصة عند عامة الناس .

---

(١) ٧٤ الثورة العراقية .

وهذا ليس بالأمر الغريب فى مثل هذا المجال ، فقد تسمع قصيدة من ملقٍ يحسن قراءة الشعر ويجيدها فتستحسن الشعر الذى ألقى على مسامعك حتى إذا قرأتها على انفراد هبط عندك مستواها الأدبى ، وما ذلك إلا لأنها اقترنت بأمرٍ خارج عن أطارها الفنى .

وقد حفظ لنا التأريخ الأدبى لوناً آخر من الشعر فى ثورة ١٩٢٠م . لقد ألقت السلطات البريطانيـة المحتلة القبض على عدد من المشتغلين بالقضايا السياسية ونفتهم خارج العراق . فكان منهم الشعراء فانبعثت قرائحهم داخل السجون والمعتقلات تبين الحالة التى هم عليها . وسوء المعاملة التى كانوا يلاقونها. من هذا الشعر قصيدة للاستاذ الشيخ محمد جواد الجزائرى فقد نظمها داخل السجن . يصف بها حالته وما لاقاه هو واخوانه من العنتِ والشقاء :

مددنا بصائرنا لا العيونا ... وفزنا غـداة عشقنا المنونا (١)
وصنا كرامـة شعب العراق ... وكنـا لعلياه حصنـا مصونا
وخضنا المعامع وهى الحمام ... ندافع عن حوزة المسلمينـــا
وجحفل أعدائنـا الانـكليز ... يمـلأ سهل الفلا والحزونا
يهاجم شعب بنى يعربٍ ... ليشفى احقاده والضغونا
وسربِ (المناطيد) ملأ الفضاء ... يصـبّ القنـابل غيثا هتونا
وقذف المدافع بين الجموع ... يهدُّ معالمهـا والحصونا
ولمّا ادلهمتْ علينـا الخطوب ... وحققتْ الحادثاتُ الظنونا
لقينـا زعازع ريب المنون ... وهان على النفس ما قد لقينا
نعم خاننا الدهر فى حربه ... وهل يترك الدهر حراً ركينا
غداة أسرنا بأيدى العدو ... ورحنا فقد كان داء دفيناً

---

(١) ٦٩ الثورة العراقية .

وجزنا كما شاء تلك الحزون ننتظر الفتك حينا فحينا
وأرجلنا طوع قيد الحديد تسيل دماً يستفز الرصينا
وما ضامنا ثقل ذاك الحديد ونحن بحسن الثنا ظافرونا

• • •

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة التى أتى فيها على كل مالاقاه من المستعمرين نفياً وسجناً وتشريداً .

وللمرحوم السيدخيرى الهنداوى المتوفى سنة ١٩٥٧ قصيدة يتشوق فيها إلى العراق وهو داخل سجن (هنجام) وقد استهلها بقوله :

أيها الشرقُ قد فقدت الشروقا فأضلَّ الاقوامُ فيك الطريقا
أين (هنجام) من مرابع انسى رنقَّ القوم ِ صفوها ترنيقاً
فوق شط الفرات حيث يرفّ الماء عذباً والظلُ رطب صفيفاً

• • •

وبعد أن توج الانكليز فيصل بن الحسين ملكاً على العراق باستفتاء كاذب مزور وقد ضمن فيصل لهم مصالحهم الاقتصادية التى فتحوا العراق من أجلها . كما هم نكلوا بزعماء البلد وأحرارها وشردوهم . ووضعوا (الدستور) العراقى حسب مشيئتهم ورغبتهم فقاطع الشعب انتخابات « المجلس التأسيسى » وفرض الانكليز القوانين والأنظمة الاستعمارية متسترين بألعوبتهم فيصل الذى لا حول له ولا طول كما قال عنه الرصافى :

وليس له من أمره غير أنه يعدد أياماً ويقبض راتبا

• • •

فالانكليز يقيمون وزارة ويقعدون أخرى ويقربون جواسيسهم وعملاءهم من الحكم فأصبحوا بين عشية وضحاها من المثرين إذ أن الانكليز قد أغدقوا عليهم الأموال الطائلة . يقول الرصافى :

ودع عنك أخبار العراق فإننى   لا علم منها ما يفوق العجائبا (١)
فلا تحسبنه أن ذو حكومة   ولو ضربوا ظلماً عليه الضرائبا
لئن ألفوا بالكذب فيه وزارةً   فإنّ بها للكاذبين مآربا

. . .

وللرصافى فى المعاهدة :

والعهد بين الانكليز وبيننا   كالعهد بين الشاة أو الرئبال
من ذا رأى ذئب الذئاب مصافحاً   بتودد حملاً من الأحمال

للاستاذ محمد على اليعقوبى :

حكومات ولكن ليس تبدى   (بغير الاستشارة) أو تعيد

وكان فى كل وزارة من الوزارات مستشار دائم ورأيه فوق الآراء . فكل إمكانيات البلاد ومواردها الاقتصادية وغيرها بيدهم وتحت تصرفهم . فكثير من الموظفين الإداريين وحتى رؤساء العشائر من الاقطاعيين يراجعون المستشارين الانكليز . كما أن السفارة البريطانية فى العراق هى التى تنتخب الوزراء وأغلبهم من الأميين وأشباه الأميين من العشائر الاقطاعيين ومن لا (شهادة) له إلا أنه كان سائساً أو جاسوساً أو شرطياً فى بداية الحملة البريطانية . فإدارة الدولة كانت فى واقع الأمر تدار من قبل السفارة الانكليزية . وهذا مصداق قول الأستاذ باقر الشبيبى فى القصيدة التى يخاطب بها مستر (كراين) الأمريكى بمناسبة زيارته العراق وذلك سنة ١٩٢٩م .

---

(١) ٤٣٣ ديوان الرصافى .

قالوا استقلت فى العراق حكومة فعجبت إذ قالوا ولم يتأكدوا(١)
أحكومة والاستشارة ربها وحكومة فيها المشاور يعبد
الحكم حكمهم بغير منازع والأمر مصدره هم والمورد
المستشار هو الذى شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تعربد

لقد نددت قرائح شعراء العراق بالاستعمار والمستعمرين وأذنابهم منذ أن وطأ الانكليز أرض العراق حتى ثورة ١٤ تموز الخالدة سنة ١٩٥٨ لأنهم قيدوا العراق بمواثيق . ومعاهدات بفرضهم الانتداب . كما أذلوا المخلصين من رجاله . وشرعوا القوانين والأنظمة لغير صالحه ، وركزوا الاستعمار والرجعية وأشاعوا فى البلاد الفتن . والنعرات الطائفية ، ونكلوا بالمخلصين والوطنيين باسم الخروج على الأنظمة أو باسم النازية أوالشيوعية وما شاكل هذه التعلات ، وجعلوا من ضعفاء النفوس ومن لا ضمير له وزراء لاهم لهم إلا إرضاء أسيادهم الانكليز فعمت الرشوة فى البلاد حتى وصلت إلى البلاط وحاشيته فكانت وسط المحاكم وبين القضاة وعند المحامين فلا يعين موظف أو ينقل ، ولا تقضى فى الدوائر حاجة ، ولا ينفذ أمر إلا من طريق الرشوة . يقول الأستاذ الرصافى مخاطباً أمين الريحانى فى الحفلة التى أقامها المعهد العلمى تكريماً له وذلك سنة ١٩٢٢م .

أأمين لا تغضب على فإننى لا أدّعى شيئاً بغير دليله (٢)
من أين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير فى وطن يكون السيف عند جبانه والمال عند بخيله
والرأى عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله
وقد استبد قليله بكثيره ظلماً وذلّ كثيره لقليله

---

(١) شعراء الغرى للخاقانى .
(٢) ٤١٥ ديوان الرصافى مطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة .

اسمعت إلى هذه النفثه تتفجر غيظاً ، وتتقاطر ألما لما حل بالعراق فهو يقول له : إننى حينما أخبرك عما وقع فيه فلا تغضب علىّ لإنى الخبير فيه . ولا أقول جزافاً أو أدعى أمراً بغير دليله لكى تحصل عندك القناعة فيما أقول . فهل يرجى للعراق التقدم والازدهار ورجال الحكم يضلعون مع الاستعمار . فسبيل رقى العراق غير هذا السبيل ، ثم فصل الأمر بعد هذا الإجمال فقال : لا خير فى بلد تعكس فيه الأحوال وتقلب فيه الأمور . فالسيف بيد الجبان الرعديد فمن الذى يدفع عنه الكرب عند الشوائد ، والمال الذى يجب أن يبذل فى سبيل تقدمه وازدهاره يملكه البخيل القابض عليه الحريص على جمعه . والرأى والعقل والبصيرة عند الطريد من أبنائه المخلصين ، كما أن العلم الذى يجب أن تسير الدولة على هداه هو عند البعيدين الغرباء عنه . أما الحكم وإدارة دفته فبيدالغريب الأجنبى الذى لايهمه من أمره سوى السيطرة على مرافقه . وقد استبدت طغمة حاكمة بأكثرية الشعب ، وساموه سوء العذاب . ونتيجة لهذا الاستبداد وذلك الطغيان والجور أن أصبح الشعب برمته خاضعاً لهذه الأقلية التى لا تؤمن بالشعب وحقوقه ، فهى تحكم عن طريق القوة والتعسف معتصمة بالمستعمرين الدخلاء الذين لا يرجون غير السيطرة على موارد البلد متسترين بهذه الطغمة .

ثم هو فى قصيدة أخرى أصرح وأوضح من هذه التى مرت عليك فى الاحتفال الذى أقيم لأمين الريحانى يحمل فيها حملة شعواء على الحكم والحكومة . وأنهم عبيد للاجانب لا يرون غير مصالحة ، كما لا يرى هو غير مصالحهم وبقائهم فى الحكم . وأن الدستور ، والمجالس النيابية ماهى إلا اسماء لا تدل على أى معنى عندهم من المعانى الدالة عليها عند وضعها ، لأن هذه المجالس وذلك الدستور خاضعان للحكم الأجنبى ولإدارة السفارة البريطانية ومستشاريها :

علم ودستور ومجلس أمةٍ كلٌ عن المعنى الصحيح محرف(١) -

---

(١) ٤٥٣ ديوان الرصافى مطابع دار الكتاب بالقاهرة .

اسماء ليس لنا سوى ألفاظها أما معانيها فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعلم أنه وقفاً لصك الانتداب مصنف
من ينظر العلم المرفرف يلقه فى عز غير بنى البلاد يرفرف
من يأت مجلسنا يصدق أنه لمراد غير الناخبين مؤلف
من يأت مطّرد الوزارة يلفها بقيود أهل الاستشارة ترسف

• • •

وللأستاذ الشيخ محمد جواد الحجامى المتوفى سنة ١٩٥٧ قصيدة فى الغزل إلا أن فيها أبيات تظهر مدى يأس العراقيين من العهود الكاذبة التى يعدنا بها الاستعمار البريطانى فيقول :

قلبى استقل بحبكم وله الحشى مستعمره (١)
فأنا العراق وانكم بعهوده (أنكلتره)
فمتى الخلاص وإننى ما بين لحيي قسوره

• • •

ويقول الأستاذ الرصافى فى قصيدة أخرى لا يمكن أن تشكل فى العراق وزارة إلا بعد أن يباركها الإنكليز فى لندن :

إن الوزارة لا أبالك عندنا ثوب يفصل فى معامل لندنا(٢)
لا يرتديه سوى امرىء أضحى له طبعاً وداد الانكليز وديدنا

• • •

ويقول الأستاذ باقر الشبيبى :

حكومة من فلول الحرب صورها هذا الزمان على شكل الحكومات(٣)

---

(١) ٧ : ٤٢٢ شعراء الغرى للخاقاني المطبعة الحيدرية فى النجف .
(٢) ٤٩٦ : ديوان الرصافى .
(٣) ١ : ٤١٢ شعراء الغري للخاقانى .

تجرى وراء هواها أو عواطفها　　حرصاً على شهوات الحكم والذات

وللأستاذ الأكبر الشيخ محمد الحسينى آل كاشف الغطاء هذه الأبيات التى يتحرق فيها على الأوضاع السائدة فى العراق :

كم نكبة تحطم الإ　　سلام فيها والعرب
والإنكليز أصلها　　فتش تجدهم السبب
بل كل ما فى الأرض　　من ويلات حرب أو حرب
هم أشعلوا نيرانها　　وصيروا الناس حطب
واستخدموا ملوكنا　　اضر بنا ولا عجب
فلكهم بغرضهم　　كان وإلا لانقلب
هم نصبوا عرشاً لهم　　فى كل شعب فانشعب
وأسوأة إن حدث　　التأريخ عنهم وكتب

. . .

وهذا الأستاذ محمد مهدى الجواهرى يصور الحكومة العراقية بأبدع تصوير ، وبأدق تعبير فهو يشبهها بالرواية الممسوخة الأدوار ، والملفقة من كل الحيل والشرور والأوزار . أما هؤلاء الأشخاص — الوزراء ومن يدور فى فلكهم من النواب والأعيان — فهم ممثلون تصنعاً ويتلقنون من ذلك الشيخ المتوارى خلفهم وهو الاستعمار البريطانى الذى انتدبته عصبة الأمم وصياً على هذا الشعب الأعزل إلا من الحق :

ورواية حبك الزمان فصولها　　فبدت لنا ممسوخة الأدوار(١)
من شر ما اختلق الرواة ولفقت　　حيل وضمت دفة الأسفار
وممثلين تصنعاً ووراءهم　　خلف الستار ملقن متوارِ

. . .

(١) ١ : ديوان الجواهرى مطبعة بغداد .

أما الاستاذ صالح بحر العلوم فهو يستصرخ بنى وطنه ويرجو أن يهبوا مسرعين لإنقاذ الأمة العربية التى خيم عليها الانتداب :

بنى وطنى هبوا لإنقاذ أمة عليها رواق الانتداب مخيم(١)
بنى وطنى جدوا لإسعاد أمة مخاصمها فى حقها يتنعم
فهذى بلادى للاجانب جنة وأما على أبنائها فجهنم
ورضوانها (السر همفريز) فإنه يملك فيها ما يشاء ويحرم

• • •

والأستاذ بحر العلوم جرىء مناضل أطبقت عليه السجون والمعتقلات سنين عديدة وهو لا يعرف المهادنة واللين يجهر بمحاربة المستعمرين وأذنابهم والخونة من عملائهم حتى ملكهم الذى توجه (مؤتمر القاهرة) على العراق فها هو يخاطبه بقصيدة عنوانها (العبودية والأغلال) :

أبأثواب الرعاع البالية قدتعودت ارتداء السندس(٢)
أم على جانب بئر البادية كنت تسقى عذب ماء التايمس
فاذكر تلك الحياة الماضية وتذكر أن ذا من نفسى
أنا قدمت الدماء الزاكية فتأخرت بتاج الدنس

• • •

ويخاطب الأستاذ الرصافى (مستر كراين) فى الحفلة الكبرى التى أقامها الحزب الوطنى فى بغداد لتكريم الثرى الأمريكى الشهير بمناسبة مجيئه إلى بغداد سنة ١٩٢٩ .

وإذا تسأل عمن هو فى بغداد كائن(٣)

(١) ٧٩ ديوان شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم مطبعة أسعد ببغداد .
(٢) ١٢ ديوان شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم مطبعة أسعد ببغداد .
(٣) ٤٢٩ ديوان الرصافى .

فهـو حكم مشرقيٌّ الفرع غربيٌّ الملا بن
وطنى الإسم لكن انكليزى الشناشن
عـــربى أعجمى معرب اللهجة راطن
فيه للإيعاز من لندن بالأمر مكامن
هو ذو وجهين وجه ظاهر يتبع باطن
قـــد ملكنا كل شيء نحن فى الظاهر لكن
نحن فى البـاطن لا نملك تحريكا لساكن

. . .

ويقول الأستاذ صالح بحر العلوم عن حكومات، العهد البائد الذى هو فى الواقع امتداد للحكم العثمانى الجاهل المتفسخ الرجعى :

حكومة واطأها الانتداب فأولدت عرش العراق البليد(٢)
وقام فيهـا منجل الانتخاب يحصد رأس العربى المجيد
فاختلقت مملكة من تراب فظن بعض أنها من حديد
وانتهبت منها يد الاغتصاب ما تركت أذناب (عبد الحميد)

. . .

فى هذا الدور الحالك من تأريخ العراق الحديث أغدق الإنكليز على منتسبيهم الأموال التى لم يحلموا بامتلاكها فأطلقوا أيديهم للرشوة والنهب . فاستولوا على الأراضى الزراعية وانتهبوها من ملاكها ، وشاركوا الناس بأرزاقهم فكانوا تجاراً فى الأسواق ، وحكاماً فى الدوائر ، وخدماً للاستعمار ، وطواغيت على الشعب . لا هم لهم غير مصالحهم الشخصية ، ومنافعهم الذاتية فتركزت الثروات من الأموال المغتصبة فى بغداد فابتنوا الدور والأسواق والعمارات ، وامتلكوا السيارات ، وساهموا فى الشركات . وتصاهروا

---

(٢) ١٠٧ ديوان شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم مطبعة أسعد ببغداد .

فكانوا عصابة يشكلون الوزارات من ذويهم وأقاربهم ، ومحاسيبهم ، يدبرون المؤامرات ويحبكون الدسائس ، وقد عجت دوائر الحكومة بالجواسيس من الإنكليز باسم الخبراء ، والمستشارين ، والأساتذة، فكان قسم كبير من خزانة الحكومة يصرف رواتب ضخمة على هؤلاء وغالبيتهم من منتسبي الجيش البريطاني .

أما الليالي لحكام هذا الشعب فهم يقضونها على موائد الخمر ، واللهو ، والقمار تشاركهم في كل هذا نساؤهم والعوائل المتفسخة : عراقية ، وأجنبية يقول الأستاذ الجواهري :

تداول هذا الحكم ناس لو أنهم　　أرادوه طيفاً في منام لخيبوا
ودع عنك تفصيلا لشتى وسائل　　بها ملكوا هذى الرقاب وقربوا
فأيسرها أن قد تُحُلِّبَ عرضهم　　إلى أن أدروا ضرعها فتحلبوا

. . .

أما الشعب وما فيه من مرض ، وجهل ، وفقر : وعراء ، وحفاء ، فليس في الحاكمين من يلتفت إليه أو يعطف عليه ، والويل كل الويل لمن يقول ويتكلم فالسجون والحديد والمعتقلات والنفي كل هذا وغيرهذا من بعض جزائه :

يقول الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي في هذا المجال :

وطني المحبوب كم كابدتها　　محناً أضوتك دمعاً ودماء(١)
وعلى أرضك كم أروقة　　ضربت للظلم لم ترض السما
وكم استشرى بك الشر وكم　　روع الحي ، وكم ريع الحمى
وتمادى كم تمادى خائن　　يتولى خائنا أو مجرما
صاح في أرجائها نهيا كما　　لج في غلوائه واحتد ما

---

(١) من ديوانه المخطوط .

ويقول الأستاذ أحمد الصافى النجفى :

يا خائنا لبلاد قد نشأت بها
ماخنت بالأرض بل بالأهل والسكن (١)

ما ذقت إذ خنت للاخلاص لذته ومن يذق لذة الإخلاص لم يخن
إن كان دينا ولوع المرء فى وطن فقد كفرت بها يا عابد الوثن
حتى م تعلن إخلاصا لتخدعنا والسر ينقض ما تبديه فى العلن

وللاستاذ الكبير الحاج عبدالحسين الادرى قصيدة عنوانها (الطاغية) :

أحداث هـذا الدهر تترى لك مرة وعليك أخرى (٢)
سهم غدرت به سواك رماك فيه الدهر غدرا
ما أنت غير فريسة للطيش مذ ألقاك غرا
وأراك لست من الالى قتلوا حياة الناس خبرا
أخطأت فى طلب العـلى ليس العلى طيشا وكبراً
كذبت عليك عصابة كانت تريك الثمـد خمرا
فملأت كأسك حالماً وازددت بالأحلام سكرا

• • •

وللاستاذ أحمد الصافى النجفى :

سقطت دولة وجاءت سواها فجرى مثل أختها فى قياس (٣)
خدعوا الشعب ثم أردوه ميتاً بفم باسم وقلب قاسى
ساسة الغرب تخدع الخصم لـكن خادع الشعب فى بلادى سياسى
كيف يرجو الشعب الوديع أمانا من نفوس ربت على الافتراس

• • •

(١) ٥٢ ديوان الأمواج المطبعة العصرية بدمشق .
(٢) مجلة عالم الغد البغدادية السنة الأولى العدد ٣ .
(٣) ٨٤ ديوان الأمواج .

وللاستاذ محمد رضا الشبيبي فى هذا :

تعسف قوم بالعراق وساوموا   على وطن ماسيم يوما بأثمان(١)

هم استعجلوا اللذات ينتهبونها   وهم بدلوا بالجوهر العرض الفانى

وقد تنكر الحر العراقى أرضه   فينأى ليدنوا منه ما ليس بالدانى

. . .

وللاستاذ السيد صالح بحر العلوم شاعر الشعب :

حسب بغداد اتباع الشهوات   فاحكمى بالعدل يا دار السلام

جف من عاصفة الظلم الفرات   وطغت دجلة فاختل النظام

. . .

وله قصيدة ينعى فيها على البذخ والترف فى بغداد .

قبور قومى بضفاف الفرات   قد منحت دجلة هذى القصور

وصبر ثوار الفرات العراة   ألبس بغدادك تاج الغرور

ومن أسى نسوته الثاكلات   أسست الزوراء (قصر الزهور)

وهذا القصر هو الذى بناه فيصل بن الحسين وأسماه (قصر الزهور) بجانب الكرخ .

. . .

ويصور الأستاذ الشيخ على الشرقى (بغداد) وما عليها من ترف ونعيم بحدائقها الغن ، وأضوائها المتلألأة ، وشوارعها الجميلة الشجراء ، وقصورها المنيفة ، وما بها من غيد حسان تزدان بها تلك القصور فتصرخ جمالا ، وتعج زهواً .

---

(١) ديوان الشبيبى .

(٢) ديوان محمد صالح بحر العلوم .

تجاذبت دجلة من حضن الشجرْ رواضعٌ تروع عينا وأثره (١)
تجرى وقد رف النبات فوقها وفوقه الأغصان فوقها الثمرْ
وفوقه القصر المنيف فوقه سوافر الغيد وفوقها القمرْ
مناظر تدرج الحسن بها ويصعد الحسن ويصعد النظرْ
وكل قصر أطلعتْ كواته كواكب الأرض وأقمار البشرْ
تنوعت فيها أكاليل الهنا من كهرباء وزهور وشعرْ

ثم بعد هذا كله وغير هذا يسترسل فى وصف (بغداد) وجمال لياليها فيقول .

أطيب أوقات الليالى سمر والليل فى بغداد كله سمرْ

. . .

ثم يقارن هذا الشاعر بين (بغداد) الزاهية وبين بقية البلدان فى العراق التى يخيم عليها ظلام الليل والفقر والجهل ، ثم يعيد الكرة فى وصفها إلا أنه يريد أمراً آخر فى هذا الوصف يريد أن يقول : إن كل هذا البذخ والنعيم من الرسوم التى تجبى ، ومن الضرائب التى تنتزع من أولئك الذين يسكنون الأهوار والمستنقعات ، ويفترشون الأرض مع المواشى .

ثم هو يهدد رجال الحكم والقابضين على أزمته بأفاعى الرافدين التى ستنزع جلودها أو هى نزعتها للزحف على بغداد . والويل لكم من الشعب إذا جاع فهو لا يرحمكم وقد بدت علائم زحفه ، وسيجعل عاليكم سافلكم ، ويسقى آخركم بكأس أولكم فهو يحرق الأرم من هذه الويلات التى أذلته وأهانته فأين المهرب إذا جد الجد ولا مهرب لكم من غضبه .

بغداد فى لهو وزهو دائم والقطر فى كآبة وفى كدر
شوارع شجراء فسح نجمت بالروضة الغناء فى كل ممر
تخاطفت بالزاهيات رتّلا متصلا أو زمر أثر زمر

---

(١) ١٢٨ عواطف وعواصف لعلى الشرقى . مطبعة المعارف ببغداد .

أكل هذا البذخ يا بغدادنا ... من برقة الحمّار أو جرف الصخر (١)
من كسرة الفلاح أقداح الطلا ... ومن عصا الراعى القهار والبطر
يضيمن الناشز من أبنائها ... يقول ، هذا الزبد من ذاك البقر
قلت : العراق مائت فقال لى ... وما العراق مائت إلى سَقرْ
إن أفاعى الرافدين نزعت ... جلودها ضيما وسابت للخطر

• • •

واستمع إلى الأستاذ أحمد الصافى النجفى فى قصيدته « الوضع الشاذ » :

جرس النهضة قد دق فلم ... نتيقظ حين دق الجرس (٢)
سرق الطامع أبهى مجدنا ... ومضى يعدو فأين العسس
قد رقدنا أملاً فى حرّس ... ولقد نمنا ونام الحرس
سهروا فى أول الليل ومذ ... نهض السارق يسعى نعسوا
باسم هذا الشعب نالوا ثروة ... ثم باعو الشعب لما أفلسوا

وللاستاذ كاظم السماوى قصيدة عنوانها :

(أغانى القافـــلة)

فى كل مجزرة يطيح بجيلها ... طاغ تجبر واستبد ضلالا
حتى تصرمت القرون ولم تزل ... يتحلبون من الدم الأوشالا
باسم الغزاه الفاتحين تخضبت ... لم الثرى مما أريق وسالا
تتناثر الاشلاء فى حوماتها ... وتنيخ من حز الرؤوس تلالا
ليقال دوّخها وهدّ قلاعها ... عنت يقلقل بطشه الأجيالا

• • •

---

(١) برقة الحمار : مستنقع كبيرة ، وجرف الصخر : قرية من القرى المهملة فى العراق .
(٢) ٢٨٢ شعراء الغرى للخاقانى ج (١) .

الفلاح

فى الشعر العراقى الحديث

إن حالة الفلاح فى العراق ، وما هو عليه من فقر وفاقة ، وظلم ، من رؤسائه الإقطاعيين ، وعدم عناية من الحكومات المتعاقبة ، إن حالة الفلاح كانت موضع رعاية المخلصين فى هذه البلاد والأحرار من كتابها وشعرائها . فقد كشف الأدباء حالة الفلاح وما ينتابه من عوز ، وأوبئة ، وأمية ، كادت تقضى عليه لولا فجر ١٤ تموز الخالد الذى أطاح بالمستعمرين ومن يلوذ بهم من نفايات الأتراك .

فأول عمل قامت به حكومة الثورة من أجل الفلاح أنها ألغت نظام دعاوى العشائر رغبة فى تحقيق المساواة بين جميع أبناء الشعب العراقى ثم جاءت بقانون « الإصلاح الزراعى » فقوضت الاقطاع من جذره . وأمنت أرضاً لكل فلاح وستتحول هذه البلاقع إلى رياض غن .

إن معظم أراضى العراق أميرية ، ونتيجة لتطبيق (قانون التسوية) فى العهد البائد انتقلت مساحات شاسعة من هذه الأراضى إلى المتنفذين من رجال الحكم ورؤساء العشائر الإقطاعيين . وأدّى هذا الإجراء إلى حرمان الفلاح من الأراضى . فمن هنا نرى معظم شعراء العراق قد استفزتهم الحالة السيئة التى تحيط بالفلاح وإليك قصيدة للاستاذ أحمد الصافى النجفى وعنوانها الفلاح :

رفقاً بنفسك أيها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه فلاح(١)
لك فى الصباح على عناك غدوة وعلى الطوى لك فى المساء رواح

---

(١) شعراء الغرى للخاقانى ج (١) المطبعة الحيدرية فى النجف .

هذى الجراح براحتيك عميقة ونضيرها لك فى الفؤاد جراح
فى الليل بيتك مثل دهرك مظلم ما فيه لا شمع ولا مصباح
فيخر سقفك إن همت عين السما ويطير كوخك إذ تهب رياح
هذى ديونك لم تسدد بعضها عجزاً فكيف تسدد الأرباح
بغضون وجهك للمشقة أسطر وعلى جبينك للشقا ألواح
عرق الحياة يسيل منك لآلئا فيزان منها للغنى وشاح

. . .

هذه صورة صادقة لحالة الفلاح فى العراق ، لا مبالغة فيها . فقد صورها هذا الرسام فأخرجها كما هى . فالفلاح فى العهد الاستعمارى البائد هو كثير السعى قليل الربح يذهب نتاج كده وتعبه لجيوب الاقطاعيين والملاك . فهو بلا أية مبالغة يبيت طاويا يئن من الجروح العميقة فى جسمه الهزيل المتداعى الذى يتحامل بعضه على بعض كبناء يريد أن ينقضّ ، فى كوخ مظلم لا أثر للنور فيه . يخر سقفه إذا جادت السماء بمدرارها ، ويطير إذا هبت الرياح الهوج عليه . كما أن الديون المتراكمة لا يمكنه تسديدها لأن أرباحها تزيدها والربا يربو عليها . أما وجهه فهو أسعف كالح بادٍ عليه أثر الشقاء والألم الدفين .

ثم يأتى الشاعر على من سبب هذه المآسى لهذا المخلوق فيخاطبه قائلا : إن عرق جبينك الذى يتقاطر منك تعبا ونضالا فى سبيل العيش يستحيل إلى لآلىء تزدان به صدور الغوانى الحسان . وإن كل نزاع وتشاجر يحدث بين هؤلاء الشياطين ما هو إلا على امتلاكك لأن جهودك تستحيل خمراً فى الأقداح وتعبك يؤول إلى عبثٍ على موائد القمار . هذه الصورة الشجية التى يرسلها الأستاذ الصافى من صميمه فنقرؤها فى هذه الأبيات :

عرق الجبين يسيل منك لآلئا فيزان منها للغنى وشاح
أتصد جيش الطامعين ولم يكن لك فى الدفاع سوى الصياح سلاح

يتنازعون على امتلاكك بينهم ولهم عليك تشاجر وكفاح
كم دارت الأقداح بينهم ولم تملأ بغير دموعك الأقداح
يا واهب الخير الجزيل لشعبه أكذا يجازى بالعقاب سماح

• • •

أما المرحوم الشيخ جواد الشبيبى المتوفى سنة ١٣٦٣ﻫ فانه يخاطب الفلاح بلون آخر غير هذا اللون الذى مرّ عليك فيقول :

يا حارث الأرض والساقى وباذرها قتر إذا نفع المحروم تقتير(١)
إذا أتاك رجال الخرص فالقهم بطلعةٍ برقت منها الأسارير
إن باغتوك بنارٍ شبها غضب وسعرتها من العسف الأعاصير
فاحفظ بقايا حبوب منهم سقطت فللبقايا ببغدادٍ مَنا قير

• • •

وللاستاذ السيد ضياء شكاره قصيدة ، مستطيلة ، فى « الفلاح » ، نقتبس منها ما يأتى ولعله يجارى بها قصيدة الصافى النجفى لأنها على الروى والقافية .

إن عزّ فى ليل الخطوبِ صباح فلأنت أنت صباحه الوضاح(٢)
تتطلع الدنيا لعزمك رهبة والعزم عندك فكرة وكفاح

• • •

وللاستاذ أنور شاؤل قصيدة عنوانها « الفلاح المنكوب » وأخرى « الكوخ المحترق » (٣) .

---

(١) ٢ : ٤١٨ شعراء الغرى للخاقانى المطبعة الحيدرية فى النجف .
(٢) فى ديوانه المخطوط .
(٣) فى ١٧ ، ٢٣ ديوانه « همسات الزمن » مطبعة المعارف ببغداد .

أما الأستاذ محمد صالح بحر العلوم ، فله فى هذا المجال شعر كثير ، لا تتحمل تسجيله هذه الرسالة المحدودة الجوانب . وهذه أبيات من قصيدته « الفلاح » وهى التى ألقاها أمام جمع غفير فى النجف وقد حكم عليه بالسجن المؤبد من أجلها من قبل المجلس العرفى العسكرى وشمله عفو سنة ١٩٣٥ .

أيها الفلاح فيمن ترتجى فرج الخير وخير الفرج(١)
وحواليك أفاعٍ لسعت قصب الكوخ بناب الحرج

. . .

كم نعيمٍ أحرزته فئةٌ هو من دونك بؤس فاتك
وقصور سلبتها سلطة منك بالجور وأنت المالك
ومصابيح عَلَتْها بهجة هى لولاك ظلام حالك
أبهذا الوضع تحيا أمة وبها الظلم وباء هالك

. . .

وللأستاذ الأديب التقى الشيخ عبد المنعم الفرطوسى قصيدة عنوانها (ابن القرية) تقرأ فيها صورا مؤلمة من النكد والشقاء والظلم الذى يعانيه الفلاح فى العراق ، ولا أريد أن أزعج القارىء فأثبتها كاملة لأنها لوحة قاتمة إلا أن جانبها الأدبى الفنى مشرق فى الغرض والأسلوب .

وافى الحصادُ اليك فاعقدْ مأتماً للحزنِ واندبْ قلبك المفجوعا(٢)
قد كان عندك قبل حين حصادها أمل ترجيه بها فأضيعا
وأتتك تزدحم الجباة ولا أرى لك ما يسدّ عتوها المدفوعا
الزرع والبقرات قوتك بعتها إثر الشياه ولم تفِ المجموعا

---

(١) ديوان محمد صالح بحر العلوم ص ١١٩ (شاعر الشعب) .
(٢) ١ : ١٢٥ ديوان الفرطوسى مطبعة الغرى الحديثة فى النجف .

وأراك أجلد من صفاةٍ بينهم وأرى سواك على الرخاء جزوعا
ماذا بكوخك من حطامٍ يرتجى من أجله تتجشم التقريعا
فاخرج من الكوخ الحقير إلى العرى واخلع لديهم ثوبك المرقوعا
فعسى يفى بقيا الضريبة منهما ثمن يصون جبينك المصفوعا
أشبالك الغرثى بطونا روعوا قلب العفرنى بالبكاء فريعا
ضجوا وقد فزعوا اليك من الطوى هل فى عيابـِك ما يسدُّ الجوعا
أتراهم يتهافتون على النوى شبه الفراش إذا أحسَّ سطوعا
سود الجسوم عراتها فكأنما نسجت لهم كف الهجير دروعا

. . .

وللأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي :

تقلب الناس بعض فى بلهنية وأكثر الناس مرزوءون بالنكدِ (١)
ونائمين على الدقعاء تحسبهم آثام غالين فى الترفيه والرغد

وللاستاذ الأديب الملهم المرحوم الشيخ جواد السودانى قصيدة عامرة فى الأهداف والأخيلة وموضوعها — الفلاح — نقتطف منها مايأتى وهى من الشعر الجيد من كل جوانبها .

خذوا بيد الضعيفِ فقد أقيمت كراسى حكمكم بيد الضعيف
أكل متاعبِ الفلاحِ تجبى اليكم وهو يَحلف بالرغيف
فدى الكوخ الحقير وما حواه زخارف ذلك القصر المنيف

. . .

---

(١) ٨٤ ديوان الشبيبى ، مطبعة النشر والتأليف فى القاهرة .

وللاديب الشاعر الأستاذ السيد ابراهيم الوائلي النجفي قصيدة يكشف لنا فيها لوناً آخر من ألوان البؤس والحرمان الذى حاق بالريف العراقى . وهو يصب غضبه على بغداد الغارقة فى البطر والمجون فهى — كما يرى الشاعر وهو الحقّ — سبب هذا الشقاء .

بغداد والألم الدفين يهزّنى فإذا شكوت فلست أول شاكى(١)
لى مثل ما للشاعرين تعتب لو تستجيب لعاتبٍ أذناك
أبنيت دنياكِ الضحوك مدلةً وعلى مآسيها بنيت قُراكِ
فتذكرى الريف الحزين ومن به والقاطنين صوامع النّساكِ
والحاصدين من السهولِ رمالها والنائمين على الطوى الفتاكِ
واللابسين من الشتاء عراءه فى حين طاب لسامرٍ مشتاكِ
ريف لو ادكرت حياتكِ أنها ضيف عليه لساءها مجراكِ
يشقى ليحرس منكِ ليلاً باسماً ويعيش فى غلسٍ لكى يرعاكِ

* * *

أرأيت هذه اللوحة الزيتية التى رسمتها ريشة هذا المغنى فهى على ما تنتاب الإنسان من عطف على الفلاح ، وجزع على حالته الاجتماعية والصحية والاقتصادية عند قراءتها إلاّ أنها من الناحية الأدبية تهز المشاعر والأحاسيس لخيالها المبدع ، ولإطارها الأدبى الممتع . فهو يعاتب بغداد بلغةٍ منتقاة ، وبأسلوب هو فى ِعليةٍ من الأساليب الأدبية الضاحكة فى تعابيرها الباسمة ، وفى انتقاء مفرداتها ، المؤلمة ، وفى أهدافها ومراميها . ولا بدع فالوائلى قد عرفته النجف مذ كان يافعاً شاعراً تنعقد عليه الآمال .

وهذه قصيدة الأستاذ الشيخ على الشرقى عنوانها « رذاذ المطر » يستجدى

---

(١) ١٦٨ شعراء الغرى للاستاذ الخاقانى ج (١) :

فيها المروءة والحنان من الفيوضات الإلاهية لهذا الضعيف البائس . وهذه القصيدة نظمها الشاعر سنة ١٩٢٧ فلا بدع أن يكون بهذه الروح الوطنية الوثابة . إلاّ أن الأستاذ الشرقي منذ أن صار « عينا » في مجلس الاعيان ، وكان وزيراً (بلا وزارة) في عدة وزارات مع الطغمة الحاكمة التي قضت عليها ثورة (١٤) تموز الخالدة صمت ولم يقل بيتاً .

إن هذا الشاعر الذي يتقاطر ألماً ، ويتصاعد زفرات على البؤساء من الفلاحين خمد صوته ، وانطفأت تلك الشعلة الوهاجة بعد أن عدَّ من رجال الحكم . وأرباب المعالي : وغطّ بالنعيم والترف . ولعل تلك الوطنية كانت ستاراً لما آل إليه : وطريقاً كانت نهايته خدمة الاستعمار .

آه لو تمطر السماء مروءة وحنانا على القرى والضواحي(١)
أخوي اسمعا نداء الاخوة يتعالى من أنة الفلاح
يا ضعيفاً لديه أكبر قوة وفقيراً يجيء بالارباح
ما (لاشياخة) خلاف الفتوة إنهم في ظلاله وهو ضاحي(٢)

* * *

وللاستاذ عبد الصاحب الدجيلي قصيدة في الفلاح :

هو البؤس قد أخنى عليه ولم يكن لمأواه إلا كوخه النازح الخالي(٣)

* * *

وللاستاذ السيد مير علي أبو طبيخ في هذا الموضوع :

آبرةٌ لم يزل يشق ويرفو أدم الارض متقن في فنونه(٤)

---

(١) ١٠٢ عواطف وعواصف ديوان علي الشرقي مطبعة المعارف ببغداد .
(٢) المقصود بالأشياخ هم الاقطاعيون
(٣) ٢٣٨ شعراء الغري ج (٥) .
(٤) ٦ : ٣٤٤ شعراء الغري للخاقاني .

ينظم اللوح بين سق ورعى | لكتاب يروق فى تدوينه
ضرب الارض سكة تلو أخرى | فكأن الارزاق رشح يمينه
فتراه إذا أكبّ عليها | معرباً لا يشذ عن تنوينه
راح ينثر سر الطبيعة حتى | أخرج الزرع شطأه من طينه
لم يزل يرصد الزمان انتجاعاً | بين كانونه إلى تشرينه
صبغت وجهه الاهاجير فانصا | ع كشكلِ الغرابِ فى تلوينه
وقضى الله بالشقاء عليه | فهو ميت نجل عن تأبينه

* * *

وللاستاذ السيد محمود الحبوبى فى هذا المجال .

كلما شاهد المقاصير ملأى | بالنعيم الرقراق أو أسبابه (١)
لم يشاهد فى الكوخ يأوى إليه | غير اقفاره وغير خرابه

* * *

وللأستاذ على الشرقى قصيدة عنوانها « معاتبة الطاغى » ويقصد بالطاغى (الفرات) فقد طغى عام ١٩٢٩ فاغرق الأحياء الزراعية . ونكب القطر أفظع نكبة . وهى قصيدة طويلة تثبت ما يلى :

يا خيبة الفلاح فى آماله | من ضيعة الأموال والأتعاب (١)
سل دولة الأقطاب هل من منفذٍ | لبيوته فى دولةِ الأقطاب
وجرائد الكتاب هل من منعةٍ | لزروعه بجرائد الكتاب
ومناهج الأحزاب هل من سدةٍ | مردومة بمناهج الأحزاب
طافت حنايا الكوخ فوق خصاصه | الغرقى وعام البيت بالأخشاب
ولقد نظرت أثاثه الطافى فلم | أبصر سوى حصر وجرد ثياب

---

(١) ١٣ (ديوان الحبوبي) ج (١) مطبعة دار النشر في النجف
(٢) ٢٠٢ عواطف وعواصف ديوان على الشرقى

وللاستاذ محمد مهدى الجواهرى فى قصيدته « النجوى » وهى قصيدة غراء منها :

وليت الفداء لكوخ الفقير قصور أناف بها المترفونا (١)
إذا ما استدارت خطوب الزمان سيعلم أيهما الخاسرونا

إن شعراء العراق يختلفون اختلافاً بيناً عن شعراء بقية الأقطار العربية فى روح النقمة على الأوضاع الشاذة ، وسوء التصرف من الطبقات الغنّية ، وسوء المعاملة التى تلاقيها الطبقات الفقيرة المحرومة حتى من أبسط وسائل العيش ، بينما نجد الاغنياء والمثرين على حسابهم فى أرفع درجات المتع . يقول كاتب هذه السطور :

السادرون به على طرف والكادحون به على طرف (٢)
والشعب مأخوذ بمسغبة والحاكمون بقمة الترفِ

. . .

فلو انجلى لك شعر العراق الحديث على حقيقته ، وأطلعت على دواوين الشعراء المحدثين لوجدتَ أبرز مايواجهك فيها هو تصوير حالة البؤس والشقاء والمآسى التى يلاقيها الشعب .

وهذا أمر يكاد يكون طبيعياً ، ففلسفة هذه النقمة على طريقة الحكم ، ونفثات الشعراء المليئة بالحقد الدفين تعكس لك حالة الشعب ، وما هو عليه واتساع الشقة بين الحاكمين والمحكومين .

إن الأستاذ محمود الحبوبى يقرع الحاكمين والغارقين فى الترف والنعيم بأسلوب آخر ، فهو يكشف لهم ماهم عليه من السعة فى العيش ، وينهاهم عن التفكير بمن حولهم من الشعب الذى يتضور جوعاً من ناحية ويتساقط شهداء من ناحية أخرى . كما ينهاهم عن التفكير بغير اللهو والمجون . وأن

---

(١) ١٥٩ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف .
(٢) عن ديوانه المخطوط .

يتركوا من حولهم يلعنون الزمان ، وأنه هو المسبب لهذه الفوارق . وكأن هذه النظم الاقتصادية لا حساب لها بهذه الفوارق كما قال الشبيبي :

أخطأ الحقَّ فريقٌ بائسٌ　　　لم يلوموننا ولاموا الزمان (١)

والأستاذ الحبوبي يؤكد على القابضين على أزمة الحكم بأن لا يفكروا بما امتلكوا من القصور الشامخة وأنها لولا هذا الشعب لما شيدت ولا بالخمور وأنها جاءت بها دموع اليتامى والمساكين :

لا تفكر بأنَّ حولك ناساً　　　يتمنون أن يمصو العظاما (٢)
لا تفكر بهم وهبهم صخوراً　　　لا تحس الأوجاع والآلاما
لا تفكر بغيرِ لهوٍ ودعهم　　　يلعنون الزمان والايَاما
لا تفكر بأنَّ خمرتك الصهباء　　　جاءت بها دموع اليتامى
لا تفكر بأنَّ قصرك لولاهم　　　لما شيد واستطال دعاما
لاتفكر وضحِّ بالشعب واشرب　　　دمه ـ إن ظمئت ـ جاماً لجاما

. . .

وللاستاذ بدر شاكر السياب يقرع الحاكمين بهذه الأبيات :

النائمين على الحرير وحولهم　　　شعب مراقده على الغبراءِ
والسارقين من الرضيع وأمه　　　لبناً لكلب نابح وجراءِ
والسالبين منِ العذارى بسمةً　　　ذابت فكانت لمعة لحذاء
والصانعين قياثراً أوتارها　　　أعراق هذى الأمة الخرساء

. . .

(١) ديوان الشبيبي .
(٢) ديوان الحبوبي .

حرية الرأى

فى الشعر العراقى الحديث

إن شعراء العراق على بكرة أبيهم لسان الشعب الذى يطالب دائماً وأبداً المسئولين من حكام العهد البائد « بحرية الرأى » ويلحون بالطلب . ولم تجد شاعرا فى العراق الحديث لم يصور هذه المأساة . فالشعب بمختلف طبقاته — إلا الطغمة الحاكمة — ما ذاق طعم الحرية ولا تنسم عبيرها منذ الحملة البريطانية وتشكيل الحكم المسمى بالوطنى فى هذا الجزء من العالم .

أما فى عهد الاستعمار التركى الجاهل فكلامنا يطول فى موضوع (حرية الرأى) لأنّ حكامهم جهلاء لا يعرفون للحرية معنى وفاقد الشىء لا يعطيه كما يقولون . والحكم المسمى بالوطنى فى العراق وإن كان امتداداً للحكم التركى إلا أن فارق الزمن هو الذى يتحكم فى هذا الموضوع . وهو الذى يملى إرادته .

فالاربعون سنة التى مرت على الحكم فى العراق حتى ثورة (١٤) تموز الجبارة التى أطاحت به — كانت للشعب العراقى عبارة عن سجون ، ومعتقلات ومناف وأحكام عرفية . وقتل للطلاب الأبرياء . وشنق لأهل الرأى والعقيدة وانتزاع للجنسية .

أما الصحف فالوطنية المخلصة منها، وهى على قلة عددها، لا يمكن أن تعيش إذ أنّ قانون المطبوعات الاستعمارى كان وبالا ونقمة عليها . أما غير الوطنية فضالعة مع هيا كل الاستعمار، تغدق عليها الأموال من خزانة الدولة ، ومن السفارات الاجنبية ، وأصحابها من الاميين وأشباههم . وممن لفظهم المجتمع العراقى . وهذه الصحف المأجورة لاهمّ لها إلا الدفاع عن شركة النفط وعن جرائم مطايا الاستعمار البريطانى والامريكى .

إن صورة الحكم البشعة فى العهد الماضى البغيض تطالعك كل يوم فيه . « الإذاعة العراقية » التى تكيل التهم للوطنيين الأحرار وتشتم المخلصين من أبناء الأمة العربية جمعاء ، وتمجد الخونة والمتآمرين ، إلا أن الشعب العراقى كان لا يستمع إليها محولا أذنه شطر إذاعات خارجية ، ومن هنا جلب العهد البائد المقيت آلات للتشويش على المحطات الوطنية فى العالم التى ينصت إليها الشعب .

وكذلك القياس على كل الادوات التثقيفية ، من سينما ، ومطابع ، ودور نشر ، وأمثال هذه الوسائل التى هى سبيل ثقافة الشعب . يقول المرحوم الرصافى فى قصيدته الحرية وسياسة المستعمرين .

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرَّم (١)
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُّوَّمُ
من شاء منكم أن يعيشَ اليوم وهو مكرّم
فليمس لا سمع ولا بصرٌ لديه ولا فمُ
لا يستحقّ كرامةً إلا الاصم الابكمُ
فإذا ظلمتم فاضحكوا طرباً ولا تتظلموا
وإذا أهِنتم فأشكروا وإذا لطمتم فابسموا
إن قيل هذا شهدكم مر فقولوا علقمُ
أو قيل إن نهاركم ليل ، فقولوا مظلم

إلى آخر هذه القصيدة التى إن دلّت على شىء فانما تدل على الضغط الشديد وخنق الحريات وإخماد الاصوات ، ولكن بدلا من أن تنطفئ شعلة الحرية من هذا الاسلوب الارهابى فى قلوب الأحرار كان كالزيت يؤججها ويوقدها .

---

(١) ٤٤٠ ديوان الرصافى مطبعة دار الكتاب فى القاهرة..

وللاستاذ أحمد الصافى النجفى ما يأتى :

جاهد لحرية يحلُ الشقاء لها ودع نعيما به يستمتع الخدمُ (١)
أعطى حياتى عن حريتى بدلاً إنّ الحياة بلا حريةٍ عدمُ

* * *

وللاستاذ معروف الرصافى :

حرية الفكر فنياً غير جائزةٍ والحرّ منا مهان ليس يحترمُ (٢)

* * *

وللاستاذ السيد محمود الحبوبى هذه القصيدة الرائعة وعنوانها «الحرية» :

أكثيرة العشاق فى الأمم قد طال هجركِ فارفقى بهم (٣)
الوضعُ أظلم فابزغى قمراً وتجهّم القانون فابتسمى

* * *

أمل الشعوب المشتهى ، ومنى هذى النفوس الحرة الشيم
بكِ قد تغنينا ، ولستِ سوى حلم جميلٍ ، طاب من حلم
طال انتظاركِ فاطلعى لنرى عيشاً بلا ملل ولا سأم
والموت للاحرار أطيب من عيش العبيد وذلة الخدم
نام الطغاة ، وهنا وهنا مقل منِ الإرهاب لم تنم
إنّا مللناها ، « مراقبة » منهم على الأفكار والكلم

وهى قصيدة من الشعر الجيد يستعرض فيها سوء الوضع فى العراق . وهيمنة أذناب الاستعمار على حريات الناس . فالصريح منهم يساق إلى السجون. والحياة أشد من قفص ضيق على الشعب :

---

(١) ١١٥ المواجس ديوان الصافى .
(٢) ٤٣٨ ديوان الرصافى .
(٣) ٤٣ ديوان محمود الحبوبى مطبعة دار النشر .

أمنيـة الأحرار أرهقهم بعد ـ احتجابك ـ جور محتكم

وبعد ذلك يظل يعدد عشاق الحرية الذين ارتقوا المشانق. أما المصلحون فهم الذين لم يأبهوا بكل ما يقع عليهم. فأبو الفلاسفة سقراط قد زاد بك تهياماً وشوقاً.

وبكل عصر ألف داعيــة بين الشعوب إليك والأمم

. . .

وينادى الرصافى بملء فمه :

أحب الفتى أن يستقلّ بنفسه فيصبح فى أفكاره مطلقاً حراً(١)
واكره منه أن يكون مقلداً فيحشر فى الدنيا أسيراً مع الأسرى
إذا كان فى الأوطان للناس غاية لحرية الأفكار غايتها الكبرى
فأوطاننا لم تستقل سياسةً إذا أنتم لم تستقلوا بها فكراً
إذا لم يعشْ حراً عواطفه الفتى فسم الفتى ميتاً وموطنه قبراً

. . .

وشعر الرصافى مليء بحرية الرأى بمختلف مظاهرها فى الدين والاجتماع والسياسة وغيرها.

وللاستاذ الشيخ محمد على اليعقوبى مقطوعة عنوانها « حرية الفكر » منها

وما الفكر إلاّ كالمهند منتضى وأى انتفاع فيه أن كان مغمدا(٢)

. . .

وللاستاذ أنور شاؤول قصيدة عنوانها « صلاتى إلى الحرية ».

لك فى كل صباح ومساء إننى أتلو صلاتى ودعائى(٣)

---

(١) ديوان الرصافى.

(٢) ديوان اليعقوبى ج ١ مطبعة النعمان فى النجف.

(٣) ٢١ ديوان همسات الزمان.

وللاستاذ جميل صدقي الزهاوي قصيدة منها :

هي الحــــــرية الحسنا قد هام بها الشعب(١)

. . .

وللعلامة التقي الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي :

فليمضِ رأيك حراً ولم يشبه الرياء (٢)
لاتخفي صوتك اما أردت يعلو النداء
واظهر لا مرك مما يأخذك منه حياء
اليوم غيم ولـكن غداً تلوح السماء

. . .

وللاستاذ الزهاوي قصيدة عنوانها « يبتغي الشعب » :

يبتغي الشعب أن يسد الخروقا يبتغي الشعب أن ينال الحقوقا(٣)
يبتغي الشعب أن ينال المساواة شمولا وأن يزيل الفروقا
يبتغي الشعب أن يطالب حراً يبتغي الشعب أن يسير طليقا

وهذه القصيدة كبقية شعره على هذا النسق الذي لا يرتفع إلى حد الاستحسان كما لا مجال فيه للانخفاض ، فهو ، كما تراه ، شعر مبلد جامد لا حركة فيه ولا حياة .

وللاستاذ الأديب صالح الجعفري في موضوع « حرية الرأي » .

أراهم قيدوا الرأيَ فلم سموه لي حراً(٤)

---

(١) ١٦٨ ديوان اللباب للزهاوي .
(٢) ٩ : ٤٤٥ شعراء الغري للخاقاني الحيدرية .
(٣) ٢٤٦ ديوان اللباب للزهاوي .
(٤) ٤ : ٣٢٦ من شعراء الغري للخاقاني .

وما فائدة الرأى إذا لم أبده جهراً
هل المرء سوى أن يرتقى النفع أو الضرا

* * *

وللاستاذ الجواهرى فى (حرية الرأى) وهو يخاطب أبا العلاء المعرى فى المهرجان الألفى الذى أقيم سنة ١٩٤٤ فى الشام .

أجللت فيكَ من الميزات خالدة ... حريةالرأىوالحرمانوالغضبا(١)
مجموعة قد وجدناهنّ مفردةً ... لدى سواك فما اغنتنا أربا(٢)
فرب ثاقبِ فكرٍ حطّ فكرته ... غنمٌ فسف وغطى نورها وخبا
وأثقلت متع الدنيا قوادِمَه ... فما ارتقى صُعُدًا حتى دنا صببا
بدا له الحق عرياناً فلم يره ... ولاح مقتل ذى بغى فما ضربا
هذا اليراع شواظ الحق أرهفه ... سيفاً وخانع رأى رده خشبا

* * *

فالأستاذ الجواهرى فى هذه الأبيات يبجل أبا العلاء المعرى للصفات التى تحلى بها : حرية الرأى وهى من الصفات التى يعتز بها أبا العلاء . وحرمان غرائزه وشهواته من الملذات . وثالثة الأثافى من هذه الميزات هو الغضب والنقمة على الأوضاع المجانفة للحق والصدق والعدالة ثم، بعد هذا كله يقول : إن هذه المجموعة من الصفات التى تميزت بها جميعاً قد رأيناها متفرقة عند غيرك . فقد أرى فكراً ثاقباً عند فرد إلا" أنّ هذه الفكرة قد هوت به إلى المستوى المتخفض للغنم الذى سيطر على هذا المثقف الثاقب الفكر . فإن متع الدنيا ولذائذها قد أثقلت كاهله فمتى أراد قول الحق هبط إلى الحضيض للغنم الذى يصاقبه . فالحق قد بداله جلياً واضحاً مكشوفاً فلم يره لأن متع الحياة قد أعمته وضلت سبيله الخ .

---

(١) ٣٢٦ شعراء الغرى للخاقانى .
(٢) ٥٨ ديوان الجواهرى ج ١ مطبعة بغداد .

وللاستاذ الرصافى :

لعمرى أن الحر لا يتقيد ألا فليقل ما شاء فى المفندُ(١)
إذا أنا قصدت القصيد فليس لى به غير تبيان الحقيقة مقصد

. . .

وللاستاذ جميل صدقى الزهاوى :

إنى أمرؤ ليس عندى للحياة يد فما من الموت لى إن جاءنى رهبُ(٢)
حر تعود أن يقرى الأذى جلداً وأن تلم به الأحداث والنوب

وللاستاذ الرصافى :

متى تطلق الأيام حرّية الفكر فينشط فيها العقل من عُقلة الأسر(٣)

* * *

وللاستاذ محمد مهدى الجواهرى فى قصيدته « أمان الله » :

فما للحرّ بدٌّ من مقالٍ يرى لضميره فيه اقتناعا(٤)

* * *

وللاستاذ السيد على رضا الهندى النجفى قصيدة موضوعها « حريتى » :

حريتى لا أننى لن أحيدُ عنكِ لأنى عربىٌّ سديدُ(٥)
ولدت حـــراً وسأبقى على حريتى هيهات أن أعدلا
عنهـا ولا أخشى ملام الملا
فليس يثنى اللوم عزمى ولا
يعلق أفكارى جهول عنيد

---

(١) ديوان الرصافى مطبعة دار الكتاب بمصر .
(٢) ديوان الزهاوى .
(٣) ١٨٤ ديوان الرصافى مطابع دار الكتاب فى القاهرة
(٤) ١٥١ ديوان محمد مهدى الجواهرى ج ٣ مطبعة شركة الطباعة ببغداد .
(٥) جريدة اليقظة العدد ٣٠٧٨ فى ٢٦ كانون الثانى ١٩٥٩ .

وللاستاذ رؤوف الجبورى :

فكان جزائى أن دعيتُ مشاغباً وأودعت رهن السجن فى شر موضع
وما سجن الصيداح إلا لأنه ترنم باسم الحق فى شدوه معى

* * *

وهذا موضوع يطول الحديث فيه لأن الشعر العراقى الحديث وقف عنده وقفة طويلة .

المرأة

فى الشعر العراقى الحديث

لقد مرت على المرأة الشرقية عامة . والعربية خاصة عصور مظلمة ، وأدوار قائمة كانت ضحية جهل وفقر فى العقل . حتى وصل المطاف بها إلى الوأد وحين هبط الإسلام على الجزيرة وجاء النص: «وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت ، تزحزح عنها هـذا الظلم الصارخ ولكنها بقيت فى زوايا البيوت ، مقيدة بأغلال التقاليد الذميمة .

وأول شاعر فى العراق جهر بتحرير المرأة العراقية ، وطالب بفك أغلالها وقيودها المتحدرة عن الأجيال المظلمة هو الأستاذ جميل صدقى الزهاوى « على ما أعلم » . ومن الطبيعى أن تستنكر الرجعية هذه الدعوة . وفعلا قامت قيامتها على الأستاذ الزهاوى وأوصمته بالكفر والخروج على الدين . وكان هو فى ذلك الوقت أستاذاً فى مدرسة الحقوق فطلب علماء الدين من الوالى « ناظم باشا » فصل الزهاوى من وظيفته فأجاب طلبهم فعزله فعكف الشاعر فى بيته . ولما هدأت هذه الضجة أخذ الزهاوى فى دعوته الإصلاحية فقال .

هى الحقيقة أرضاها وإن غضبوا وأدعيها وإن صاحوا وأن جلبوا(١)

وهى قصيدة طويلة ينعى فيها على بنى وطنه النعى الصارخ . وينعتهم بالجهل ، والتعصب الأعمى الذى هو سبب تأخيرهم عن أن يلحقوا بالشعوب المتحضرة ، والتى تحررت من تلك القيود الذميمة ، المبنية على الجهل والفقر العقلى .

ولم يستطع الزهاوى أن يمكث فى بغداد فهجرها بعد أن تلقى عدة رسائل

---

(١) ٣٠٦ ديوان الزهاوى .

من شخصيات مصرية تدعوه للإقامة عندهم بعد أن نبت به بلده بغداد وهجرته .

وتوجه الزهاوى إلى مصر فمرّ فى الشام وهناك احتفل به أعضاء « المجمع العربى » وأقيمت على شرفه المآدب والاحتفالات وألقيت بهذه المناسبة خطب وقصائد كثيرة .

كما كرم فى مدينة (بيروت) وأقيمت له حفلة كبيرة وافتتحتها عقيلة رئيس بلدية (بيروت) الأديبة السيدة « جوليا طعمه دمشقية » صاحبة مجلة (المرأة الجديدة) وألقى الأستاذ الزهاوى قصيدة فى الحفلة التى أقامها الأستاذ « جميل بيهم » .

* * *

وله قصيدة أخرى منها :

لقد أضاعت عنده ... من الحياة حقها (١)
فهل تزوجت به ... أم ملكته رِقها
يسومُها الخسفَ فإن ... تذمرت طلقها

وله قصيدة فى خطر بقاء حجاب المرأة ، وإزالة هذا العائق الذى يمنعها من مشاهدة النور (٢) .

مزّقى يا ابنة العراق الحجابا ... واسفرى فالحياة تبغى انقلابا
مزّقيه واحرقيه بلا ريث ... فقد كان حارساً كذابا

. . .

سجنوا غير مشفقين العذارى ... فى بيوتٍ وغلقوا الأبوابا
وادّعوا أن فى السفور سقوطا ... فى المهادى وأن فيه خرابا
كذبوا فالسفور عنوان طهرٍ ... ليس يلقى مَعرّه وارتيابا

---

(١) ديوان الزهاوى .

(٢) ديوان الزهاوى ، وله قصيدة أخرى (ضلوا وأضلوا) ٣١١ من هذا الديوان .

وللاستاذ الرصافى قصيدة فى المرأة عنوانها « المرأة فى الشرق » وهو يرى أن سبب تأخر الشرق إهمال المرأة ، وسلب حريتها :

ألا ما لهذا الشرق فى بُرحاء يعيشون فى ذل به وشقاء (١)
لقد حكّموا العادات حتى غدت لهم بمنزلة الاقياد للأُسراءِ
لقد غمطُوا حقّ النساء فشددوا عليهن فى حبسٍ وطولِ ثواءِ
وقد ألزموهن الحجاب وأنكروا عليهنّ إلا خرجة بغطاء

. . .

وللاستاذ جميل صدقى الزهاوى قصيدة عنوانها « هزأوا بهنّ » يستعرض فيها حالة المسلمين فى كل صقع من الذين حجبوا نساءهم . وسجنوهنّ فى البيوت .

هزأوا بالبناتِ والأمهات وأهانوا الازواج والامهات (٢)
منعوهن أن يرين ضياءً فتعودن عيشة الظلمات
دفنوهنّ قبل موتٍ مريح فى قبورٍ سودٍ من الحجرات
إن هذا الحجاب قبر كثيف حال بين الفتاة والنسمات

. . .

وللاستاذ الرصافى قصيدة عنوانها « نساؤنا » :

ألا خليانى فى الكلام من السجع ولا تجريا فى القول إلا على الطبع (٣)
وإنى لأشكو عادة فى بلادنا رمى الدهر منها هضبة المجد بالصدع
وذلك أنا لا تزال نساؤنا تعيش بجهل وانفصالٍ عن الجمع

---

(١) ٢٣٢ ديوان الرصافى .
(٢) ٣٠٩ ديوان الزهاوى .
(٣) ٣٢٤ ديوان الرصافى .

وأكبر ما أشكو من القوم أنهم   يعدون تشديد الحجاب من الشرع

• • •

وللاستاذ صالح الجعفرى قصيدة عنوانها « على الهامش » وقد تضمنت حواراً بديعا يرمز إلى انتصار المرأة .

«الطير يستدل على السفور»

واستوى يخطب الزهور ويشدوا   برقيق الألحان والأطوار(١)
قال داء الحجاب داء عضال   حرمته شرائع الأطيار
أى فرق بين الخلائق حتى   بان هـذا وذاك فى أضمار
شرع نحن فى الحياة سواء   والمساواة شيمة الأحرار

* * *

إن للمرأة نصيب فى الحياة وهى أهل للحفاوة والتكريم ، وهى نجم يهتدى بها الرجل ، وإن شعوب العالم المتحضر يستدل على رقيها برقى نسائها . وهى لا تقل عن الرجل فى الحجى والفهم والإدراك .

ولقد أخذت مكانها فى هذا العصر بين القضاة والمشرعين ، وأصبحت عضوة نافعة فى البرلمانات . وتعلمت حتى أصبحت من المكانة العلمية والأدبية فى موطن لا تقل فيه عن الرجل بل سبقته فى بعض الميادين .

ويتقاطر الأستاذ الرصافى حسرات على المرأة بقصيدة عنوانها « المرأة المسلمة » يقول فيها أنى لم أر بين المجتمع انساناً ذا مظلمة مثل المرأة عند المسلمين فهى منقوصة الميراث قد الصقوا بها الجهل ، وحجبوها عن نور العلم .

---

(١) ٢٣٧ شعراء الغرى للخاقانى ج (٤) المطبعة الحيدرية فى النجف .

لم أر بين الناس ذا مظلمة　　أحق بالرحمة من مسلمه(١)
منقوصة حتى بميراثها　　محجوبة حتى عن المكرمه

وهي قصيدة ذات مغاز إصلاحية ، ومعان سامية ، هيأت هي وغيرها السبيل لسفور المرأة فى العراق فكان هذا الرائد خير مصلح ومرشد .

وكتبت الآنسة (نظيرة نور الدين) رسالة فى السفور والحجاب فنظم الأستاذ الرصافى قصيدة عنوانها « إلى الحجابيين » .

قل للحجابين كيف ترونكم　　من بعد سفر للسفور مبين (٢)
كشفت به ما كان من حجب العمى　　عنكم نظيرة بنت زين الدين
سفر أقام على السفور أدلة　　تركت ذبابكم بغير طنين
هل من نظير بينكم لنظيرة　　أو من فقيه مثلها وفطين

أما المرأة العراقية اليوم فإنها قد تطورت فى هذا المجال وبلغت مرحلة تدعو إلى الغبطة بالنسبة لما كانت عليه قبل ربع قرن .

والواقع أن كلية دار المعلمين ببغداد كانت سبباً مهما فى سفور المرأة العراقية فقد فسحت المجال هذه الكلية فجلست المرأة إلى جنب الرجل فى حلقات الدرس، وهى الآن تشارك الرجل فى جميع الكليات الطب والحقوق والهندسة وكلية الآداب والعلوم .

وقبل ربع قرن أرادت الحكومة العراقية أن تفتح مدرسة ابتدائية (فى النجف) فشمرت الرجعية عن ساعدها وأوقفت فتح المدرسة إلى أمد غير بعيد إلا أن الأستاذ محمد مهدى الجواهرى وقف بوجه هؤلاء الذين يتقمصون ثياب الدين فكانت قصيدته (الرجعيون) صفعة لم تقم بعد هاالهم قائمة ، وأخذ التيار مجراه ، وتخطى التاريخ إلى الأمام فلا رجعة لتلك الرجعة .

---

(١) ٣٢٧ ديوان الرصافى مطابع دار الكتاب فى القاهرة .
(٢) ٣٤٤ ديوان الرصافى .

ستبقى طويلاً هذه الأزمات إذا لم تقصر عمرها الخطوات (١)
إذا لم ينلها مصلحون بواسلُ جريئون فيما يدّعون كفاة

* * *

غدا يمنع الفتيان أن يتعلموا كما اليوم ظلماً تمنع الفتيات
تحكّم باسم الدّين كل مذمم ومرتكبٍ حفّت به الشبهات
وما الدّين إلاّ آلة يشهرونها إلى غرض يقضونه وأداة

* * *

وللأستاذ الجواهرى قصيدة أخرى حول هذا الموضوع وعنوانها « مدرسة البنات فى النجف » .

علموها فقد كفاكم شنارا وكفاها أن تحسبَ العلمَ عارا (٢)
وكفانا من التقهقر أنا لم نعالج حتى الأمور الصغارا
هذه حالنا على حين كادت أمم الغرب تسبق الأقدارا

وهى قصيدة طويلة يتطرق فيها إلى كثير من المشاكل الاجتماعية .

وللاستاذ صالح الجعفرى قصيدة عنوانها « هذبوها » وفى هذه القصيدة يقاوم دعاة الحجاب ، ويناشد أهل الرأى السديد مناصرة المرأة التى غمّطت فى الجهل قروناً .

هذّبوها فانها بشر لكمال الحياة تفتقر (٣)
النواميس بيننا شرع فهى أنثى وآخر ذكر
وأدوها وحقها غمطوا ربى رحماك إنهم كفروا
أهملوها وأى مدرسة أهملوها لو أنهم شعرو
قيدوها بشر سلسلة ثم قالوا بعقلها خللُ

---

(١) ١٢١ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى .
(٢) ١١٨ « « « «
(٣) ١١٣ شعراء الغرى للخاقانى المطبعة الحيدرية ج (٤)

ونظم الأستاذ حافظ جميل سنة ١٩٤١ م قصيدة يهاجم بها المرأة عنوانها « النساء » فانبرى له جمع غفير من شعراء العراق يردونه ويهاجمونه . ولا مجال هنا لذكر هذه القصائد فهى كثيرة جداً لا تتسع لها هذه الرسالة المحدودة الجوانب .

وهذه بعض من قصيد الأستاذ حافظ جميل . وأنا لا أقدر الظروف التى ساقت الأستاذ لنظم هذه القصيدة الطويلة مع العلم بأنه يتحلى بتفكير سام وبشخصية متطورة تشجب الرجعية بكل مظاهرها .

بله النساء وذكرهنه   شر الحديث حديثهنه(١)

هن المكيدة والخدا   عُ وهنّ كل الشر هنّه

مافتنة إلاّ ونافخ   نارها شيطانهنّة

* * *

وفى هذا المقام لا بدلى من تسجيل عدد من شاعرات العراق، فالعراق يزخر ويفخر بشعر المرأة فى العصر الحاضر . ولدينا منهن شاعرات يفقن بنتاجهن الأدبى بعض الشعراء من الرجال ، وأى فرق بين الرجل والمرأة ما دام العلم هو الذى يساوى بينهما فى المنزلة .

(١) « لميعه عمارة » :

« عام جديد »

يا رنّة الفرح الوليد   تهز أحشاء الظلام(٢)

لا شوهتك لظى الحروب   ولا عدمت شذى السلام

. . .

(١) ٥١ بقضى الوجدان ديوان حافظ جميل مطبعة الرابطة فى بغداد .

(٢) ١٥ ديوان لميعة عباس عمارة .

رفّ على الكون الحزين ببهجة العهد السعيد
وذرى الزهور تلفه بدلاً من الدم والحديد

. . .

آسى جراحَ المدنفين وكفكفى دمع الشقاء
ومرى الجباهَ الشاحبات ِ ينيرها ألقُ الرجاء

. . .

وهذه قصيدة أخرى عنوانها « التائهة »

هذى نهايتُك الأليمة يافؤادُ وذا المصير (١)
لمن الشكاة إذا تفجرت الدموع ومن يُجير
الريحُ تلفح جسمى الذاوى ويصهرنى الهجير
لا ظلّ لى آوى إليه ولا وقاء ولا نصير
عبثاً أفتش فى الفلا فأنا هنا وحدى

. . .

عبثاً أريقُ مدامعى وأبثُ آهاتى سُدى
قلبى يمزقنّه الصراخ ولا مجيبَ سوى الصدى
وشفاهى الظمأى تَحسُّ فى الثرى أثر الندى
قستْ الحياة وعذبت نفسى . فرفقاً يا ردى
لا تمحُ من عينى السَّنا وانا هنا وحدى

على هذا النسق البديع وهذا اللون الطريف الممتع تجرى الشاعرة فى بقية قصيدتها كالنمير العذب الرقراق ولا بدع فهى شاعرة بحق مذ كانت طالبة بدار المعلمين العالية .

(١) ٤٤ ديوان لمعة عمارة وهى أستاذة اللغة العربية بدار المعلمات الابتدائية ببغداد .

(ب) الدكتورة عاتكة الخزرجى .

« عيد العرب »

يا رايةً الاسلام عودى رفّافةً فوقَ البنُودِ(١)
رفّى على هام السّحاب ورتّلى آىَ الخُلودِ
سودى المشارق والمغارب فالكرامةُ أن تسودى
خطّى على لوح الزّمان حروفَ ماضيك المجيدِ
سيرى على هدى الآباة وراكبي ركب الجدودِ
لا تجحدى ماضيك فالتأر يخُ يزرى بالجحود
يا صفحة أملت على الأيام معجزة الوجود
كانت هُدىً للناس يمناً فاض من كرمٍ وجود
لا رقّ فى دنيا السلام وما بها عسف القيود
عمَّ الأخاء فما يرى من سيدٍ أو من مسود

وهذه قصيدة أخرى تجرى على سنن سابقتها فى التعبير والأهداف عنوانها :

« بعد الثورة »

وضح الصبحُ لدنيا العرب وتجلّى كسنىً من لهب(٢)
يا بُناة المجد يا أسد الحمى ياكرام الجند من كل أبى
إنّها الأيام تعنو لكمُ وعليها حيرةُ المرتقب
علّموا الأيام أنا أمةٌ ننقلُ الخطو على وحى نبى
نستمدُ الهدى من قرآنه سوراً مكتوبةً بالذهب

(١) من ديوانها المخطوط وهى أستاذة بكلية التربية .
(٢) من ديوانها المخطوط .

(ح) « أميرة نور الدين » :

« خطرات دجلة »

الماسُ فوقَ جبينها يتكسرُ والبدرُ فى كبدِ السماء مُنوّرُ (١)
يا بُوركتْ خطرات (دجلة) كلما حلّ المصيفُ وحلّ ليل مقمرُ
يا حبذا (المجذاف) يسبح فى السّنى والزورقُ النشوان إذ يتبخترُ
والموجُ يرقص للنسائم كلما همستْ تصارحه الغرام وتخطرُ
وذرى (النخيل) موائلٌ فكأنما تصغى لنجوى العاشقين وتنظرُ
والرملُ يشكو للمياهِ وساوساً ويبوح بالسّر الذى هو يضمرُ
ماذا أفى الأحلامِ نحن وحولنا بحر مِن الأوهام قد يتغيّرُ
أم نحن فى دنيا الحقيقة قد غفا عنا الزمانُ فليس ثمّ معكرُ
بل أين نحن من الزمانِ أعصرنا هذا خلتْ من قبلُ تترى أعصرُ
أم نحن فى (بغداد) وهى فتيّةٌ هارونُ فوق عروشها أو جعفرُ

ولها قصيدة أخرى عنوانها :

« عروبتى »

ورثتُ العروبةَ مِن مولدى فكانَ دمى من دِماءِ العربْ
ولمّا رضعتُ تناولتُها على صدر أمى ألذّ الحلبْ
ولمّا نشأت تلقنتها أقاصيصَ يسردُها خيرُ أبْ
فلمّا كبرتُ تلقنتُها تواريخَ من صفحاتِ الكتبْ
مفاخر بالنور قد سُجلت على صفحةِ الدهر أو بالذهبْ

---

(١) من ديوانها المخطوط وهى استاذة اللغة العربية بدار المعلمات الابتدائية ببغداد .
(٢) من ديوانها المخطوط .

(د) «حياة النّهر»:

«تحية الثورة»

قم حيّها حي الأشاوس ثاروا　　قم حيّها تقودها الأحرارُ(١)
قم حي ثورة شعبنا وفصيلة　　المقدام وانظر للخنى ينهارُ

* * *

وانصاع يهدر كاسحاً ممتداً　　شعبٌ تحفزه المنى والثارُ
والحقد أضرم ناره وأحالهُ　　لهباً تخاف شذاته الأشرارُ
يا شعب ثارات (الجسور) دفينة　　«والحى» يشهدكمْ قسا الجزارُ
«والكوت» يشهد سجنها ودماؤنا　　فى الوثبتين ويشهد «العشار»

* * *

(هـ) «فطينة النائب»

«هل أنت سعيد»

لا تقل: إنى سعيدْ　　أنت عبد فى قيودْ (٢)
فافتح العين تجدْ فى　　أفقنا فجراً جديدْ
أرهف السمع ستشجيـــك　　أناشيد العبيدْ
والمس القيـد ثقيـلاً　　بارداً يفرى الجلودْ
وأجبنى بعذاب القيد　　هـل أنت سعيدْ

* * *

قد ألفتَ القيدَ يا　　صاح فتعســاً للخضوعْ
كيف ترضاه وترجو　　الأمن أو طيب الهجوعْ

---

(١) جريدة صوت الأحرار ٢٦ لتشرين الثانى ١٩٥٨ .

(٢) مجلة الفكر البغدادية العدد (٥) للسنة الأولى . وهذه القصيدة كان العهد المبائد قد حذفها من ديوان هذه الشاعرة (لهيب الروح) ، وهى مفتشة لمدارس بغداد الابتدائية .

أنت حرٌ وله قلبٌ ثوى بين الضلوعْ
ألهُ حسٌ ويرضى العيشَ إذلالا وجوعْ
وأجنبي بهوانِ الذّل هل أنت سعيدْ

. . .

(و) « نازك الملائكة »

« أغنية الحياة »

إذا سألوا فى غدٍ عن هوانا ونحن تراب مع الذكرياتْ (١)
وراح يجبهم العابرون بانا مررنا بهذى الحياةْ
وذقنا الهوى والاسى والعذا ب كأسلافنا ثم عدنا رُفاةْ
وعفت على أثرينا الرياح وعدنا ضباباً تلاشى وماتْ

. . .

وقال لهم قائلٌ إننا شربنا الأسى فى ثنايا الكؤوسْ
وأن ابتساماتنا كنّ لوناً يغلف شيئا طوته النفوس
وأنا دفعنا أناشيدنا وأحلامنا للرجاء العبوس
وكنا كمن قبلنا غرباء على الأرض ثم طوتنا الرموس

* * *

(ز) « وفيّة أبو أقلام » :

« إلى كل مواطن حر »

أخى فى كل أرض تنشد القانونَ والعدلا (٢)

---

(١) الشعر وقضيته ١٤١ للاستاذ إبراهيم العريض. مطابع دار الكشاف بيروت ونازك مدرسة بدار المعلمين العالية (كلية التربية) .

(٢) من ديوانها المخطوط وهى استاذة بأحدى المدارس الثانوية ببغداد .

فكن عونى على حق   وحاذر أن تقل مهلا
دع المنجل والفاس   دع السنبل والحقلا
وهيا يا أخى وامض   معى كى نقطعَ الحبلا

« ونسقط حلف بغداد »

أتدرى أننى حرٌّ   وهذى ثورتى الكبرى
خرجت اليوم من سجنى   لأسجن مرة أخرى
سأهدم قصر جلادى   وأبنى فوقه وكرا
ألا فاهتف معى سراً   ألا فاهتف معى جهرا

« ليسقط حلف بغداد »

هنا فى أرضى الحرة   أحرارٌ وثوارُ
وشعب لم يمت يوماً   ولم يخدعه (دولارُ)
سيبقى ثائراً حراً   سيحيا وهو جبارُ
قنابل حلفهم ريح   ونحن اليوم أعصارُ

« سيهدم حلف بغداد »

فلسطين

فى الشعر العراقى الحديث

لقد كان تأريخ فلسطين السياسى حافلا بالمآسى ، ومليئا بالآلام . فقد نكب المستعمرون : الأمريكان والانكليز ومن ورائهم الصهيونية العرب وقتلوهم وشردوهم من ديارهم . وإذا كانت فلسطين مصدر قلق واضطراب للعرب جميعاً فى مختلف أصقاعهم ، فإنها أصبحت مصدر انبعاثهم وتكتلهم . يقول كاتب هذه السطور فى أحدى قصائده :

بكينا فلسطيناً وكانت ضحيةً لأطماع قومٍ فى لذاذاتهم صرعى(١)
وقد شعّ وعى العرب حين تمزقت معالمها واليوم صاروا بها أوعى
وها هى تبدو مَطلع الفجر تقتفى حداة التى سنّ الشعوبُ لها شرعا

* * *

ولم تجمع الأمة العربية على أمر مثل إجماعها على قضية فلسطين . وأن نكبة فلسطين شحذت قرائح الشعراء من العرب وغير العرب ، فما من شاعر فى العراق الحديث إلا وله عدة قصائد فى هذا الموضوع . وإذا تصفحت دواوين هؤلاء الشعراء وضعت يدك على وفرة وفيرة وثروة أدبية ضخمة ، فى « الشعر الفلسطينى » والأمر الذى يلفت النظر هو أن كل شاعر من هؤلاء على وجة الإطلاق كان متفائلا فى مصير فلسطين . فما من شاعر فى هذا المجال قصّد قصيدةً إلا ويعتقد جازماً بأن (فلسطين) سترجع لحوزة العرب وأن هذا الجزء العربى المغتصب سيؤول راجعاً لا محالة . وأن فلسطين قد ذهبت قضاء وقدراً فهى سترجع أيضاً بقضاء وقدر .

---

(١) عن الديوان المخطوط .

للاستاذ الشيخ محمد على اليعقوبى قصيدة عنوانها « يوم فلسطين » :

ومن عجب الزمّان وكل آنٍ ... به يبدو لنا العجبُ الشديد(١)
شعوبُ العرب محكومٌ عليها ... وتحكم فى فلسطين اليهودُ
أتحسبُ أن ذاك الغاب يبقى ... لها وطناً وتتركه الأسودُ
وما نهضت بنو صهيون لولا ... تقدم من يسوسُ ومن يقودُ
وما عقدوا بنودَ الحرب لكن ... عُقدن (بلندنٍ) تلك البنودُ

* * *

فالأستاذ اليعقوبى يعجب من الزمن ، فكيف تصبح الشعوب العربية وهى محكوم عليها بينما نرى اليهود الشذاذ يحكمون فلسطين العربية ثم نراه منتفضاً يأبى أن يكون ذلك الغاب وهى أرض فلسطين العربية تبقى وطناً لليهود وهيهات هيهات أنّ تترك الأسودُ غابها ووجارها . ثم نراه معللا فيقول إن الصهيونيين ما كانوا ليجرأوا ويقتحموا الأرض العربية ، لولا ساسة العرب أنفسهم ، الذين أوجدهم الاستعمار الغربى ملوكا وأمراء وقادة ، ولم تعقد الصهيونية أعلامها للزحف على الأرض المقدسة السليبة إلا لأن الاستعمار البريطانى الأمريكى هو الذى كان من ورائها فالأسطول البريطانى، والدولار الأمريكى والصحف المأجورة كانت تحمى تلك الشرذمة .

يقول المرحوم الشيخ عبد الحسين الحلى فى قصيدة يخاطب بها « مجلس الأمن » .

يامجلس الأمنِ لا حيتك إيمان ... ولا رست لك فى الانداء أركان(٢)
ما فيك مأوى لذى خوفٍ فتؤمنه ... وكل مابك فهو اسمٌ وعنوان
هذى اليهود تنزى فى مواطننا ... وكيف يسكن أرض القدس شيطان

---

(١) ٦ ديوان اليعقوبى .
(٢) ١٥٤ صور الأدب العربي للكفائى النجفى .

خلوا التهاويل عنكم جانباً ودعوا مَزاعماً وعهوداً مالها شأن
هيهات تغدو فلسطينٌ موزعةً مادام للعرب فوق الأرض سلطان

* * *

إن الشيخ الحلي ينعى على مجلس الأمن فإنه لا مأوى فيه لخائف فالدول الاستعمارية تسيطر عليه والحرُمات تهتك باسم العدالة والقانون بمرأى منه وبمسمع . وهو فى واقعه اسم وعنوان فكل ما فيه ظلم ورياء وكذب . وإلا فكيف أصبحت حياة العرب فى ذل وخسران ، وكيف أصبحت فلسطين مأوى لشذاذ الآفاق من اليهود الصهاينة .

وإن تعجب فاعجب من هذا الملجأ المسمى (بمجلس الأمن) . فهو فى صحيح القول مجلس خوف ورعب وإهدار لحقوق الشعوب الضعيفة . وإلا فكيف تكون اليهودية مسيطرة على أرض فلسطين العربية وتطرد الملايين من العرب القاطنين فيها . وكيف يدوس الشيطان اليهودى أرض البيت الحرام .

وبعد عدة أبيات من هذه القصيدة الممتعة فى فنها المليئة بالتقريع والتأنيب على العرب أنفسهم ، وعلى أولئك الجالسين على كراسى مجلس الأمن ينادى متحديا تهاويلهم ومزاعمهم وعهودهم : هيهات تبقى أرض فلسطين موزعة الاشلاء مادام للعرب عرق ينبض .

وللدكتور عبد الرزاق محي الدين قصيدة يخاطب بها (إقبال) الشاعر الباكستانى فى إحدى حفلات الذكرى وهى التى تقيمها السفارة الباكستانية ببغداد كل سنة وتدعو بعض الشعراء للمساهمة فيها :

إقبال دَينك لا يقضى بشاردةٍ لو أن شعبا وفى حقا بما دينا(١)

---

(١) ٥ : ٣٩٠ شعراء الغرى للخاقانى .

جاهدت فى الله عن أهلى وعن وطنى ... فى حين سيموا به خسفاً وتوهينا
وحين زعزعت الشذاذ طارئةً ... حصونها وإحالتها ميادينا

* * *

وللاستاذ الشيخ عبد الغنى الخضرى قصيدة ألقيت فى الحفلة الكبرى التى أقامتها جمعية « الرابطة » العلمية فى النجف احتجاجا على تقسيم « فلسطين » وإنجازاً لوعد (بلفور) المشوم :

يا أمة الرافدين استنجدى العُربا
واستنهضى السيف والاقلام والكتبا (١)
هذى فلسطين ما أبقو بها لكم ... داراً ولا تركوا منها لكم نشبا

. . .

وهى قصيدة طويلة يطالب الاستاذ الخضرى العراق بأن يستنجد العرب ويتسنهض حملة السلاحين السيف والقلم وقدم السيف لأنه إذا جرد سكت القلم . وفى مثل هذه المجالات لا جدوى له فالسيف هو فصل الخطاب .

فاليهود فى فلسطين ما أبقوا للعرب داراً ولا دياراً ، وأخرجوا منها خاسرين يجرون ذيول الخيبة كما عاد ظلم المستعمرين على أهل فلسطين بالأحن والرزايا . فقسمت أرضهم وانتهكت أعراضهم ، ولكن باسم قوانين هيئة الأمم ، وعدالة مجلس الأمن الذى لا يعرف العدالة .

يقول الأستاذ يوسف أمين فى قصيدة موضوعها « العرب وفلسطين » وهى قصيدة تنوف على خمسين بيتا منها .

وهذى فلسطين الشهيدة فى لظىً ... تحارِب جيش الظلم حمراً عواسله (٢)

---

(١) ١٠ ديوان عبد الغنى الخضيرى المطبعة الحيدرية فى النجف .
(١) ديوان (فى أعاصير الشباب) مطبعة محفوظ فى الموصل .

تقاتل من يسعى إلى هتكِ عزمها ملازمة للصبر فيما تقاتـله

* * *

وللاستاذ سالم علوان الجلبي قصيدة عنوانها « أيها الحاكم بالدولار » وهى من الشعر العاطفى الرقيق (١) .

ادفعوا عن حرم القدس ذئاب البشرية
واخنقوا فى مهده الطفل وليد العصبية
واقتلوا فى قلب (صهيون) الأمانى الأشعبية
واحذروا ترومن فهو الأصل فى هذى البلية
سخر المجلس حتى لا يرى إلا مطية
مجلس الخوف رزئنا بك يا شر رزيه

وللشاعر محمد مهدى الجواهرى قصيدة عنوانها « ذكرى وعد بلفور » وقد ألقاها فى الحفل الذى أقيم فى بهو « الأمانة » ببغداد سنة ١٩٤٦ وهذه الأبيات منها :

أأم القـدس والتأريخ دامٍ ويومك مثلُ أمسك فى الكفاح(٢)
ومهدك وهو مهبط كل وحى كنعشك وهو مُشتجر الرّماح
ووادى « التيه » إن لم يأو موسى فقد آوى « الصليب » على صلاح
وذكرى « بختنصر » فى الفيافى يجددها « ألنبي » فى الضواحى

. . .

إن الاستاذ الجواهرى يسرد تأريخ (فلسطين) الدامى . وما حلّ بها من كوارث طيلة العصور المتعاقبة . فهى دائما وأبداً فى كفاح مستمرٍ مرير مع

---

(١) ٨٩ ديوان (احاسس ثائرة) مطبعة الأديب فى البصرة .
(١) ٢٣٨ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد .

الدخلاء . فإن كانت على مضض مما حاق بها الآن من النزلاء اليهود ، والدخلاء الذين لفظهم المجتمع الغربى لخطوا فى هذه الأرض المقدسة — فإن أيامها الخوالى لم تكن بأحسن من هذه الأيام . فأنت يا أرض العروبة ومهبط الأديان ، ومستوطن الشرائع الإلاهية كم من نبى بزغ من بين شعابك هادياً ومبشراً . كذلك كانت الجيوش تلتقى على صعيدك . وقبل سنين كان « اللورد النبي » يحارب فى ضواحى مدنك فأنت إذن طعمة الآكل وفريسة الظافر . ثم يتحول فيخاطبها بقوله قد ضقت ذرعا بهؤلاء الصهاينة ومن على شاكلتهم من اليهود ركائز الاستعمار فى هـذا الجزء من الوطن وعملاء الأمريكان والإنكليز . فالعرب لايحاربون اليهود من أجل تدينهم باليهودية بل لأنهم يعيثون فى الأرض فساداً . ولا أدل على ذلك من أن فلسطين آوت المسيحيين وحمتهم الخ . . .

وللاستاذ على الشرقى رباعية فى موضوع فلسطين :

يا فلسطين ويا أرض الجدودْ   أنت أمجاد وبعث وشعورْ(١)
حرثُنا من عهدِ عادٍ وثمودْ   فرع أشجاركِ منها والجذورْ
كم حويناكِ جنوداً وبنودْ   وسكناكِ قبوراً وقصورْ
أصبح المبكى لنا لا لليهودْ   دالت الدولة فالعيشَ غرور

* * *

إن الأستاذ الشرقى يرمز فى كثير من الأحيان فى رباعياته إلى المعانى التى يقصدها والأهداف التى يريدها بألفاظ لاتنهض بالمعانى تماما بل تدل على الأغراض المتسقة فى مخيلته ، ومن هنا فانت فى متعة أثناء مطالعتك لديوانه إلا أنه بمجرد تركِكَ له تَرَكك هو من جانبه . فلم تبق من تلك المعانى التى تتوارد عليك أثناء قراءتك رباعياته إلا الصبابة منها . وذلك ـ كما قلتُ ـ إن ألفاظ القصيدة لا تقوم

---

(١) ١١٩ عواطف وعواصف ديوان على الشرقى مطبعة المعارف .

ولا تنهض بالمعانى التى يريدها. فألفاظه فى أغلب رباعياته تأدية الرامز : إلا أن هذه الرباعية واضحة وألفاظها ناهضة بها إذ أن موضوع « فلسطين » والنكبة التى حلّت بالعرب فى وضوح لنا جميعا : نحن والشاعر . ومع ان باقى رباعياته تكاد تكون رمزاً إلا أنها بديعة العرض جميلة الأسلوب .

ولكاتب هذه السطور قصيدة عنوانها « فلسطين بعد النكبة » وإليك بعضاً منها .

وكانت فلسطين رمز الجهاد وكانتْ أحابيل من دجّلوا(١)
وكانتْ لكل سليب الضّمير متاعاً ومن بؤسها يَنهل
فأضحتْ على رغم حُراسها بابنائها قد نبا المنزلُ
وظلتْ نساؤهم إيّماً بغير المناحة لا تحفل
يضيق بأبنائه عائل وتشكو على سغبٍ مُطفلُ

* * *

وها هم أولاء الذين اعتلوا بها لا يغيثون من يعول
فهم قادة لا بسوحِ القتال ولكنهم قادَة قوّل
جريئون فى القول لامشكلٌ يُرى فى (البيان) ولا معضل

* * *

وللاستاذ صالح الجعفرى قصيدة عنوانها « فلسطين » وهى على ما يظهر من أوائل شعره :

أقسمتْ ألا ترى إلا انتصاراً أمةٌ لا تَقبلُ الضيمَ شِعاراً(٢)
واستماتتْ فى هوى أوطانها تحسب النومَ عن الأوطان عاراً

---

(١) من الديوان المخطوط .
(٢) ١٤ الفلسطينيات مطبعة الغرى فى النجف .

بذلت فيها النفيسين دمــاً طاهراً حراً زكياً ونضارا
أذكت الحربَ على أعدائها واصطلت فيها كباراً وصغارا
لا تلوموها إذا ما جندت للوغى الأطفالَ والغيدَ العذارى
فهى لا ترضى على إسلامها باليهودىّ لها خِلاً وجاراً

* * *

إلى آخر هذه القصيدة فهى إن دلت على شىء فإنما تدل على روح عربية لا تقبل الضيم ولا تتجرع الخسف والهوان .

وللاستاذ الفاضل عبد الصاحب الدجيلى قصيدة عنوانها « نحن نعشو فى الشمس » ينعى فيها على بنى قومه العرب فى عصره من أنه وإياهم قد كانوا فى بيئة لا تعرف غير المحاباة فى الرأى ، ولا تصارح فيما تقول وهى تنثنى عن الحق ، وتسدل الستار عليه . ثم يخرج إلى الغرض المقصود بعد مقدمة طويلة ، ويعرض للظلم الذى حلّ بفلسطين وأهلها الغيارى الأحرار .

ونشأنا جيلاً ضعيفاً فما بين محاب فى رأيه ومُحابى (١)
لم نصارح فيما نقول ونسعى إثر أشيـاء قد تجلت سرابا
وعن الحق ننثنى وعليه نسدلُ السِتر دائما والحجابا
ذى فلسطين وهى للظلم تعنو ويسامُ الأحرارُ فيها العذابا
وعليها الطغيانُ فاض فغطّى بالدما شِيبَ يعربٍ والشبابا
وتبدت علائم العسف حتّى تركت قلب كل شهمٍ مذابا

* * *

إلى آخر هذه القصيدة التى كان تأريخ نظمها قبل كارثة تقسيم فلسطين

---

(١) ٢٢ الفلسطينيات مطبعة الغرى فى النجف .

وقبل أن يحل بهم القضاء المبرم الذى كان السبب فى أنهم هاموا على وجوههم فى الفيافى والقفار بعد انتهاء الانتداب البريطانى

وللاستاذ السيد أحمد الهندى النجفى قصيدة عنوانها « ثورة الحق » وهى طافحة بالحماسة وإثارة الحمّية فيستهلها مستغيثاً بالروح العربية ويتساءل عن الشرف الموروث من هاشم وامية . وأين هم عرب الحجاز ليدافعوا عن عرينهم وأين العراق الحر ، وأين يوم الحساب . إن الحق أصبح صريعاً إلى أمثال هذا التساؤل الذى ينم عن قلب مفعم بالألم غارقٍ باللوعة . فهو يكاد يتفجر غيظا :

يالقحطان أين تلك الحمّية — أين آثار روحنا العربية (١)
أين ذاك الحماس والشرف البا — ذخ حلفا لهاشم وأميّة
أين عرب الحجاز أين العراق الحر — أين الشهامة السورية
أين يوم الحساب أناسئمنا — كظم غيظ الضنيا على الفوضوية
أين سيفُ الإباة عن مشهد الحق — صريعاً فى حومة الهمجيّة
أين عيسى المسيح يرأف بالنا — سِ وأين المواقف الأحمديّة
أفلا مصلحٌ فقد عبث الجهل — فامضى عواطف الوحشيّة
أين ذاك الدم الذى حيث يجرى — تتمشى بجنبه الحرّية
فمن المبكيات أنا بحال — تتشكى الزعانف العبريّة

. . .

وللاستاذ الشيخ عمار سميسم قصيدة فى موضوع (فلسطين) عنوانها « الأمر لمن غلب » .

أحيتْ فلسطين مواقف العربْ — وقد قضتْ بالذّب عنها ماوجب (٢)
وعلمتْ — كما تروم — نشأها — كيف تلاقى بثباتها النو بْ

(١) ٣١ الفلسطينيات مطبعة الغرى فى النجف .
(٢) ٥٩ الفلسطينيات .

وتستسيغ الموت مرّاً علقماً　　إن هاجها اليأس وأصماها الغضب
ما ضرها أن نُسفت هضابها　　وقد جثت ابناؤها على الركب
ووقفت بين اثنتين دونها　　أما ورود الموت أو نيل الأرب
ويا بنى غالب سعياً للوغى　　« فإنما الأمر غدا لمن غلب »

. .

وللأستاذ مظهر أطيمش قصيدة عنوانها « فلسطين الدامية » نقتطف منها ما يأتى :

فلسطين تقاسى فى رباها　　خطوبا لا تقاس بها خطوبُ(١)
لقد بانوا لعمرى فى البوادى　　وفى أوطانهم حلَّ الغريبُ

. . .

وللاستاذ مرتضى فرج الله قصيدة يستنهض فيها العرب على المستعمرين الإنكليز وأذنابهم من العرب والصهيونيين نفايات الغرب الذين أقاموا لهم دولة بين ظهرانى العرب وعنوان هذه القصيدة « الضحايا والمجازر » .

الضحايا فى أرضنا والمجازر　　نكبات تشق منها المرائر(٢)
يا لقومى وأين أحرار قومى　　فى فلسطين قد أقيمت جرائر

. . .

وللاستاذ الأديب الشيخ محمد الخليلى « ميمية » عنوانها « فلسطين الباسلة » ومستهلها .

بالسيف إن كلَّ عن نيل المنى القلم　　يرجى النجاح ولم تنفعكم الكلم(٣)

---

(١) ٥٧ الفلسطينيات .
(٢) ٥٤ »
(٣) ٣٢ »

والقصيدة كلها تقريع ولوم وعتاب على الأحرار من العرب . وعلى تواكلهم وتخاذلهم وعلى الساسة من العرب والمسلمين الذين يرجون من الانكليز الإنصاف والعدل فى هذه القضية مع أن وزير خارجيتهم هو صاحب الوعد المشوم ، وهو الذى سهل الطريق وعبده للصهيونية العالمية فكيف إذن يكون الداء هو عين الدواء .

وللاستاذ الشيخ على الصغير قصيدة عنوانها «المدفع والحسام» ومستهلها :

بالسيف إن لم تصدق الأقلام   نهضت لحفظ كيانها الأقوام(١)

. . .

يا أيها العربى هلا نهضة   لتحوط غابك أيها الضرغام
جدد لنا ماضى عصورك مقدماً   فلحفظ مجدك شانك الإقدام
هذى فلسطين وكم عاثت بها   كف ، وكم فيها استحل حرامُ

. . .

إلى آخر هذه المقطوعة المليئة بالشعور المتدفق غيظاً ونقمة على سياسة الكذب والنفاق من ملوك وأمراء العرب والمسلمين سماسرة الإنكليز وهياكلهم المنجورة فى معامل (لندن) .

وللاستاذ الشيخ على البازى قصيدة يعاتب الشرق على جمودهم وخمولهم ونيامهم فى حين عاث الغرب فساداً بهم وبمصائرهم ويجابههم بالحقائق فيقول إلى م أنتم بهذا التواكل والتخاذل ، فقد بلغ السيل الزبى فأصبحتم طعمة الآكل وفريسة الظافر تتخطفكم الأعداء من كل جهاتكم : وقد انكشف النوايا وتعرى الليل عن صبح واضح لكل ذى عينين وهذه الطغمة الصهيونية ومن

---

(١) ٤٤ الفلسطينيات مطبعة الغرى فى النجف .

ورائها الاستعمار بكل جهازه قد غزاكم فى عقر داركم فأى بيت بعد بيتكم تمنعون وعن أى وطن بعد وطنكم تذودون .

يا بنى الشرق لقد عاثت بكم أممُ الغربِ وأنتم هجّد (٢)
بلغ السيلُ الزبى اليوم ولا معرق أو مشئم أو منجد
إيه يا قومى كم من نكبةٍ أنتم المغزى لها والمقصد
فلسطين تناديكم ألا عن حمى أوطانكم لا تقعدوا
فتكت فينا المواعيد وقد صدع المبكى لنا والمسجد

. . .

فهو فيما يأتى من القصيدة يجرى على هذه السنن ، وينتهى بالقول إلى ما يجب أن يكون :

سوف ينجاب الضحى عن أمسه فى غدٍ واهاً متى يأتى غد

وللاستاذ الفاضل السيد على الهاشمى النجفى قصيدة عنوانها « ماذا فى فلسطين » وهى كسابقاتها فى النعى على تواكل الأمة العربية وتقاعسها .

وللاستاذ السيد صالح بحر العلوم قصيدة عنوانها « فلسطين المعذبة » :

فلسطين لك المجد وللمجد فلسطين (٢)
من الشرق إلى الغربِ تحييك الملايين

. . .

فلسطين تجرعتِ من التّعذيب ألوانا
وناضلت عن استقلا لك المغصوب أزمانا

---

(١) ٤٨ الفلسطينيات مطبعة الغرى فى النجف .
(٢) ٢٢٤ ديوان شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم . مطبعة أسعد ببغداد .

وعانى المسجد الأقصى من الأرجاس ما عانى
فسفر القوم فيـــه اتخذ العدوان عنواناً

. . .

وهى قصيدة على شكل رباعيات تهزك إذا سبرتها لأنها تصور اغتصاب هذا الجزء من الوطن العربى تصويراً دقيقاً . وهى طويلة تنوف على الستين بيتاً كلها على هذا التعبير الممتع .

هذه المامة يسيرة . ووقفة قصيرة ، على الشعر العراقى الحديث فى موضوع فلسطين ولو أردت تسجيل كل ما قيل فى هذا المقام لضاق بهذه الرسالة المجال ، لأن الشعر العراقى فى هذا الموضوع يكون مجلداً ضخماً إذا أردت تسجيله كما أنه يعكس صورة صادقة عما يحسه الشعب العراقى من عظيم الخطر على الأمة العربية جُمَّع إن فقدت هذا الجزء منه . والعراق دافع عنه منذ أول مشكلة له بماله وسلاحه وجيشه .

الشعر العراقي الحديث في الانتخابات
البرلمانية

كان البرلمان العراقي منذ ولادته على يد المستعمرين الانكليز حتى ثورة (١٤) تموز الخالدة التي طوحت بالاستعمار الغربي وأصنامه يجري تشكيله على النحو التالي :

١ — من طغمة حاكمة هي من بقايا الجيش التركي وشرطته نذرت نفسها لخدمة الأجانب المستعمرين البريطانيين ومن حزب المحافظين تجار الحروب ، ومصاصي دماء الشعوب .

٢ — ومن إقطاعيين ومثرين والذين تشيع بينهم الأمية لا يعرفون غير مصالحهم الشخصية . وقد أثروا على حساب الشعب العراقي بوسائل دنيئة أهونها الرشوة، وأشدها سفك الدماء البريئة. فكم من قبيلة نزحت عن أراضيها من أجل اقطاعي لا يعرف أي طرفيه أطول، يبدد المال على موائد القمار ، ووسائل عمد الرذائل .

٣ — ومن أشباه المثقفين الخونة الذين يتعالون على الناس باسم الشهادات. وقد وضعوا عقولهم وشهاداتهم المزيفة تحت تصرف المستعمرين وأصنامهم . كما قد سفوا للغنم الذي شملهم وباعوا كراماتهم لزهيد من المال ، وكاذب من الجاه ، وخيال من السلطان . فلا الشعب بآلامه يحرك ضمائرهم ولا الثقافة التي اتصفوا بها تقيهم من السخرية ومطّ الشفاه .

من هذا الخليط العجيب المتباين في تفكيره ، المتلاقي عند مصالحه ، من طريق خدمة عملاء الاستعمار وبقايا الحملة البريطانية يتكون نواب البرلمان العراقي باسم التمثيل الشعبي وباسم الديمقراطية المزيفة .

وما عرف تأريخ العراق (برلمانا) جاء عن طريق الشعب مطلقاً طيلة

الحكم المسمى بالحكم الوطنى ، فكل المجالس الانتخابية كان التشريع لها مزيفاً وكاذباً على يد حكام رفعتهم السفارة البريطانية إلى هذه المناصب فكانوا طوع إرادتها ومشيئتها، وكل جهاز من هذه الاجهزة يأتمر بأمرها من وزير الداخلية إلى الشرطى مسخر لتزييف الانتخابات. وقد صور الشعر العراقى الحديث هذه المهازل الانتخابية . وأوضحها بأجلى ألوانها البشعة ، وأشكالها القذرة ، . وقد صوّر الشعر العراقى العصابة التى تهيء الانتخابات وتفرضها بالتزوير مستخدمة أشد أساليب الضغط والإكراه وأعنف وسائل التعسف والارهاب ، ولأجل أن تحمى نفسها من سخط الشعب ونقمته اهتمت بالجهاز البوليسى فجعلت منه قوة قاهرة .

كما صور الشعر الانتخابات فى ظل الأحكام العرفية . والاحزاب والهيئات السياسية مجمدة ، والقادة من أحرار البلد فى السجون والمعتقلات .

كما صوّر القوائم الانتخابية التى تنظم فى البلاط بإشراف عبد الآله ونورى سعيد وبعلم السفارة البريطانية وترسل إلى أنحاء العراق للعمل بها .

كما صور المهزلة الأخيرة : الفوز (بالتزكية) لأكثر أعضاء المجلس النيابى . كل هذا وغير هذا قد عالجه الشعر الحديث بهزء مرة ، وينعى على الأساليب المفضوحة مرة أخرى . يقول كاتب هذه السطور فى قصيدة عنوانها « إلى النائب » :

أيها النائب لا تحفل بمن قال وقيلا (١)
قد هرزناك حساماً فوجدناك كليلا
وسبرناك « عميلا » فوجدناك أصيلا
دونك الغاية فاشدها وإن ساءت سبيلا

---

(١) من الديوان المخطوط .

ونقدم لأماniك وإن كانت فضولا
تجرد عن ضمير لا ترى منه خليلا
واجتنب كل طريق لا يؤديك وصولا
وتسكع واطرق الأبوا ب للآمر ذليلا
واستعن فيمن يراه الشـ ـعب للغرب عميلا
قبّل الاقدام وادخل حرم المجلس غولا
وانتصب فوق وثير نائباً عنه قؤولا

. . .

ويقول الأستاذ ناجى القشطيني بعد إجراء انتخابات مزيفة مستهزئا ومقرعا .

قلنا لكم ألف مرة الانتخابات حسرة (١)

. . .

ويقول الاستاذ معروف الرصافى

علمٌ ودستور ومجلس أمة كلٌ عن المعنى الصحيح محرف(٣)
أسماء ليس لنا سوى الفاظها أما معانيها فليست تعرفُ
من يأتِ مجلسنا يصدق أنه لمراد غير الناخبين مؤلفُ
افهكذا تبقى الحكومة عندنا كلماً تموه للورى وتُزخرفُ

. . .

---

(١) مجلة الوادى
(٢) ديوان الرصافى ٤٥٣
(٣) لاوجود لهذا البيت فى الديوان الذى طبعه أخيراً ممسوخاً ولكن هذه الرباعية مثبتة فى شعراء الغرى ٧ : ٢٤

ويقول الاستاذ على الشرقى وذلك قبل أن يصبح « عيناً » فى البرلمان العراقى .

أيا لإنسان ينتخبون عينا كقوم يشترون لهم حمارا(١)

. . .

ويقول الاستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبى فى موضوع الانتخابات وعنوان القصيدة « انتخاباتنا »

للانتخاباتِ قامتْ معارك ومعامع(٢)
لكل حزب هتاف تستك منه المسامع
سوق الضمائر فيها ما بين شار وبائع
ما كنت من قبل أدرى أنّ العقـــول بضائع
ذرائع القوم شتى والمالُ بعضُ الذّرائع
وليس يربحُ إلاّ من رشحتْهُ (المراجع)
تُشنُّ كل نظامٍ إشـــارة بالأصابع

* * *

وللاستاذ محمد صالح بحر العلوم فى قصيدته « صاعقة الشعب » نظمها سنة ١٣٥٠ ﻫ فى عهد المندوب السامى « همفريز » .

ألم يكف تصديق المعاهدة التى بأحكامها جاروا عليك وأجرموا (٢)
دليل بانّ البرلمان ملفق يسيره من باسمه يتكلم
فيبرم ميثاق الخيانة طائشاً وقومى عن إبرامه تتبرم

. . .

---

(١) ٧٠ ديوان اليعقوبى مطبعة النعمان فى النجف

(٢) ٧٧ ديوان شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم مطبعة أسعد ببغداد .

وللاستاذ الشيخ على الشرقى قصيدة عنوانها «الأحلام» وفيها يمر على من حكم العراق منذ أقدم العصور من بابليين وفرس وعباسيين وعثمانيين . فى موشحة بديعة الأخيلة وينهيها بقوله :

بعد تلك الزعازع الحربيه   نومتنا السياسة الأجنبيه (١)
خلفتنا بدولةٍ عربيه   وبعينٍ ونائب ووزير

. . .

ويقول الأستاذ الشيخ باقر الشبيبي :

وتستروا بالمجلسين فمجلس   طوعُ البنان ومجلس يتجـّلد (٢)
الرق أبطله التمدن عندكم   أمن التمدن أننا نستعبد

. . .

والسيد محمد صالح بحر العلوم ينظم قصيدة عنوانها «من وحى السجن» نثبت منها ما يأتى :

العيش فى السجن عندى   سعـــادة أبديّة
يوحى لنفسى دوماً   سرائر الحـــرّية
أفضل الموت فيـه   على حيـاةٍ دنيّة
فى مجلسٍ لفقتـــه   السياســـةَ الأجنبية (٣)

. . .

وللاستاذ الشيخ محمد على اليعقوبى نادرة أدبية يصوّر فيها نواب مجلس الأمة .

أرى البرلمان ونوابه   سكوت به سكتة الأخرس (٤)

---

(١) ٩٩ ديوان عواطف وعواصف مطبعة المعارف ببغداد .
(٢) ٤٢٦ شعراء الغرى ج(١) المطبعة الحيدرية فى النجف.
(٣) ٨٦ ديوان شاعرة الشعب مطبعة أسعد ببغداد .
(٤) ٨٠ ديوان اليعقوبى مطبعة النعمان فى النجف .

تماثيل ينحتها الانتداب وتعرض فى قاعة (المجلس)

وللاستاذ على الشرقى فى ندوة البرلمان :

ندوة تهمل الأمور الخطيرة فهى من حوله كدجلة مرّت(١)
وإذا جاءت القضايا الصغيرة جلبت ضجةً وكرت وفرت

. . .

برلمان العراق مذ اوجدوه صوروه بأبدع التصوير
فلأجل التصوير قد عقدوه لا لأجل التشريع والتدبير

هكذا كان البيت الأخير ولكنه مسخه عند ما طبع الديوان فغير فيه وبدل .

. . .

وللاستاذ أحمد الصافى النجفى الأبيات التالية عنوانها « إلى النائب الخائن »

أضحى خداعك لا يغرّه بصبغه فاصبغ خداعك فى صباغٍ ثان(٢)
وغدا كتابك فى السياسة فارغاً ما فيه من شيء سوى العنوان
فى قاعة النادى خطابك قد دوى فحسبت تصفيقاً صدى الأركان
يا جاعل القانون حجة حكمه هلا درست شريعة الوجدان
ما كنت يوما للاجانب خادماً لو ذقت لذة خدمة الأوطان

. . .

وللسيد عبد الحسين الرفيعى قصيدة عنوانها « أيها النواب » .

هذى البلاد بأسرها تتوجع وتبث شكواها فمن ذا يسمع(٣)

---

(١) ١٠٧ عواطف وعواصف مطبعة المعارف ببغداد .
(٢) ٦٥ الأمواج المطبعة العصرية فى دمشق .
(٣) شعراء الغرى

أما الحقوق بها فليس مصانة   واحسرتاه على الحقوق تضيّع
وطغى على الشعب الأبي ضلالةً   نفر بغير هوانه لم يقنعوا
يا أيها النواب من ذا منكم   للذّب عن أوطانه يتطوع

ولكاتب هذه السطور قصيدة عنوانها « نائب فى التزكية » .

أيها النائب هل أنت   المرجىّ للنوائب (١)
قيل لى أنت لسان   ناطق عن كل ناخب
أترى جرّدك الشعب   مغيثاً للنــــوادب
بعد ما ظلّ زماناً   بين مغلوبٍ وغالب
أنت منذ « الطلقة » الأولى   مع « البانى » محارب (٢)
وعلى عهد صديق العرب   « لورنسٍ » مصاحب
كل من جاء مع « الحملة »   فى عرفك « صاحب »
ثم ماذا وإذا الدّنيا   تعــاطيك الرّغائب
وإذا أنت على بابك   للتعظـــيم حاجب
وإذا أنت وإن كنت   غبياً ذو مواهب
وتجلبت تبيعــــاً   خلف أذناب الأجانب
ثم فى « تزكيةٍ »   تدخل للمجلس نائب

. . .

وللاستاذ السيد محمود الحبوبى قصيدة فى صمت النائب فى البرلمان العراقى . وقد عرف هذا المجلس نواباً منذ ١٩٢١ حتى هزيمته يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ لم ينطقوا ببنت شفه فهم صم ، بكم عمى . . .

---

(١) من الديوان المخطوط

(٢) الطلقة الأولى للملك حسين في الثورة العربية مع الانكليز . والبانى المقصود به فيصل الأول وهما بمعرض الاستهزاء .

نوابنـــــا وشئوننا لما استبدَّ بهـــا العلوج(١)
شأن السفينة عافها الربان فى بحر يموج
ولقد غدا فى صمتكم للنائبات بنا ضجيج

• • •

وللاستاذ أحمد الصافى النجفى رباعية يهزأ بها من البرلمانات ويعاهد نفسه ألا يراه مرة ثانية .

قال لى صاحبي هلم إلى المجلس فاليوم أعظم الجلسات(٢)
قلت بالأمس زرته وفؤادى مفعم منه فى أذى الذكريات
قال : كرر له الرواح لتلق لك سلوى عن هذه الأزمات
قلت هيهات لا أعود فحسبي رؤية الموت مرةً فى حياتى

وللاستاذ السيد حسين كمال الدين أبيات قالها بمناسبة الاتحاد (الهاشمى) المزيف بين الاردن والعراق وهو اتحاد من وحى الاستعمار ، وقد أجرى نورى سعيد انتخابات مزورة من أجله . وكل الانتخابات فى العراق كانت مزورة .

وقالوا الانتخاب غداً سيجرى لمجلسهم ليحيا الانتداب(٣)
يؤلف من قواويد ولما « اتحدنا » شاركت فيه القحاب
فمن لك فى أخى ثقة وصدق يكون على يديه الانتخاب
إذا كان الغراب دليل قوم يدلهم على الجيف الغراب

هذا جزء ضئيل من الشعر العراقى الحديث فى هذا المجال . لأنى لو أحصيت كل ما قيل فى هذا المتسع لكان بين يدى القارىء كتاب ضخم فى هذا الجانب

---

(١) ٢٠٩ جـ (١١) من شعراء الغرى للخاقانى
(٢) ١٣٢ الهواجس
(٣) من ديوانه المخطوط

لأنّ مهازل الانتخابات فى العراق أكثر من أن يقال لها سخيفة ومكشوفة ومزورة .

وللاستاذ الحاج عبد الله الصراف النجفى هذه النادرة فى بعض أعضاء مجلس النواب العراقى .

فقد تألفت جبهة فى مجلس النواب من رؤساء الاقطاع من (المعدان) العرب والأكراد فقال :

يقال غدا (المعدان) والكرد كتلة   مسخرة فى البرلمان لها صوت
إذا كان دولاب الحياة مسخراً   بشمدين أو بابن السهيل فياموت . .

. . .

وفى هذه النادرة اكتفاء للبيت المعرف (ياموت زر إن الحياة دميمه) .

الزيت

فى الشعر العراقى الحديث

ابتلى العراق فى سنيه الأخيرة ، منذ أن أصبح الزيت ذا أهمية كبرى للدول التى تملكه والتى لا تملكه . كما ابتليت جارته إيران أيضاً بهذا المعدن السائل .

فبدلاً من أن يكون الزيت نعمة ورخاء على العراق عاد نقمة ووبالاً . فقد استخدمت الدول الاستعمارية أحدث الأساليب وأبشعها للسيطرة عليه بأى ثمن ، فالبوارج والمدمرات والسيارات والطائرات والغواصات التى تسير بقوة الزيت تحصد الأرواح . وتفنى الأبرياء من الأطفال والعجزة والنساء من أجل حماية هذا الزيت .

وقد زورت الانتخابات فى العراق . وجىء للحكم بسماسرة لا ضمير لهم ولا ذمة . وأقفلت السجون على الأحرار ، من الرجال والنساء ، ونفى وشرّد الوطنيون منهم، وعذّب من عذّب بقسوة وعنف ، بجهاز بوليسى مدرّب ، كل هذا من أجل حماية هذا الزيت .

لقد كان الاستعمار البريطانى والأمريكى أخيرا فى العراق فظاً غليظاً قذراً — وكل استعمار فهو قذر — يستعمل الأسلحة والأساليب غير الشريفة ، وغير النزيهة لنهب خيرات هذا البلد من الزيت وغيره .

إن منطقة العراق غنية وثرية بهذا المنجم الضخم . فقد سعى الاستعمار البريطانى بكل ما أوتى له من حول وقوة لنيل امتياز هذا الذهب الأسود . وكان السبب فى الحملة العسكرية على العراق أولاً وأخيراً هو السيطرة على منابع الزيت الذى يطفو عليه العراق . وبعد أن فشل سعيه بهذه الحجة جاء بأخرى هى الانتداب والوصاية ثم المعاهدة والصداقة . وأمثال هذه الوسائل

التى فرضت على الشعب العراقى بالدم والحديد مرة والتزوير والخداع والكذب مرة أخرى ، كل هذا من أجل حماية الزيت .

ولقد كانت ثورة (١٤) تموز الخالدة والجبارة الحد الفاصل لهذه الأطماع. فقد طردت الاستعمار الإنكليزى الأمريكى وقضت على رأس الفساد الهيكل المنجور فى بريطانيا وهو العرش المتفسخ وعلى أصنامه ومن يحيط به من الخونة والمذبذبين عملاء الاستعمار وركائز الرجعية . وعلى أذنابه الحثالات المتحدرة من العهد العثمانى الذى ما خلفت إلاّ اللعنة.

وبفضل هذه الثورة حُددت أطماع المستعمرين فى هذا المورد وسيعود بركة ورحمة على العراق ، كما عادت قناة السويس على مصر خيراً وبركة ، بعد أن كانت نقمة ووبالا .

هذا هو الجانب . التأريخى للزيت العراقى أما الجانب الأدبى منه فهو ثرىّ وخالد، فقد تناول الشعراءُ المحدثون هذا الموضوع من كل أطرافه فكشفوا لنا صفحة أدبية رائعة. ولو أتيح لك سبر دواوين شعراء هذا العصر لوضعت يدك على شعرٍ كثير فى هذا الجانب، وعلى منجم أدبى ضخم لهذا المنجم المعدنى الضخم يقول الأستاذ أحمد الصافى النجفى فى قصيدته « شكوى العراق » .

الفقر أحدق فى بنيه وإنما ... ماء الفرات العسجد الوهاج(١)
جاءته حوت البحر ظامئة له ... أو ما كفاها بحرها العجاج
النفط شبَّ بجوفه ناراً فهل ... يطفى سناها ماؤنا الثجاج
النفط يجرى فى العراق ومالنا ... ليلاً سوى ضوء النجوم سراج

* * *

وهذا الدكتور عبد الرزاق محى الدين يخاطب الصحراء بأنها مشرق النور ،

(١) شعراء الغرى ج ١ المطبعة الحيدرية .

وأن نجوم أفقها هدى للمدلجين والسارين وأن الوحى فى أفقها هدى . والزيت فى الأعماق موطن الثروة والرخاء والإشراق .

صحراء يا مشرق الأنوار ما برحت　　نجوم أفقك تهدى الناس سارينا(١)
لله سرك كم أبديت من قمر　　وكم تسرين من نجم وتخفينا
الوحى فى أفقك الساجى سراج هدىً　　والزيت يشرق فى الأعماق مدفونا
لو قد ملكنا أشعنا النور ثانية　　وطبقت سائر الدنيا درارينا

. . .

أما الأستاذ الشرقى فهو يندفع صارخاً : كم من الكنوز الثرية فى بلدنا . فبعضها ظاهرة للعيان ولكنها بدلاً من أن تكون مصدر خير أصبحت بسبب الإهمال وسوء الإدارة ، وعدم الكفاءة طامة على مصير البلد . وهذا الكنز هى المياه الوفيرة التى تجرى فوق سطح العراق فمتى ما طغت مياه الرافدين طغى الخطر على المزارع والمواشى يهددها بالتلف كل عام كما أن طرق المواصلات تنقطع بسبب طغيان المياه على صعيدها .

أما الكنز الذى هو تحت الأرض فهو فيض إلا أن الشاعر يسكت عن هذا المعين ولم يتكلم بل يشير له ويرمز ، على عادته، فى مثل هذه الحقائق ، لأن هذا المورد الضخم يخص المستعمرين فلا يجوز له ولغيره أن يصرحوا بما فى نفوسهم عن هذا الكنز الدفين لأن المستعمرين دائماً وأبداً يحولون ميدان المعركة إلى ميادين أخرى عن هذا الميدان الذى دخلوا المعركة الكبرى من أجله . ومن هنا ترى أغلب المثقفين فى العراق والمشتغلين بالقضايا العامة لا يعرفون بدقة عن هذه الثروة المعدنية فى بلدهم اللهم إلا بعض الحقائق التى تنشرها الصحف الأجنبية خارج العراق . كما أن شركات النفط فى العراق لا تستخدم أى شخص فى الشركة مالم تكن على علم و بينة من أمر هذا الموظف ومدى استجابته للقضايا الوطنية .

---

(١) شعراء الغرى للاستاذ على الخاقانى المطبعة الحيدرية .

كم كنوز مكشوفة فى ثرانا ... يا عراقى وكم كنوز تغطى
ان فوق التراب فيضاً من الما ... ء وتحت التراب فيضاً لنفط
يا رفاقى بينى وبين بلادى ... التزام فى ضمنه ألف شرط
هى قامت بكل قسط عليها ... وأنا لم أقم عقوقاً بقسطى

. . .

وللاستاذ الأديب السيد طالب الحيدرى قصيدة عنوانها « بابا كركر » فقد أبعدته سلطات نورى سعيد إلى (كركوك) مدينة الزيت أثناء أحدى المعارك الانتخابية .

كركوك يا ثروة البلاد ... مالك فى قبضة الأعادى
وقفت حيران لست أدرى ... ماذا أنادى ومن أنادى
وضعت كفى بغير قصد ... — من اضطرابى — على فؤادى
أبكى على ثروةٍ أراها ... أضيع من صرخة بوادى
الزيت يجرى بعين شعب ... صاد إليه وأى صادى
تحرم من خيرها بلادى ... مرغمة آه يا بـلادى
لابدَّ من ساعة انعتاقٍ ... نسير فيها إلى الجهـاد
معاهدات القوى ليست ... غير شراك للاصطياد

إلى نهاية هذه القصيدة التى يتوعد فيها الشاعر كما يجزم بأن ساعة الانطلاق والانعتاق آتية وقريبة وأننا سنسير إلى الجهاد وإلى سوح القتال لطرد المستعمرين والمستنزفين لخيرات بلادنا ويختم القصيدة بقوله .

يا دوحة العزة اطمئنى ... الدم خير من السماد

ولا داعى للاطالة بعد هذه النماذج لأن شعراء العراق المحدثين تناولوا موضوع هذا المعدن بكل إسهاب .

الشعر العراقى الحديث

من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٨

لا زال الشعر فى العراق يعنى بالأساليب القديمة الموروثة منذ أحقاب وأجيال ، ولا زالت العناية بوحدة الوزن وتسلسل القافية هى المسيطرة والمحببة لأغلب شعراء العراق .

وقد برزت ظاهرة أدبية بين الشعراء من الشبان بعد الحرب العالمية الثانية على وجه التقريب فى الشعر الحديث . وهذه الظاهرة الأدبية مقسومة إلى شطرين : الرمزية والشعر الحر .

١ — « الرمزية » :

تتضارب الآراء حول مفهوم هذا اللون من الشعر . ولا أحدثك عن الرمزية فى الشعر العربى بمدرسة ابن الفارض واتباعه فلتلك أصولها وقواعدها واصطلاحاتها .

كما لا أريد الحديث عن « الرمزية » الحديثة بإسهاب فى هذا المجال الضنك وكل ما أريد أن أقوله عنها هو ضغط آراء من أسهب فى الكتابة عنها وسرد أغلب ما قيل فيها .

إن « الرمزية » جاءتنا من الغرب وصاحب هذه المدرسة التى ركزها ووضحها هو الشاعر « ملارمة » . وقد انتقل هذا اللون من الشعر إلى « لبنان » عن طريق الغرب وتبنته أخيراً مجلة (الأديب) واحتضنته . وسرت هذه العدوى إلى بعض ناشئتنا من الشعراء فى العراق فلم يصمد أمام النقد والتجريح وانهزم أخيراً فى الميدان .

إن هذا اللون من الشعر لا وضوح فيه ، فهو غامض مبهم لأن الكلمة عند « الرمزيين » لا تدل على المعنى المفهوم عند عامة الناس والمتعارف عليه .

من قديم التأريخ وأن المعنى للكلمة يتبادر إلى الذهن بمجرد إطلاقها لأنها وضعت رمزاً لذلك المعنى . وإن ادعى (الرمزيون) بأنّ المعنى يستشف من المقطع الشعرى كله لا من الكلمة الواحدة .

وهذا رأى غريب فى بابه ، لأن المقطع الشعرى إنما هو يتكون من كلمات ، فإذا كانت الكلمة الواحدة غير مفهومة المعنى ، ولم تدل على الغرض المقصود دلالة واضحة فكيف يكون المقطع المتكون من الكلمات مفهوماً .

على أن بعضهم يرى أن اللغة تعجز فى بعض الأحيان لأن تكون جهازاً للتعبير وأداءً للاحاسيس فيعمد الأدباء إلى إنشاء لغة فى اللغة كما فعلت مدرسة ابن الفارض . إلا أن ابن الفارض وضع المصطلحات لمعنى الكلمة بينما (الرمزيون) أهملوا كل مصطلح للمعنى الجديد للكلمة التى استقر معناها من أول تأريخها .

ولا أريد — كما قلت سابقاً — الإطالة فى هذا الجانب من الشعر فقد كفانى محترفوه أمره فهو قد انهزم من الميدان الأدبى فى العراق .

٢ — « الشعر الحر » :

أما هذا الشعر الذى يسمونه مرة بـ « الشعر الحر » ، وأخرى بالشعر « المنثور » أو « الطليق » ، فقد شاع وانتشر بين ناشئتنا فى الآونة الأخيرة . وهو يتميز بعدم الالتزام لا بالقافية ولا بالوزن . وقد تكون القصيدة من أوزان متعددة ، وقواف متعددة ، وربما فقدت الوزن نهائياً . وهذا اللون من الشعر له أنصاره ومؤيدوه من الشبان . ويتهمون المحافظين على الوزن والقافية والذين تنكروا لهذا النسق الشعرى بالجمود ، وعدم التطور ، والتقليد .

يرى بعض شعراء العراق وكتابه أن الشعر يلزم الوزن والقافية ، فإن فقد أحد هذين الركنين فلا يصح تسميته « بالشعر » بالمعنى المألوف . على أن القرآن سموه شعراً . والنبى سموه شاعرا وهو ليس بشعر ولا الرسول بشاعر

وإنما أطلق الشعر على القرآن لسمو المعانى فيه وجمال اللفظ المعبر عن تلك المعانى . والشعر الحر أغلبه من المتهافت فى معانيه والهابط إلى الحضيض فى أساليبه .

ويرى بعض أدباء العراق ونقاد الشعر فيه أن هذا الشعر — ويعنون الشعر الحر — بأنه غير مستساغ إذ أنه لا يلقى من السمع قبولا كما يلقى الشعر المحافظ على وزنه وقافيته ، ويدعون بأن الذى يفهم من الشعر هو أن يؤثر فى النفس بالنغم تأثيراً بحيث يكون التأثير فيه هو الحد الفاصل بين الشعر والنثر .

ويرى بعضهم أن المشكلة فى هذا اللون من الشعر ، والذى ينعتونه بـ « الحر » فهمه وإدراكه . فانا — والقائل شاعر تعرفه الاندية الأدبية — بصفتى أديب ، انظم الشعر وأجيد فهمه ، وأدرك مغازيه وسر الفن فيه فلا أفهم ولا أحس بأنه من الشعر .

وإنى أعتقد بأن بعض الشعراء من ناشئتنا ذهبوا لمزاولته لسهولة تعاطيه، فهو لا يفرض عليهم سعة الاطلاع على اللغة . ومفرداتها . ولا بالمهارة على أصولها وقواعدها . فمن هنا نرى هذا الشعر مشحونا بالأغلاط فى قواعد اللغة العربية ، وأكثره من جهة المعنى تافه ، ومن جهة الألفاظ ركيك متداع .

والشعر كان ولا يزال ويجب أن يكون حارساً للتراث اللغوى ولذا يجب أن نتجنب مثل هذا الذى يسمونه شعراً .

هذا الرأى هو الرأى الشائع فى العراق وعند البارزين من أدبائهم وليس غرضى من حشر هذه الآراء النعى على الشعر (الحر) بل كل غرضى هو ان ناشئتنا قد نشطوا فى نظم هذا الجانب الأدبى ، وشىء آخر هو أنهم يقرظ بعضهم بعضاً ويثنى بعضهم على بعض أما الشعراء البارزون

والمتضلعون في اللغة والأساليب فلا يعيرون هذا الشعر اذناً صاغية بل ويعتبرونه من مرذول القول . كما أن هذا اللون من الشعر لم يقف على قدميه لعدم وجود شاعر بارز فيه .

وإلى القارىء أنموذج من هذا الشعر

١ — الاستاذ بدر شاكر السياب

« أنشودة المطر »

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر(١)
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء كالأقمار فى نهر
يرجه الجذاف وهناً ساعة السحر
كأنما تنبض فى غوريهما النجوم

هذا مقطع من قصيدة طويلة كلها على هذه الشاكله . وهى تعتبر من شعره الجيد إذ أنها منتخبة لنماذج مختارة من الأدب البصرى الحديث .

. . .

٢ — الآنسة نازك الملائكة

« غسلا للعار »

أماه وحشرجة ودموع وسواد(٢)
وانبجس الدم واختلج الجسم المطعون
والشعر المتموج عشش فيه الطين
أماه ولم يسمعها إلا الجـــلاد

---

(١) ١٥ مختارات من الأدب البصري ،طبعة الأديب فى البصرة
(٢) ١٥٤ الشعر وقضيته مطابع دار الـكشاف

وغدا سيجيء الفجر وتصحو الاوراد
والعشرون تنادى والامل المفتون
فتجيب المرجة والازهـــار
رحلت عنها غسلا للعار

* * *

٣ – الاستاذ عبد الوهاب البياتى

« لقـــاء »

عيناك باسمتان مثل بنفسج يتفتح(١)
فى الغاب فى الليل العميق
فى معبد الحب السحيق
حيث السعادة لاتنام
إلا على سرر الغرام
حيث الازاهر لاتفيق
إلا على همس الطريق
عبرى يبللها الندى
حيرى ايقطفها الردى
فى صحوة الفجر الجميل
من غصنها النامى البليل

وهى قصيدة طويلة تجرى على هذا النسق . والاستاذ البياتى يعتبر أحسن شاعر وأبرز أديب فى مجال الشعر « الحر »

---

(١) ٣٩ ملائكة وشياطين ديوان الاستاذ عبد الوهاب البياتى

٤ ــ الاستاذ عبد الرزاق عبد الواحد

« الخوف والرجال »

ياسيدى لسنا دقاق الظهور(١)
لقد تكومنا زمانا طويل
تحت صليب ثقيل
فأرضنا انك أدرى ليس فيها حطب
غير جذوع النخيل
وليس ضيق الصدور
من دأبنا ياسيدى. فقدمصصنا الهواء
لقد مصصناه خلال الثقوب
خلال كل الندوب
فى جذر مشبعة بالدماء

* * *

٥ ــ الاستاذ سعدى يوسف

« الوطن الصغير »

وليكن (٢)
أن أغانيها عنيفة
كلها تسعى وراء الجوع سوداء ، مخيفة
يامحمد
أنها الأرض التى تحيا عليها
وتموت

---

(١) ٣٤ مجلة المثقف السنة الأولى . العدد الأول
(٢) ٦١ مختارات من الأدب البصرى الحديث مطبعة الأديب فى البصرة

٦ — الدكتور صالح جواد الطعمه

« العائد »

لازلت أذكر كيف عاد بي الطريق(١)
قلق الملاح واجم اللحظات يعبث بي الذهول
وبراعم الأحلام ينثرها على الأرض الذبول
وتكاد انفاسي تضيق
والذكريات تطل في ذعر من الماضي تفيق
ماذا أثار الذكريات

* * *

٧ — الاستاذ محمد الجابر

« الأناشيد العظيمة »

الف ليل أسود يغمر صدري(٢)
والحكايات القديمة
هذه الدنيا لمن
كل من القاه يشكو
والجراحات الاليمة
بأغانينا العقيمة
ياحسن

* * *

٨ — الاستاذ حسين مردان

« سافرت »

سافرت (٣)
سافرت ومرت بقلبي

---

(١) ٤٨ ديوان الربيع المختصر مطبعة الزهراء بغداد
(٢) ٢٥ مختارات من الأدب البصري مطبعة الأديب البصرة
(٣) قصائد عارية ديوان الاستاذ حسين مردان مطبعة المشرق بغداد

الف ذكرى غضيضة الألوان
شعرها
نهدها الصغير المندى
وارتعاشات صدرها الريان
ردفها
رقصها المثير ليال
لم يزل عطر نارها فى جنانى

هذه نصوص لعدد قليل من شعراء الشبان الذين ينظمون على طريقة الشعر «الحر» ولا داعى لذكر بقية النصوص فهى كثيرة جداً الا انى سأذكر عدد آخرين باسمائهم بغير نصوص وهم الاساتذة راضى مهدى السعيد(١) ، حسن البياتى(٢) ، بشير حسن القطان(٣) ، سالم علوان الجلبى(٤) حارث لطفى الوفى(٥) ، رزوق فرج رزوق(٦) ، محمد النقدى(٧) ، ابراهيم يعقوب(٨) ، عبد العزيز القديفى (٩) ، الدكتور يوسف عز الدين(١٠)

---

(١) رياح الدروب ديوان شعر للاستاذ راضى مهدى السعيد مطبعة دارالمعرفة بغداد
(٢) من شفاه الحياة « « للاستاذ حسن البياتى مطبعة المعارف ببغداد
(٣) أغاني الربيع « « « بشير حسن القطان مطبعة المعارف ببغداد
(٤) أحاسيس ثائرة للاستاذ سالم علوان الجلبي مطبعة الأديب فى البصرة
(٥) ليالى الاثم ملحمة شعرية للاستاذ حارث لطفى الوفى مطبعة دار المعرفة ببغداد
(٦) وجد ديوان شعر للاستاذ رزوق فرج رزوق بيروت المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر
(٧) الاشباح الظالمة ديوان شعر للاستاذ محمد النقدى شركة النشر والطباعة ببغداد
(٨) فى سكون الليل للاستاذ ابراهيم يعقوب مطبعة الاعتماد بمصر
(٩) مأساة حزين ديوان شعر للاستاذ عبد العزيز القديفى مطبعة دار المعرفة بغداد
(١٠) الحان ديوان شعر للدكتور يوسف عز الدين دار الطباعة الحديثة بالاسكندرية

فى هـذه الفترة العصيبة من تاريخ العـراق وقعت أحداث جسيمة فى البلاد العربية وغير العربية التى ترزح تحت كابوس الاستعمار كان شعراء العراق ينفسون عما هم فيه من ظلم وجور وقيود قد فرضها الاستعمار بالشعر الملتهب الذى هو صدى لما هم فيه ولـكن بحوادث خارجة عن العراق .

فمن هذه الأحداث تأميم (الزيت) فى إيران على يد الدكتور « مصدق » ونهايته المحزنة على يد الاستعمار وعملائه من الأذناب والرجعيين فقد نظم الاستاذ طالب الحيدرى قصيدة عنوانها :

إلى مصدق

مافى مصيركَ يامصدقُ عارُ　　المجدُ حيث يشرد الأحرارُ(١)
خفض عليك فأنت أول ثائر　　فى الشرقِ يهتف باسمه الثوارُ
إيرانُ لاتنهارُ ماسارتْ على　　تلك الخطى ، إيران لاتنهارُ
ياباعث الروح الجديدة حيّةً　　فيها تعالى نجمك السيارُ
الزيتُ زيتُ الشعب ليس لغاصب　　حق به أو تُطمر الآبارُ

إلى آخر هذه القصيدة العامرة بالأفكار النيرة

. . .

ولـكاتب هذه السطور قصيدة نظمت على أثر النـكبة التى أصابت «إيران» بانهيار حكومة الدكتور « مصدق » الحـكومة الشرعية والتى كانت سبباً قوياً لقلق الاستعمار على زيت إيران بـ «تأميمه» النفط ، وقد تكالب الاستعمار وحشد كل قواه بمساعدة الرجعية فقدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين .

قارعْ فلست يداً تغلُ　　الرأى رأيكَ لايفـلُّ (٢)

---

(١) ١١٢ « نضال » ديوان السيد طالب الحيدرى مطبعة المعارف ببغداد
(٢) من الديوان المخطوط عبد الـكريم الدجيلى

هذى الأمور تعقدت وبغير فكرك لا تحلّ
أنى وجدت وأين كنت ففيك يرتفع المحل
السجن مذأبة لكل فتى يقـــــــارعة الأذل
والحكم معقود عليك وهل له بسواك شغل
وبرزت فى رهط ويكثر عندك العدد الأقل
وقطف كفاً طالما كادت وكانت تستغل
وهزت من تلك الجوع قنىً وكادت تستذل
وشخصت مرجو الشعو ب وفيك يستجلى الأجل
الشعر فى معناك ينظم بل وأنت المستهل

. . .

وللاستاد السيد طالب الحيدرى قصيدة أخرى عنوانها (تحية إيران) كان لها صدى عميق فى الوسط السياسى والأدبى مما حدا بسلطات العهد البائد المندثر إلى جمع النسخ من الأسواق واستدعاء الشاعر للتحقيق معه . وقد تلقى الشاعر كتابين من زعيمى إيران السيد أبو القاسم الكاشانى ، والدكتور مصدق :

بوركت يا ملعب النسور يابنت كسرى وأزدشير(١)
أم الحضارات من قديم والانعتاقات من عصور
طهران لازالت الضحايا شعلة حـــــــرية ونور
ألف سلام على الضحايا وألف شوق إلى النفير

وهى طويلة لا يسعنى تسجيلها هنا ففيها يرجو من طهران التى هى حرة

(١) ٥ ١ من ديوان النضال مطبعة المعارف ببغداد

الضمير نقية الصفحة أن تسير أمام شعوب العالم وألا تقف فالوقوف عار ومسكنة وألا تخاف المصير إذ أنه لابد للشرق من ليال تأتى على الشرور المحيقة به ولا بد وأن تأتى على الطاغى المستبد الأهوج الذى ربط مصيره بالاستعمار الذى لا يمكن بقاؤه بعد الآن .

وللاستاذ السيد محمد جمال الهاشمى قصيدة « تحية الدماء » نظمها على أثر نهضة الدكتور مصدق :

سكر الشرق من رحيقك وجدا   وتهادت إيران فخراً ومجداً(١)
وأطلّ الفجر المدل لحيته   وحيا الشباب أخذاً وردا
ناشراً من شعاع روحك ظلا   يتندى فيه إباءا وحقدا
فاستثارت منه السيوف وراحت   تلهب العاصفات برقاً ورعدا
يا دماء الأحرار هذى أحاسيسى   نظمتها لذكراك عِقدا
أنت عطرت عالم الشرق فالغر   بى يستاف منه طيبا وندا
وتحديت منهج الحكم فانهار   وذاب الطغاة حلا وعقدا

. . .

إلى آخر هذه القصيدة التى تنوف على الخمسين بيتا .

كما نظم كثير من شعراء العراق المحدثين فى موضوع الحرب الضروس التى تدور رحاها فى الجزائر . وفى هذه الحرب أصبحت الوحشية نظاماً لفرنسا فهى تقتل النساء والعجزة والأطفال جملة وبغير رحمة .

يقول كاتب هذه السطور فى قصيدة عنوانها « فرنسا فى الجزائر » فالمجازر التى يقوم بها الجيش الفرنسى هى سبب إيحاء هذه القصيدة :

---

(١) ٣٦ جـ ١١ من شعراء الغرى المطبعة الحيدرية فى النجف

سيرى بخائنة الضمائر   واستعمرى شعب الجزائر(١)
واستأصلى حتى الرضيع   وشنقى حتى الحرائر
وتحشدى بالطائرات   وبالمدافع والقنابر
سيرى ولا تتوكلى   فالمخلصون إلى المقابر
من ذا يردك كل قارعة   بها كل المخـــــافر
لا تنصتى جنب الاراك   فقد خلا من كل صافر
أنت العليمة لم يعد   فى الحى منهم أى سامر
فلقد هووا دون الحمى   وتناثرت تلك الأزاهر

وهى قصيدة لا يسعنى المجال أن أثبتها كلها لضيق المجال وقد نشرتها عدة صحف عربية .

. . .

وللاستاذ سالم علوان الجلبى قصيدة عنوانها « ياشهداء الجزائر » .

إلى أرواحكم نهدى السلاما   فقد كانت لنهضتنا ضراما(٢)
دم الشهداء حيث يسيل رمز   لنهضتنا سنجعله وساما
دم الشهداء عنوان لمجد   سنحيى ذكره عاما فعاما
دم الشهداء طغراء لصك   نوقعه على أن لا نضاما

. . .

وللاستاذ السيد طالب الحيدى قصيدة عنوانها « الجزائر » .

لله يا شعب الجزائر   تقف الشعوب وأنت سائر(٢)

---

(١) من ديوان عبد الكريم الدجيلى المخطوط
(٢) ٩٥ أحاسيس ثائرة مطبعة الأديب فى البصرة
(٢) ١١٥ نضال ديوان السيد طالب الحيدرى مطبعة المعارف

في صولة الحق الجرىء　　وهمة المجد المثابر
تنصب كالتيار كالأ　　عصار كالبركان ثائر
بالشيب بالأطفـــــال　　نافح عن حياضك بالحرائر

. . .

وللاستاذ الشيخ عبد المنعم الغرطوسى قصيدة طويلة جدا موضوعها « الجزائر » فقد أثارت الأستاذ الشاعر المجازر التى تذبح فيها الانسانية على يد الاستعمار الفرنسى المجرم الذى يغير من النار والحديد على الشعب العربى المجاهد والذى يتطلع لحريته واستقلاله :

«الجزائر»

يا أمة الشرف المجيد　　ذودى عن الأوطان ذودى
هبي إلى استقلالك　　الغالى مرفرفة البنود
شعب الجزائر يا أبا　　السدوات والفتك العنيد
رصعت أكاليل المفا　　خر من جهادك فى عقود
وكسوت أمجاد الكرا　　مة من دمائك فى برود
وفتحت للاجيال　　مدرسة البطولة من جديد
ونشرت درساً خالداً　　للتضحيـــات وللجهود
ورفعت راية يعرب　　خفاقة فوق البنود
حييت يا شعب الجهاد　　وطاب مهدك من صعيد

. . .

وقصيدة فى الجزائر : للاستاذ السيد يحي الصافى .

حى الجزائر نشوى فى ترنحها　　على الجهاد تشب الحرب نيرانا
وحى أبطالها أبطال ملحمه　　جلوا وما صغروا بين الورى شأنا
يشرون بالعز ما أغلى الجبان له　　سوما فما نفسوا للعز أثمانا
يا قومنا قد رفعتم رأسنا كرما　　وقد تطامن للباغين أزمانا
الله أكبر قد جلت ضحيتنا　　جلت .. وقد سها الرحمن قربانا

كأنّ أيامنا اللائى سلفن لنا كرت علينا بماضى عزنا الآنا
والموت هل كان إلا معبرا عبرت إلى الجنان به والخلد قتلانا
وقد شرى الله منا قبل أنفسنا فما غبنّا لنا فى الحشر ميزانا
هذى لعمرك من آبائنا سمة وهذه .. هذه قدماً سجايانا
يا خائضين غمار الموت ما ادكرت نفوسهم فى الوغى أهلا وولدانا
يا ليت لى بكم من معشرى بدلا وليت لى بذرى «الأوراس» أوطانا

. . .

وللاستاذ عبد الكريم كمال الدين قصيدة عنوانها «شعب الجزائر» :

ماذا أقول عن الجزائر بلد البطولات الزواهر (١)
ماذا أقول وكل ما فيها يشير إلى المفاخر
شعب يصارع عصبة للشر تفخر بالكبائر
شعب يصارع عصبة ما فى صحائفها مآثر

. . .

وللاستاذ الجواهرى :

يوم الجزائر

ردى علقم الموت لاتجزعى ولا ترهبى جمرة المصرع
فما سعرت جمرات الكفاح لغير خليق بها أروع
ولا تهنى أن سوم الفخار يشق على الهين الطيع
دعى شفرات سيوف الطغاة تطبق منك على المقطع
فانشودة المجد ما وقعت على غير أوردة قطع
وخل النفوس العذاب الصلاب تسيل على الاسل الشرع
فسارية العلم المستقل بغير يد الموت لم ترفع

---

(١) فى مجلة النشاط الثقافى السنة الأولى العدد العاشر.

ومدى يدا لمجر النجوم   وأخرى إلى الجدث البلقع
فإننا والموت دون الحياض   صنوان للشرق الأرفع
ردى علقم الموت بئس الحياة   ترنق بالذل من مكرع

. . .

جزائر يا جدث الغاصبين   بوركت فى الموت من مربع
ويا نبعة الصبر للصامدين   لوتها الرياح ولم تقطع
تعاصت فلم تعط من نفسها   لنكباء مجنونة زعزع
ثبي ، فمناط رجاء الشعوب   وموت الطواغيت أن تفزعى
جزائر ما أنت مجذومة   ولا أنت بالوتر لم يشفع
ولكن منى أمة ، والصميم   منها ، وذوب حشاشتها أجمع
جزائر دارت بمستعمر   رحى من يضرس بها يهلع
طحون تذرى هشيم العتاة   على مصطل نارهم مدقع
وآذن فجر الشعوب المتوف   ينشق عن يقظة المهجع
وكان النضال صدى يختنق   ويختنق فى زحمة المدفع
فها هو ذا دارة للنجوم   تسبح فى فلك أوسع
وكان المناضل فى لجة   العمايات ينداح كالقوقع
فها هو فيها يهم الحياة   والناس كالكف والأصبع

. . .

جزائر سامك خسف الهوان   شرع لمثلك لم يشرع
وسفر به المثل الصالحات   ردت إلى الخلق الأوضع
اذيلت صحائفه النيرات   وديست وليثت بمستنقع
مشت لك «باريس» أم الحقوق   وحشاً يدب على أربع

تمزق اظفاره أمة بحق الحياة لها تدعى
فرنسا ... وما اقبح المدعى كذاباً ، وما اخبث المدعى
فداء لمقصــلة الثائرين مجازر للشيب والرضع
لك الويل من رائم اطعمت دم الراضعين ولم تشبع
تهـدم بستيل فى موضع وتبنى بساتيل فى موضع
أمن مشعل النور ما تحرقين .. اباة على الضيم لم تربـع ؟
ومن يوم « تموز » ما ترسلين شواظاً على هلع فزع ؟
ومن « مطبخ » الثورة المدعاة ما رحت تطهين للجوع ؟
فيا سوأة الدهر لا تطلعى ويا بؤرة الغدر لا تنبعى
ويا قرحة فى صميم الشعوب قيئى صديدك واستبضعى
توارى فان هوان الحيـاة والطهر ، والعدل ، أن تطلعى
وظلى بحيث يظل الغراب يجدح فى جثث وقع
جزائر كيلى بصاعى حقود عم فى ضراوته مقذع
على موجع الظلم بالأوجع ومستبشع الحقد بالأبشع
خذى الوحش من ظفره وانزعى ومن نابه جردا واقلعى
دعيه يذق ما أذاق الشعوب من الهول والفزع الأفظع
وجريه فوق رغام أجر عليه مواكبها يركع
جزائر دقى بجرس المنون على مسمع مغلق يسمع
دعى حسك الحقد والانتقام يقضان من ناعم المضجع
وخلى الرقاب الغلاظ القباح ترق على ترف المبضع
وسلى المخالب من اذؤب تعاوت عليك ومن أضبع
تلوك بلحمك فى ماضغ هريت بحر دم مشبع
ودورى بكاس الهوان المرير على مترع مثلها يكرع

. . .

وفى هذا الموضوع برزت فى وسط هذا الكفاح شابة هزت المجتمع العربى وغير العربى بوطنيتها المخلصة هذه الشابة أسمها « جميلة » الجزائرية ثارت على ظلم الأفرنسيين واستعمارهم وقد حكم عليها من قبل المحكمة الفرنسية بالإعدام فقامت الدنيا وقعدت وخرجت المظاهرات فى البلاد العربية وحتى فى بريطانيا يتقدمها نواب من مجلس العموم البريطانى ومن حزب العمال محتجين على إعدامها وقد لاقت عذاباً فى السجن يكاد لا يطاق كما قد أثارت هذه الشابة أحاسيس الشعراء فى البلاد العربية ، ولكاتب هذه السطور قصيدة عنوانها « جميلة » .

سمراء تخطر بالحمائلْ　　وتزين معصمها السلاسلْ (١)
وتعيد مجد (خناس) يوم (القادسية) إذ تناضلْ
تعتاض فى لحن القيود عن الموشح والخلاخلْ
وازّينت بابن القيون　　وبالعديد من الفضائلْ
هامت بحب بــلادنا　　لا بالغدير ولا الخمائلْ

. . .

وهى قصيدة نشرت فى مختلف الصحف العربية فلا مجال لنشرها هنا .

* * *

ومن جملة الأحداث التى هزت العالم بأسره الغزو البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على مصر وذلك سنة ١٩٥٦ م فانبرى شعراء العراق فى هذا المجال فللاستاذ الشيخ عبد المنعم الفرطوسى قصيدة عنوانها :

مصر والاستعمار

يا مصر يا أم الصقور　　ثورى على الطغيان ثورى (٢)
ثورى على الشر المبيد　　وبددى شملَ الشرور

---

(١) من الديوان المخطوط .

(٢) ١٦٥ ديوان الفرطوسى جـ١ مطبعة الغرى فى النجف .

ثورى على الغدر الفظيع　　وأنت طاهرة الضميرِ
ثورى لحقكِ قد تبلج　　فهو كالصبح المنير
لحمـــاية استقلالك　　الغالى مِن الظلم المعيرِ
لكرامة تأبى الهوان　　تُسامُ بالضّيم المرير
لدم تحدر فى ثرى　　الصحراء كالغيث المطير
يا مصر يا غاب الأسود　　الشوس يا وكر النسور
يا مهدَ ناشئة الفخار　　تصان فى أذكى الحجور

. . .

أجمال وادى النيل　　بالغة العواطف والشعور
أحدوثة الشيخ الكبير　　ولهجة الطفل الصغير
أغرودة السمار فى　　الأرياف يا هزج الصقور
أغرودة الراعى وزغر　　دة البلابل والطيور
حلم العرائس والعذارى　　فى الحجال وفى الخدور
عطر الأزاهر فى الحقو　　ل ورقص أمواج الغدير

ولكاتب هذه السطور قصيدة . نظمها بعد الاعتداء الثلاثى . وبنكوص هذه الحملة وخيبتها كتب تأريخ العرب من جديد بطرد الاستعمار عن مصر وكان الرئيس « جمال » هو المحور لهذه الحركة المباركة .

وقد نشرت هذه القصيدة فى جريدة اليقظة :

« جمال »

(جمالُ) يا أنشودة الشاعر　　يا حلمَ الشعب إلى (الناصر)
خلت ديارُ العرب من سامرٍ　　واقفرتْ إلا من « السامرى »
سبعُ دويلاتٍ بتيجانها　　وما بها من ناقدٍ خابر

مثل فم الأخرس لا ترتجى ... ومثلُ سيف بيدىٍ خائر
ضلت بظلماء تَحثّ السرى ... أما لهذا الليل من آخر
وَهوَّمتْ حتى لِشذاذها ... أما بهذا الجبن من كافر
تناشد العونَ مِن المعتدى ... وتطلب النصر من الغادر
يا منقذَ الأمةِ من بعدما ... خاب الرجى بالعسس الصافر
فرعون ولى وانقضى عهدُهُ ... وأبطل السحرُ مع الساحرِ
وأصبحت (لندن) فى مأتم ... تندب حظ الزمن العاثرِ
وولتْ الأيام كانت بها ... مصرُ تعانى عبثَ الجائر
ومن (دنشواى) استفاق الحمى ... وانقلب الأمرُ على الآمرِ

وللاستاذ الجواهرى :

ياجيش عدنان لاضير وان دلفت ... بالمزعجات اراجيف واخبار
هنا بجلق عملاق على (بردى) ... وثم فى مصر يحمى النيل (جبار)
اسلم (جمال) لنا نسلم فقد عرفت ... بك الكرامة فى الشرقين امصار
جوزيت عن أمة انعشت تربتها ... خيراً كما جزيت سمحاء مدرار
تمخضت حقبا ارحامها وأتى ... على المخاطة اعنات واعسار
واطبقت لم تلح عن حازم ذكر ... حرائر من قبون الله اطهار
حتى إذا الغيث ابدى حر صفحته ... ومال للاجل المضروب مقدار
تنفس الصبح عن مصرية ولها ... فى المهد شبل قبيل الزأر زآر
وانصاع يبرى سيوف الهند لاهبة ... مهند يعربى الحد بتار
فذ عجيب له حدان مؤتشب ... حلو وحد كطعم الموت مرار
تفشى المشاكل متنيه فيحملها ... لاحيب تطغى ولكن حيب يختار
ويمكر الثعلب الغاوى فيخدعه ... عن غيه حذق فى الرشد مكار
عرق من الشعب لم ينبس بخائنة ... ولا التوى منه إعلان وأسرار
لا يومه ترف بالقصف منتزف ... ولا لياليه أقداحِ وأسمار

وللاستاذ السيد طالب الحيدرى فى « بور سعيد » ومن المستحسن أن أثبت فى هذا المجال قول « المستر جون ستربجى » النائب العمالى البريطانى حيث قال : فى ظرف بضعة أسابيع ستعى هذه البلاد الحقيقة وهى أننا دخلنا مصر وخرجنا من مصر ، وصرنا السبب فى غلق قناة السويس وأوقفنا النفط ، وجعلنا كل عربى فى العالم عدواً لنا ، وقسمنا الكومنولث ، وتشاجرنا مع الأمريكان ، وقضينا على انفسنا بانفسنا . كل ذلك من أجل لا شىء .

فنى بور سعيد ولا ترهبى	وسيرى فإنك لن تُغلبى
فنى فى شموخ أمامَ الطغاة	ودكى معالمهم واشجبى
فنى لا تخافى ففى مشرقٍ	ملايين تسعى وفى مغرب
ملايين تسعى لأجل السلامِ	لأجل الغد الأسعد الأطيبِ
فنى فى شموخ وشقى الطريق	أمامَ الطليعة من يعربِ
وخوضى إلى المجد بحر الكفا	ح وسيرى إلى النصر فى موكب
نضالا إلى أن تعود الحقو	ق كاملة قط لم تسلب
غزى الأجنبى فهلا غداً	تكونين مقبرة الأجنبى

. . .

ولو اردت الاستشهاد فى كل الشعر الذى قيل فى موضوع الاعتداء على مصر لاحتجت إلى مجلد ضخم فى الموضوع ، وهناك أحداث أخرى وكثيرة مثل (حلف بغداد) فقد قال فيه الشعراء وشجبوه وأكثروا من القول فيه . كذلك أدهش العالم والشعراء منهم إطلاق « القمر الصناعى » فنظموا فيه وأجادوا . وأكرر القول بأنه لا سبيل لى على أن اشتشهد بالشعر الذى قيل فى هذه المواضيع جميعاً لضيق المجال هنا .

الشعر الحديث

مع الانتفاضات الشعبية

لقد سبق الكلام على مساهمة الشعراء فى الثورة العراقية فى البحث عنها سابقاً والآن نريد أن نتابع الشعر الحديث فى وسط الانتفاضات الشعبية على الحكم الاستعمارى فى العراق حتى ثورة « ١٤ » تموز الخالدة التى سحقت المستعمرين وعملاءهم والمنتفعين من أذنابهم .

إن حملة الأقلام من الشعراء خاصة لهم كل الفضل فى توجيه الرأى العام بالعراق . وبث الوعى بين أكثرية طبقات الشعب من ناحية . واشهار الطغمة الحاكمة التى تدين للاستعمار بوجودها وكيانها من ناحية أخرى .

فالحركات التحررية التى قام بها الشعب . وأخيراً اندماجه مع الجيش الباسل هى التى حطمت نظام الحكم الفاسد فى العراق . فثورة (١٤) تموز هى نتيجة للانتفاضات التى تعاقبت ، والتى راح ضحاياها عــدد هائل من الشبان .

فثورة (١٤) تموز لم تكن وليدة صدفة بل هى فى الواقع نتيجه جهاد مرير قام به الشعب العراقى منذ عهدٍ بعيد ومنذ الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ التى مر ذكرها فى أول هذا الفصل .

إن جهاد العراقيين على اختلاف طبقاتهم وتفكيرهم ونحلهم كان مليئا بالأحداث الجسام ، والتضحيات الضخمة مِن أبناء هذا الشعب الابى الذى أبى أن يتلمض جرع الخسف . فهو قد بذل كل ما فى وسعه من تضحيات فى سبيل ما كان يرجوه من الاستقلال والحرية والعدالة الاجتماعية .

والشعب العراقى قد أدرك منذ اللحظة الأولى خطط المستعمرين بعد الانتهاء

من الحرب الكونية الأولى ، وأدرك أن الثورة العربية هي طليعة الخيانة والتآمر على الأمة العربية . وأنّ الأسماء التي برزت في حينها من البيت الهاشمي المقنع ما هي إلا شخوص يتوارى خلفها الاستعمار الأجنبي ليحل بدل الاستعمار العثماني الذي طوحت به الحرب العالمية الأولى .

وقد ثار العراق على معاهدة ١٩٣٠ التي جاء بها العميل الأول للاستعمار الإنكليزي نوري سعيد إلا أنه وطد حكمه من طريق آخر فتستر بوساطة الاذناب والرجعية من الاقطاعيين . وكانت أموال الدولة تنهب نهباً كما سخر رجال القضاء وموظفوا الإدارة والجهاز البوليسي لتثبيت قدم الاستعمار عن طريق حكم فاسد جاهل تقوم على إدارته عصابة تبطش وتقسو وتنكل إرضاء لاسيادها المستعمرين وبقاء لمصالحها فنظم في هذا الدور شعر كثير ينعى فيه على هذا الحكم المتفسخ كما نظم شعر كثير في شجب هذه المعاهدة يقول : الشاعر محمد مهـــدي الجواهري من قصيدة عنوانها « بعد عشر » سنة ١٩٣١ م .

قبل أن تبكي النبوغ المضاعا — سب مَن جر هذه الأوضاعا (١)

بعد عشر مشت بطاءاً ثقالاً — مثلما عاكست رياح شراعاً

عرفتنا الآلام لوناً فلوناً — وأرتنا الممات ساعاً فساعاً

أخبرتنا أنا اسأنا اختياراً — واقتنعنا انا أسانا اقتناعاً

وندمنا فهل نكفر عما — قد جنينا اجتراحةً وابتداعاً

وهي قصيدة تستطيع أن تدرس في ضوئها كل الأحداث التي تجري في ذلك العهد .

والاستاذ الأديب السيد خاشع الراوي قصيدة كلها ألم وحسرة على

---

(١) ٩٧ ديوان الجواهري مطبعة الغري في النجف .

الوطن الحبيب الذى ضاع بسبب هذه الطغمة الحاكمة التى قربت الأشرار والمستغلين من سماسرة الاستعمار :

وطنى ترابك عسجدُ وغبار أرضك أثمدُ (١)
أما هواهُ فهو مِن نفح القرنفل أجود
وطنى جعلت لك الفدا أفنى وأنت تخلدُ
لكننى أجد الدعى يُعزّ فيك ويسعدُ
ويعيش فيك الأجنبى منعماً يتبغددُ
أما أنا فمعذب ومنغص ومنكدُ
ومضايق ومروع ومطارد ومهددُ

إلى أمثال هذا الشعر الذى يجعلك تحرق الارم غيظاً على هذه الأوضاع .

وبعد ست سنوات من إبرام المعاهدة العراقية الإنكليزية والتى سلبت بموجبها ثروات البلاد كان الشعب العراقى فى صراع مع المستعمرين ومن يلوذ بهم إلى أن شهد العراق انتفاضة ١٩٣٦ العسكرية على يد زعيمها بكر صدقى وقد ترأس الوزارة السيد حكمة سليمان وكان فى الوزارة مشتركا الوطنى الصادق فى نواياه وأهدافه المرحوم الحاج جعفر أبو التمن ولكن لم يكتب لها النجاح ولم تؤتِ أكلها . إلا أن بذور الحقد على المستعمرين والخونة المتآمرين معهم ، قد كمنت إلى فرصة أخرى يقول الأستاذ محمد مهدى الجواهرى فى قصيدة يحيي فيها هذه الثورة :

وأنت يابن سليمان الذى لهجت بما جسرتَ عليه البدو والحضرُ(٢)

---

(١) من ديوانه المخطوط .
(٢) ١٥٨ ديوان الجواهرى جـ ١ مطبعة بغداد .

الكابت النفس أزماناً على حنقٍ حتى طغى فرأينا كيف ينفجر
والضارب الضربة العظمى لصدمتها لحم العلوج على الأقدام ينتثرُ
هل ادَّخرتَ لهذا اليوم أهبته أم أنت بالأجل الممتد معتذرُ
أقدمت إقدامَ مَن لا خوف يمنعه ولا ينهنه من تصميمه الخطرُ
وحسب أمرك توفيقاً وتوطئة أنّ الطغاة على الأعقاب تندحر

وبعد مرور خمس سنوات على ثورة « بكر صدقى » قائد حركة ١٩٣٦ كان الشعب يغلى كالمرجل للاستهتار الذى رافق حكام هذا البلد ولسيطرة السفارة البريطانية على جهاز الدولة فثار الشعب العراقى بقيادة جيشه المنقذ على المستعمرين الإنكليز وذلك سنة ١٩٤١ م فبقيت البلد شهراً كاملاً تصارع جيوش الاستعمار ولم يكتب لهذه الانتقاضة ما أراده الشعب والجيش من النجاح فعمت البلاد موجة من الإرهاب والفتك والاعتقالات ونصبت المشانق فى بغداد للاحرار لحلّ البلاء على الشعب العراقى فكان برمته يعانى العسف من هذه العصابة الحاكمة التى يتزعمها الخائن نورى سعيد والبلاط الذى لا يدين إلاّ سيادة البريطانيين .

يقول الأستاذ الرصافى عن يوم « الفلوجة » وهى القرية التى لاقت الأمرين فى انتقاضة سنة ١٩٤١ فهدمت بقنابل الإنكليز وقتل من قتل من أبنائها .

« يوم الفلوجة »

أيها الإنكليز لا تتناسين بغيكم فى مساكن الفلوجه(٢)
ذاك بغى لن يشفى الله إلاّ بالمواضى جريحه وشجيجه
هو كربٌ تأبى الحمية أنا بسوى السيف نبتغى تفريجه
هو خطب أبكى العراقين والشـــام وركن البنية المحجوجة

---

(١) ٤٠٨ ديوان الرصافى مطابع دار الكتاب فى القاهرة :

حلها جيشكم يريد انتقاماً   وهو مغرٍ بالساكنين علوجهْ

وهذه القصيدة من أخريات شعر الرصافى فهو فى هذا العهد أصبح هماً وقد ضعفت قواه وانهارت أعصابه . والقصيدة كما تراها ليست من جيد الشعر .

* * *

ومرت الحرب العالمية الثانية بالويلات وتطلع الشعب العراقى بعد هذه النكبة الإنسانية إلى عالم أفضل فيه إطلاق الحريات ورفاهية من القيود المعاشية وغيرها التى قيدها الحاكمون والذين لم يدركوا أن الحركة الوطنية قد أخذت فى التبلور والتركز فى شعاراتها إلاّ أن المستعمرين لا يريدون الاعتراف بوعى الشعب ، وحقوقه المغتصبة بعد أن خرجوا منتصرين من هـــذه الحرب الضروس لو تكبيل العراق مرة أخرى بمساعدة أذنابهم بمعاهدة سنة ١٩٤٨م سميت بـ « بورتسموث » ، إلاّ أن الشعب العراقى فى هذه المرة انتفض على بكرة أبيه وخرج بصفوفه المتراصة ،وأطاح بتلك المعاهدة، ومن دبّرها من صنائع وزارة المستعمرات البريطانية ولكن بعد تضحيات جسام وقتل الأبرياء وإسالة الدماء وقررت جمعية الصحفيين الإضراب احتجاجاً على تعسف الحكومة بتعطيلها الصحف وسحب امتيازتها واعتقال المحررين فيها ، وخرج وفدٌ من الصحافيين إلى قبور الشهداء ووضعوا أ كاليل الزهر على قبورهم فأنشد الأستاذ محمد مهدى الجواهرى قصيدة يرثى بها شهداء الحرية(١) ومستهلها .

حضن التـــاج بنيه فتعالى   وتعـــالى حارس التاج جلالا
وتعالت أمة لم تنحرف   عن مدى الحق . ولا زاغت ضلالا
أمـــة تكره من مستعمرٍ   فرصة النصر وتأبى الانخـــذالا
قف بأجداث الضحايا لا تسل   فوقها دمعاً ولا تبـــكِ ارتجالا
لا تذل عهد الرجولات التى   تكره الضعف وتأبى الانحلالا

---

(١) ١٠٩ « كانون الثانى شهر الجهاد » كتاب للاستاذ محمود القاضى، داردجلة للطباعة ببغداد

وثلثف من ثراها شمةً ... تملأ المنخر عزاً وجــلالا
وضع الإكليل زهراً يانعاً ... فوق زهر من ضمير يتلالا
ثم خفض من جناحيك بها ... ثم أبلغها إذا شئت مقالا
أيها الثاوون فى جولاتهم ... طبتم مثوى وعطرتم مجالا

كما نظم الأستاذ الجواهرى قصيدة فى الشهيد « قيس الألوسى » الذى كان أحد شهداء معركة الجسر يوم ٢٧ كانون الثانى ١٩٤٨ وقد ترك فقده مأساة عائليه مفجعة .

« الشهيد قيس »

يا قيس يالطف الربيع ... ووقد رونقه الشبوب (١)
يا قيس يا همسَ الحبيب ... يذوب فى سمع الحبيب
يا قيس يا هزج الرعاة ... يشبع فى الحقل الخصيب
يا قيس يا شجو المزار ... يهب بالغصن الرطيب
يا قيس يا حلم العذارى ... يزدحمن على القليب

وقد نظم الأستاذ الجواهرى قصيدة وألقاها فى الحفل الكبير الذى أقيم فى جامع الحيدرخانة على روح أخيه الشهيد جعفر الجواهرى وهى من أشجى ندبه من أخ لأخيه عنوانها .

« أخى جعفر »

أتعلم أم أنت لا تعلمُ ... بأن جراح الضحايا فمُ (٢)
فم ليس كالمدعى قولة ... وليس كآخر يسترحمُ
يصيح على المدقعين الجياع ... أريقو دماء كم تطعموا

---

(١) ٣١ ديوان الجواهرى ج (٢) مطبعة بغداد .
(٢) ١٢٩ ديوان الجواهرى ح (١) مطبعة بغداد .

ويهتف بالنفر المهطعين أهينوا لئامكم تكرموا

. . .

وهى قصيدة طويلة مثبتة فى الديوان .

كما نظم قصيدة فى هذا المجال طويلة جداً تبلغ المائتى بيت وهى على رأس شعره جميعاً وقد قرأها بمناسبة ذكرى الأربعين لمصرع أخيه فى النجف :

« يوم الشهيد »

يوم الشهيد تحية وسلام بك والنضال تؤرخ الأعوام(١)
بكَ والضحايا الغر يزهو شامخاً علمُ الحسابِ وتفخرُ الأرقامُ

وفى هذه الانتفاضة وجد الشعب العراقى فيها ثمرة وإن لم تنضج . ولأول مرة فرض هذا الشعب الاعزل — إلا عن الحق — إرادته على العصابة الحاكمة فهزمت المعاهدة إلا أنه ترك الأمور للمراوغين والمهادنين والمخدرين .

ولم تمضى أربع سنوات على هذه الانتفاضة حتى قام الشعب العراقى بانتفاضة أخرى سنة ١٩٥٢ سالت فيها الدماء . وبعد فشل هذه الانتفاضة عبأ الاستعمار جيوشه وأفكاره لأن يحول العراق كله إلى سجن للشعب بأسره فكان مع عملائه وأعوانه فى هذه المرة أشد بطشاً وتنكيلا ، فالضغط والأرهاب على الأساتذة والطلاب ، فلم يعرف العراق عهداً أظلم ولا أقتم من هذا الدور الذى رآه فملئت السجون والمعتقلات ، وفصل مئات من الطلاب من مدارسهم وانتهكت حرم الكليات وضرب عدد كبير من المدرسين من قبل الشرطة وقتل منهم فى المدارس . وانتزعت الجنسيات من كبار المثقفين ومن أساتذة الكليات وفرضت الاقامة الاجبارية على جملة من الأساتذة

(١) ١١٠ ديوان الجواهرى ﺟ (٢) مطبعة بغداد .

والأحرار ، وأغلقت عدة مدارس باسم راية النفاق التى يحملونها وهى شعارهم ضد الشيوعية . ومحكمة الشعب قد كشفت لنا جرائم تكاد لا تصدق لولا المستندات والوثائق التى حصلت عليها .

كما أن أموال الدولة كانت تصرف على ملاذ العرش وبطانته وعلى الخونة وأعوانهم وعلى شراء الأسلحة التى تدير المؤامرات على العراق والشعوب العربية التى لاتناشد غير السلام والحياد الإيجابى .

وكان النهب والتبذير طابع هذه الطغمة الحاكمة . فى هذا الظرف طفح الكأس ، وبلغ السيل الزبى . فى مرحلة الانفجار . والجيش العراقى هو المؤسسة التى ينظر إليها الشعب بأسره بأنه المنقذ الوحيد بين المؤسسات ، وأنه هو الذى سيقوم المعوج من هذا الجهاز الفاسد ، أنه فى واقعة جيش شعبى . وإن أراد الحكم الملكى المندثر أن يجعل منه ومن بعض طبقاته يصطنع الارسقراطية . إلا أن الكثرة الساحقة فيه تشعر بأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالشعب ولأنها منه وما وجدت إلا للدفاع عن حياضه وكرامته واستقلاله وحريته .

ومرت ليلة (١٤) تموز الخالدة ، رخية هادئة ، متثاقلة ، ولكنها تحمل البركان وعند انبلاج الصبح وضع الجيش حداً لتلك المهازل بضربته الحاسمة الفاصلة ، وانطلق ومعه الشعب بأسره يسحق أقزام ذلك العهد البغيض ويجرهم بالشوارع والازقة حتى تقطعت أجسامهم فلم يدفنوا فى المقبرة التى أشادوها ، ولم يسكنوا فى البلاط الجديد الضخم الذى بنوه .

لقد ذهب الشعب بكل قواه يمجد ثورة الجيش . وقد ساهم كل الكتاب والشعراء والرسامين فى هذا التمجيد .

فنظم الأستاذ خاشع الراوى قصيدة عنوانها « إلى المجد » :

زها يومنا وسيزهو غدٌ ... غـــد كل حرية يسعد
أطحنا صروح البغـــاة العتاة ... وكان لصولتنا مشهـــدُ
زمان الفســـاد واربا به ... مضى وانطوى عهده الأسودُ

• • •

وللشاعر الأستاذ محمد مهـــدى الجواهرى قصيدة يحي بها الثورة ، والجيش العراقى ، ويشيع فيها عهد الخيانة والظلم والفساد « وعنوانها » : « يوم الجيش »

سدد خطاىِ لكى أقول فأحسنا ... فلقد أتيت بما يُجل عن الثنا (١)
فلقد دمغت بما نظمت قرائحا ... ولقد عقـــدت بما نثرت الالسنا
ولقد ضربت فلست املك مضربا ... ولقد طعنت فلست أملك مطعنا
ما كان عندك كان قولاً فاصلاً ... يسبى العقولَ فأى قولٍ عندنا
جيش العراق ولم أزلْ بك مؤمنا ... وبانكَ الأملُ المرّجى والمُنى
وبأنّ حِلمك قد يطول به المدى ... لكنّ عزمكَ لن يحيقَ به الونى
جيش العراق إليك ألفُ تحيةٍ ... تستافُ كالزهر الندىّ وتجتنى
حملَ الفراتُ بها إليك نخيلهُ ... ومشى بدجلةَ جرفُها والمنحنى
فلقد أعدتّ إليهما صفويهما ... من بعد ما غصّا بأدران الخنا

فكل ما يقول الشاعر . ويأتى به هو أقل بكثير من واقع الأمر . فالجيش قد جاء بما يجل عن الثناء فمن هنا نرى الشاعر مستهلا سدد خطاى لكى أقول فاحسنا وبغير هذا لا يمكننى القول لأنك دمغت قرائح الشعراء بما عملت ، وعقدت الألسن بما فعلت ، فضربت وطعنت فلم تترك بعد هذا كله مجالاً لمن يريد الطعن والضرب فكنت فصل الخطاب فهل للمقاول

---

(١) « من وحى الثورة العراقية » مطبعة الجامعة بغداد .

والأقلام أن تتحاور بعد أن قمت بعمل وأي عمل فهو يسبي العقول ويحير الفكر وتقف مبهوتة أمام جبروته .

* * *

ولكاتب هذه السطور قصيدة ألقاها من دار الإذاعة العراقية :

قد أنجز الجيشُ العنيدُ ما نرتجيه وما نريدُ(١)
وتساقطت تلك الشخوص وأدبرتْ تلك العهودُ
كانت مثال الخائنين يقودها أفن بليدُ
من خلفه متنفجون كأنهم في النّهب دودُ
يتسترون بهيكل للملك يعــــلوه وليدُ
يا شعب قد ذهب الذين تحكموا وهوى المشيدْ
فلقد أذاقوك الهوا ن وكان يضرعك الوعيدُ
الحاكمون هم الطغاة تجبروا وهم العبيدُ
والساهرون على مصا لحهم وفي البلوى رقودُ
يتشدقون كأنّ خيرات البلاد بهم تزيدُ
وهم إذا اشتدّ الزحا م وحم في البلد الحديدُ
وتبيتْ وضح النّهار من الرعاديد الأسود
وانجاب ليل الظلم عن فجر هو الأمل الوحيد
وتقارعت تحمي البلاد على كؤوس الموت صيد
الفيتهم يتهامسون بعقر دارهم قعود
لاجاه يحميهم وقد أغرهم العهد « السعيد »

. . .

عهد به شلّ الضمير وعطلت فيه الحدود
وتزاحمت فيه السجون وأثقلت فيه القيود
وتعطلت فيه الصحافة واختنق الرأى السديد

---

(١) عن ديوانه المخطوط .

وتناهيت خيرات هذا ‏ الشعب ولدان وغيد
وبيوتهم ملأى بكل دعا ‏ رة وهم شهود
وهم بتيجان الأجانب ‏ ذلك الدُر النضيد
والسائرون وكل فا ‏ حشةٍ لهم فيها صعيد
ويفاخرون بأنّهم ‏ للاجنبي كما يريد
وبأنهم من عهد «لورنس» ‏ صديقهم جنـود
يحميهم عند اشتداد ‏ الكرب والأيام سود

. . .

وللاستاذ الشيخ محمد على اليعقوبى قصيدة فى هذا اليوم الأغر ، يحي بها الجيش المظفر الذى هو دعامة للوطن العزيز وأنه هو الذى تصـــدر منه الأحكام العادلة إن جارت الأحكام فيه وليس للبلاد أمل بغير جيشها ، ولا يحقق مرام بدونه فهو عدة كل شعب ناهض ضاعت حقوقه الخ .

« جيشنا المظفر »

الجيش للوطن العزيز دعامُ ‏ يبنى عليـــــه كيانه ويقامُ
إن جارتْ الأحكامُ فيه فإنمّـا ‏ بالعدل منه تصدر الأحكام
ما للبلادِ بغير سطوة جيشها ‏ أملٌ يحقق أو ينال مرامُ
الجيشُ عدة كل شعب ناهضٍ ‏ أضحتْ تضاع حقوقه وتضام
وحمايـــة الأوطان واستقلالها ‏ فرض على أبنائها ولزام
فلتحى يا جيش العراق مسجلاً ‏ يوما عنت لجلالهِ الأيا م
الغرب قطب عابساً من وقعهِ ‏ والشرق منه ضاحك بسام
يوم صفوف العرب فيه توحدتْ ‏ فتهللتْ مصر له والشام
واستمسكت بعدى الأخاء فلم يكن ‏ يلغى شقاق بينها وخصام

فيه انطوى العهد الذى بخلاله ... كانت تحكّم فى الكرام لئامُ

. . .

يا جيش قد حررتَ شعباً لم يزلْ ... أبناؤه سومَ العبيـــــد تسامُ
طأطأت هامة كل جبّار طغى ... وترفعت بكْ للعروبةِ هامُ
قد فاجأت (بغداد) منك كتائب ... بالنصر تخفق فوقها الأعلام
طلعت مع الفجر المنير كواكباً ... فانجاب عن أفق البلاد ظلام

. . .

وللأستاذ السيد على جليل الوردى قصائد كثيرة فى هذه الثورة المباركة . نقتطف منهن قصيدة عنوانها « ضربة الشعب » يسخر بها من عميل الاستعمار نورى سعيد من أنه ليس (العباءة) متنكراً وتزيا بزىّ النساء . والعباءة للنساء كانت عنوان شرفها وعنوان تقاليدها ولا تزال العباءة عند بعض النساء موطن الحشمة والاحترام أما أنّ الرجل يلبس العباءة فذلك جبن وخور وحقاره نزلت به إلى حضيض الضعف والاستكانة :

الشعب منك ومن رجالك أقدر ... فانزل عن الكرسى يا متجبر
من أنت حتى تستبيح دماءه ... قسراً وتهزأ بالرجال وتسخر
خذها عدو الشعب ضربة ثائرٍ ... أقوى من القدرِ الرهيبِ وأقدر
أمطية المستعمرين وانه ... حدث يسيخ لهوله المستعمر
أين الشجاعة منك يا متنكراً ... (زى النساء) وهل حماك تنكر
أو ما حسبت حساب شعب ناقم ... هو من سياسة ما جنٍ متذمّر
اليوم لا متقدم لك منقذ ... من هول بطشته ولا متأخر
الأرض تأبى أن تضمك ميتا ... رجسا بها ولرب رجسٍ يقبر

. . .

ومتوّج بيد (السفير) مقاده مثل الدمى بيد الصغير تسير
لم تثنه النذر الفصاح فانه ينهى كما شاء السفير ويأمر
خان البلاد وأهلها وأذاقها مرّ الهوان فساسها المستعمر
وأذلّ عزتها وقوض مجدها ظلما وظلم الحاكمين مدمّر

. . .

وللاستاذ خالد الشواف قصيدة عنوانها (آمنت بالقبضة السمراء) .

لا المعجزات ولا أشباهها سبب بل السخائم تذكو وهى تحتجب
هل فصد العرق إلا مدية حميت فى قبضة دمها كالنار يلتهب
سمراء فى ظهرها جرح وباطنها وحولها ألف ثار صارخ يثب
دار الضماد عليها مثقــلا نعماً عسى جراحاتها تشفى بما يهب
فكان كل دواءٍ يستحيل لظىً الليل والمال والألقاب والرتب
وكان ما خيل وهناً كلما رعشت دبيب وتر من الثارات يقترب
آمنت بالقبضة السمراء لوّحها هجير تموز والثارات والغضب

. . .

وللاستاذ عبد الهادى الشرقى قصيدة عنوانها :

« فجر الثورة »

هوت العروش ودكت الأسوار وهوى على أعقابه الجزار
يا فجر تموزٍ وفيك تفجرت حمم النضال وزمجر الإعصار
وانقض فوقَ الخائنين مزمجراً صبحاً ودوّى صوته المدار
واستيقظ العملاق من سكراته كالرعد يجرحه الإبا والثار
وتقدم الزحف المقدس صارخاً بالمارقين يقوده الاصرار
فتساقط الأذناب من أبراجهم وهووا كما تتساقط الأحجار

. . .

وللاستاذ الجليل الشيخ مهدى مطر هذه القصيدة التى تتجلى فيها الروح الوطنية الصادقة ، من جانب والنعى الصارخ على الأوضاع البائدة التى جرت الحكم للفشل الذريع من جانب آخر ، فكانت ثورة ١٤ تموز نقطة تحول للحكم الوطنى والإطاحة بذلك الصنم الاستعمارى .

وليس غريباً انبعاث هذه النفثة من الأستاذ الجليل فوالده المرحوم الشيخ عبد الحسين مطر لاقى ما لاقى من المستعمرين وأذنابهم . من التشريد والنفي والاضطهاد فى العهد البائد .

وآل مطر فى النجف قبيلة معروفة فى جهادها الوطنى . وشجبها الأوضاع الفاسدة التى طوح بها الشعب بقيادة جيشه المظفر والقصيدة عنوانها :

« بشراك يا شعب العراق »

دوّتْ فقلت بشائر استقلالِ	وافتك تبسم بعد طولِ نضالِ
وأصخت سمعى للمذيع أذابها	لغط الأسود وزأرة الأشبالِ
وإذا الهتاف يقول (جمهورية)	قامتْ بحدِ أسنّةٍ وعوالى
فأدرت من سمعى وقلت لعله	وهم يغالط مسمعى وخيالى
أبثلث قرن يبتنون حكومةً	وببعض يوم آذنتْ بزوال
فإذ الصدى خلف الستارِ يجيبنى	إن الطغاة سريعة الآجال

. . .

حكم ينكل بالألوفِ بريئة	لابد أن يمنى بيوم نكالِ
كم عيلة قد روعت بكفيلها	وكفيل بيت روعوا بعيال
كم دمعةٍ حرى بعين مروعة	رأتْ الوحيد يجر بالأغلال
كم حائرٍ فى القوت طوف طالباً	للفرص بين جنوبها وشمال
لعبتْ بمتنيه السياط ونفذت	فيه أوامر غاشم نكال
وترى السجون المطبقات مليئة	بغرائب التنكيل والأهوال

. . .

وللاستاذ إبراهيم الوائلى قصيدة عنوانها :

« معجزة التأريخ »

طفرت بما طويت به السنينا ... لجيشك النصر المبينـا
وته يا شعب فى فجر جديد ... رفعت به مع الشرف الجبينـا
وخلدّ معجزاً ما كان إلا ... خيالا فى رؤى المتخيلينـا
متى كادت مع الأيام تُمحى ... وبالجيش المظفر قد حيينا
فيالكِ ثورةً دكّت صروحاً ... ودمّرت المعاقل والحصونا
وأردَت كل طاغية حقودٍ ... تلق الموت محتقراً مهينا
ويالكِ ثورة بهرت شعوبا ... وأدهشت العواصم أجمعينا

* * *

وللاستاذ السيد طالب الحيدرى قصيدة عنوانها .

(تحية الثورة)

نشر السلام وعمت الأفراحُ ... وشدا كما يحلو له ـ الصيداح
وتحفـّز الوطن الجريح يقوده ... وعيٌ ويدفعه هوى طفاح
وتطلعت دنيا العروبة بالمنى ... نشوى فلا نصب ولا اشباح
واهتزت الدنيا لثورة أمة ... فى الرافدين شعارها الاصلاحُ

* * *

وللاستاذ الأديب السيد مرتضى فرج الله قصيد عنوانها :

(فجر وثورة)

أى فجر معطر بالبشائر ... أهو حلم أم يقظة ومصائر
أى فجر منغم بنشيدٍ ... من جهاد وثورة ومشاعر
كل أفق تضوع العطر فيهَ ... فـكأن النجوم صارت مجامر

* * *

هزنى أن أرى الجوع تلبي ... فـكأن الضمير ناه وآمر

لا نفاق ولا مداجاة بعد اليوم شفت عن القلوب المظاهر
والمراءون من أعانوا على الظلم زماناً ومجدوا كل جائر
ليس يجدى منهم دبيب وضيع وابتسام قذر وخد صاغرْ
ذهب الظلم والخراب فحدّثْ ياصديقى بمقبلات زواهرْ

* * *

وللاستاذ السيد على الحلى النجفى قصيدة عنوانها :

(فجر الثورة)

أى أفقٍ أطلَّ منه الصباح عربيا يمور فيه الكفاحُ
مشرقاً فى جباهنا الغر طلقاً ولكم هزه المدى المراح
عانقته الربى المنداة بالبشر واغفى على شذاه الاقاح
يوم دوى مع البطولات شعب وتعرت من الفداء الرياح
يشرب الثأر من عيون الحزانى ومن القيد تشهق الأرواح

إلى آخرها وهى قصيدة طويلة ولو أردنا أن نثبت كل ما قيل من الشعر فى هذا المجال لضاقت بنا هذه الرسالة لأن الذى قيل فى هذه الثورة كثير جداً كما قلنا سابقاً .

وقبل الانتهاء من هذه النصوص التى أوردتها لابد لى أن أقتطف بعض الأبيات من القصيدة العامرة التى ألقاها شاعر الشعب الأستاذ محمد صالح بحر العلوم على الجماهير المحتشدة فى النجف .

هبَّ الغرىّ يحضنُ المجد الأغر بين ذراعيه ويلـــثم الظفر
وبارك الشعب هلال عيده بجيشه الظافر وابنه الأبر
روحُ المثنى انبعثتْ بجيشه واسم صلاح بسنا البعث انتشر
عهدٌ من الظلم انطوى فى ليلة الاثنين والعدل من الفجر ظهر
وصاح جيش الشعب هذى سورة النصر وفى أعقابها بعد سور

* * *

يا ثورة شبت على أعدائها ... ناراً ونورُها على الشعبِ اقتصر
خذى علينـا العهد من أعماقنا ... أن نحرسَ العهدَ بوعى وحذر
فالشعبُ فيكِ التحمتْ صفوفه ... درعاً تقى الوحدةَ من كل خطر
الشعبُ من خليجهِ لنينوى ... عينُ من البيتِ على البيتِ خفر

* * *

وللأستاذ السيد محمد جواد الدجيلي قصيدة عنوانها :

« غضبت للحق »

غضبت للحق لم يرهبك جبارُ ... وسرت للنصر يعلو راسك الغارُ
مشيت مشية وثابٍ تقاذفه ... نحو المنية إيمـــان وإيثارُ
غشيت ليـــلة تموزٍ تخالطها ... منك انبلاج وتزيين وأنوارُ
فى موكـب أثقل الدنيا توهجه ... وفتحت منه بعض الغمض أمصارُ

وهى قصيدة طويلة نشرتها جريدة الرأى العام .

الشاعر

محمد مهدى الجواهرى

بعد أن سجلت تأريخ الشعر الحديث فى العراق منذ مولد الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ م إلى يومنا هذا وجب على أن أضع أنموذجاً لهذه الحقبة الأدبية والشعرية منها والتى حفلت بكثير من الصور والألوان لكى يمثلها تمثيلا صادقاً ويعبر باختصار عن كل ما وقع فيها ولكى أعيد هذه الحقبة مجسمة بشعر شاعر هو الأستاذ محمد مهدى الجواهرى .

إن تأريخ الحكم الوطنى — إن صحت هذه التسمية — فى العراق لم يسجله كاتب أو شاعر : كما سجله الأستاذ محمد مهدى الجواهرى فى شعره . فهو تأريخ حافل منذ الحملة البريطانية ، حتى ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ .

فشعر الأستاذ الجواهرى يسجل كل الحوادث والطوارىء التى تعاقبت على العراق ، فلم يترك أى ملاحظة إلا وسجلها ، فحرى بى أن أضع أمامكم — وأنا الخبير فى شعره — لتعرفوا الدور الذى مر به العراق فى ذلك الحكم المقيت الذى طلقه العراق ثلاثاً فلم يعرف منذ أول تأريخه حكما أشد قساوة ، وأعنف جوراً مثل الحكم الذى مر عليه فى الأوان الأخير . كما أنه الشاعر العراقى الوحيد الذى سجل هذا الدور ، وهذه الفترة بجميع ما فيها .

وإذا كانت هذه الحقبة الأدبية ثرية بالأحداث الجسام ، غنية بالهزات والانتفاضات ، مليئة بالمشاكل العظام فإن مصورها بكل ألوانها هو أيضاً ثرى من الناحية الفنية ، غنى بالمفردات والأساليب والأخيله .

وإذا جازلى أن أقسم شعره إلى مراحل ثلاث تتفاوت فكراً وزمناً فإن الجواهرى قد أراحنى هو قبل كل أحد فطبع ثلاثة دواوين يتميز كل واحد

منها عن غيره بالمرحلة التاريخية له ولبلاده فى هذا الجانب الأدبى . وهى على النحو التالى :

١ ـ « بين الشعور والعاطفة » طبع سنة ١٩٢٨ م .

٢ ـ « ديوان الجواهرى » طبع ١٩٣٥ .

٣ ـ « ديوان الجواهرى » طبع ١٩٤٩ فى ثلاثة أجزاء .

وإذا أردنا أن نضغط تأريخ الجواهرى الأدبى فلابد لنا من أن نمر على كل ديوان من هذه الدواوين ليسهل علينا البحث فى هذا الشاعر الفذ ، وتكون دراسته متسلسلة الفكر متميزة المراحل واضحة الجوانب .

المرحلة الأولى :

ان ديوانه « بين الشعور العاطفة » يمثل مرحلته الأدبية الأولى . فقد طبعه سنة ١٩٢٨ كما قلنا سابقاً . والشاعر الجواهرى بعد لم ينبت عذاره . كما أن العراق كان فى أول مرحلة من مراحل الحكم الوطنى . فشعره فى هذا الدور يمثل المحيط الضنك الذى كان يعيش بين جوانبه وجدرانه فى النجف . على أن ديوانه هذا فيه دلالات وإمارات لما سيكون عليه ، فوحدة الموضوع فى قصائده وسلسلة الفكر فيها خير شاهد على هذا التنبؤ .

وإذا فرضنا أن البيئة لها الأثر القديم فى تكون الشاعر وخلقه ـ وهذا الغرض صحيح ـ فلابد لنا من ذكر لمحة موجزة عن « النجف » البلد الذى ترعرع فيها هذا الشاعر وشب .

فالنجف واقعة على طرف الصحراء ، راكبة على متن رمالها ، وهى من جانب آخر جزء من سواد الكوفة : نخيله وأشجاره . وفيها دفن البطل الإمام على بن أبى طالب . ومن أجل هذا يؤمها من أنحاء المعمورة خلق كثير فى كل سنة لزيارة هذا المرقد المقدس .

وهى تطل من جانب الغرب والجنوب على واد رحيب متسع هو وادى النجف . كما أنها كانت متنزهاً لملوك فارس والعباسيين . وشهدت حكم المناذرة ، والشعراء الذين كانوا من حولهم أمثال المنخل اليشكرى والنابغة ومن على شاكلتهم .

والنجف تعج بآثار علمية وأدبية منذ القرن الخامس للهجرة . وقد انتقل إليها هذا التراث الفكرى من مختلف المدن التى تعاقبت فى الظهور . وهى الآن مركز الحركة العلمية الدينية . ولم تكن الدراسة فيها منظمة تنتهى عند انتهاء مرحلة معينة ، بل ان الطالب يدرس العلم من المهد إلى اللحد . أما الآن فهى قد أصبحت تعنى بتنظيم دراستها أو هى فى واقع الأمر قد اتجهت إلى التنظيم .

والنجف بلدة تختلف كل الاختلاف عن بقية البلاد فى العراق . فهى مركز الإشعاع الدينى المشبع باللغة : نحوها ، وصرفها ، وبلاغتها ، فلابد وأن تصاحب هذا الجو العلمى أجواء أدبية . ومن هنا نجد شعراء العراق والمحلقين منهم هم من النجف أمثال السيد محمد سعيد الحبوبى والسيد جعفر الحلى والشيخ جواد الشبيبى والشخ محمد رضا الشبيبى والشيخ على الشرقى والسيدأحمد الصافى النجفى ومحمد مهدى الجواهرى وغيرهم . وخير شاهد على صدق ما اقول هو ان الاستاذ على الخاقانى النجفى كتب عن شعراء النجف كتاباً أسماه « شعراء الغرى » يقع فى اثنى عشر مجلداً .

والنجف من جانب آخر هى مركز للحركات التحررية نخطها البيانى يعلو كثيراً فى هذا السبيل . فثورتها على الاتراك وطردهم نهائياًمن النجف ، وثورتها على الانكليز سنة ١٩١٨ وبقيت محاصرة مدة خمسة وأربعين يوماً أمر معروف . كما أن ثورتها على الانكليز سنة ١٩٢٠ كانت لطمة للاستعمار بل هى الاول والأخير فى بعث هذه الثورة .

وقلنا ان النجف يؤمها خلق كثير للدراسة الدينية من مختلف الجنسيات

والقوميات ففيها الهندى ، والتبتى ، والباكستانى ، والاندنوسى ، والتركى ، والفارسى، واللبنانى ، والسورى ، والبحرانى، والبدوى . وهؤلاء حين يهبطون على النجف يجلبون معهم ثقافاتهم وتقاليدهم فتنصهر هذه الثقافات والتقاليد بعضها ببعض فى هذه البلدة فترى مزيجاً عجيباً مكونا من عناصر مختلفة متباعدة ومتقاربة فى لغات شتى كثيرة التعداد .

فى هذا المحيط الخليط فى لغته ، وثقافته ، وعلمه وادبه ، وفى هذا المحيط المتزمت المنطلق نشأ الاستاذ محمد مهدى الجواهرى ، وشب بين عائلة ، غالب من فيها من العلماء والادباء ، فلا بدع ونحن نؤمن بأثر البيئة أن يكون الجواهرى ممن يشار إليه من أول قصيدة طلع بها على الناس يرثى بهاركيزة الثورة العراقية شيخ الشريعة سنة ١٩٢٠ ومستهلها .

أَبِـنْ ماللهذا الدين ناحت منابره وقل خلسة أين استقلت عساكره

وقد نشرتها جريدة الاستقلال فى حينها ولم تنشر بأى ديوان من دواوينه .

وهو فوق عبقريته ، يختزن عالماً من الشعر والنثر . فلا تقرأ له خمسة أبيات من شعر البحترى إلا ويقرأ لك السادس ويجرى فى القصيدة . وهو معروف لى ولغيرى بانه يحفظ ديوان المتنبى كله . كما يحفظ دواوين أخرى لغير هذين الشاعرين .

وقد قرأالنحو ، والصرف ، والمنطق ، والمعانى والبيان والفقه ، واصوله . ولكن كانت دراسته تعتمد كل الاعتماد على ذكائه وفطنته لاعلى استاذه وشرحه لغامض من العبارات والنظريات . وهو فى دراسته فى النجف لم يخضع لدور التلميذ المواظب على الدروس وفق مايرسمه الاستاذ فهو متمرد على الطرق المتبعة فى دراسة هذه المواد الا أن أخاه الاستاذ الشيخ عبد العزيز رأى فيه مالا يراه فى غيره من الشبان فكان يرغمه على قرأءة بعض الكتب التى لاتناسب عمره بل هى تناسب ذكاءه وفطنته . كما كان يغريه ببعض المال لحفظ نصوص معينة بمدة معينة فكان هذا الصنيع سببا مهما فى نقاوة شعره من شوائب مفردات اللغة وجلال إسلوبه العربى المحكم .

لقد كان يصحبه دائما وهو طفل صغير ويتردد به على مجالس الأدب فيستمع إلى شيوخ القريض فكان على صغر سنه يحب هذه النوادى وقد سجل هذا بقصيدة له عنوانها :

« درس للشباب »

لو سئلنا كيف نظمُ الشعرِ حرنا فى الجواب (١)
لستُ أدرى غير أنى كان حب الشعرِ دابى
كان يلهينى حتى عن طعامى وشرابى
قد قرأتُ الشعرَ فى القر آنِ من عهدِ التصابى
بقدودٍ راسيات وجِفان كالجوابى
ولكم هيّج طبعى نغمُ عود أو رباب
كان لحنُ الشعرِ فيه بارتفاع وانصباب
وإذا ما عددوا أهل نبوغ واكتساب
لم يكنْ عندى سوى الشاعرِ منهم بمهاب
هكذا كنتُ ومازاد على العشر نصابى

ويحمل « البرق » خبراً بوفاة زعيم من زعماء الثورة العراقية وقد نفاه الاستعمار البريطانى من العراق إلى « خراسان » فى ايران وذلك هو العلامة المجاهد الشيخ مهدى الخالصى فيصدع الاستاذ الجواهرى بقصيدة ملؤها الحسرة على هذا المجاهد الذى كان جزاؤه النفى والتشريد ، فمات فى المنفى ، ودفن فى غير بلده ، وذلك سنة ١٣٤٣هـ وهذه القصيدة منشورة فى مجلة العرفان فى الجزء التاسع من المجلد العاشر سنة ١٩٢٥ وهى طويلة قد حذف منها الاستاذ عندما نشرها فى الديوان وعنوانها .

---

(١) ديوان الجواهرى (٣٦) بين الشعور والعاطفة مطبعة النجاح ١٩٢٨ . وقد نظم هذه القصيدة سنة ١٩٢٦ ونشرتها جريدة النجف .

على الخالصى

صدقتَ يابرقُ بهذا النبأ ومَن لى اليوم بأن تكذبا(١)
من هزّةِ الحزنِ غدا خافقا سلكك أم من هزة الكهربا
طارت بيوم النحس برقية آه على الآمال طارت هبا
موجزة اللفظ وداعى الاسى بالحزنِ فى أثنائها أطنبا
تكادُ أن تمرق من سلكها لو وجدت من بينه مهربا
علما بما تحملُ من لفظه بالرغم أن تقرأ أو تكتبا
لسانها الاخرس مَن حلّه ولفظها المعجم مَن أعربا
قومى البسى بغدادُ ثوبَ الأسى إن الذى ترجينه غُيّبا
إن الذى كان سِراجَ الحمى يَشعُّ فى غيهبهِ كوكبا
باتَ على نهضتهِ أوطانهِ مُلتهبَ الجمرةِ حتى خبا
قومى افتحى صدركِ قبراً له وطرزيه بورودِ الرُبى
خُطِى على صفحتهِ ، هكذا يرفع مَن مات شهيد الأبا ،
وَدَرّسِى نشأكِ تأريخَهُ فإنّ فيه المنهجَ الأصوبا
ردى إلى أوطانهِ نعشه لا تدفنى فى فارسٍ يعربا

وترد الأخبار من دمشق بثورتها على المستعمرين الفرنسيين وبالدماء الزكية التى أسيلت فى سبيل حريتها واستقلالها فيحييها بقصيدة عنوانها :

« على دمشق »

مثلُ الذى بكِ يا دمشقُ من الأسى والحزنِ ما بى(٢)

(١) ٢٨١ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى سنة ١٩٣٥ فى النجف . وفى ١٠٨ بين الشعور والعاطفة . مطبعة النجاح فى بغداد سنة ١٩٢٨ .
(٢) ١٠٩ ديوان الجواهرى بين الشعور والعاطفة مطبعة النجاح فى بغداد .

ثورى دمشقُ فإنّما نيلُ الأمانى فى الطلاب
سدى عليهم ألفَ بابِ إن أطاقوا فتح باب
إن لم يكن حجزٌ يضربهم فكومٌ من ترابِ
سوريةٌ أمُّ الضراغم أصبحتْ مرعى الذئابِ
مثل الوديع من الطيور تعاورته يدُ الكلاب

« حلبة الأدب »(١)

وأول إنتاج أدبى ظهر له مطبوعاً على شكل كتاب « حلبة الأدب » وقد قام بطبعها الأستاذ ضياء الدين الكيشوان .

إن الأستاذ الجواهرى جرىء منذ أن عرف الشعر وقرضه . وما حلبة الأدب هذه إلا نوع من هذا التطاول الأدبى إن جاز لى أن أعبر هذا التعبير فقد نافس كبار الشعراء وهو يافع ، وعارضهم بالغرر من قصائدهم ، وتغلب وهو بهذا العمر على بعضهم ، وصاحب بعضهم . وغير مبالغ إذا قلت إن بعض قصائد من عارضهم — وهم من رجال الأدب وفرسانه — هبطت أمام شاعريته وتضاءلت أما قصائده .

و (حلبة الأدب) هذه اسم لمجموعة شعرية أسماها بهذا الاسم ، وهى عدة قصائد مختارة يجارى بها عدة قصائد منتخبة لكبار الشعراء فى عصره وقبل عصره مثل شوقى وإيليا أبى ماضى ، وعلى الشرقى ، ورضا الشبيبى ، ولسان الدين الأندلسى ، وابن التعاويذى .

فقد قارع هؤلاء الشعراء جميعاً غير أن الجواهرى لم يسلك هذا السلوك مالم يجد من نفسه القدرة والكفاءة على هذا العمل الأدبى . وما جرأته هذه إلا لأنه يرى من نفسه شاعراً فيه القابلية والمقدرة على مقارعة هؤلاء الشعراء من شيوخ الأدب وهو فى عمر الزهرة .

---

(١) طبعت حلبة الأدب بمطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣٤١ هجرية .

فقد بارى شاعر مصر أحمد شوقى فى قصيدته «مناجاة الأهرام» والتى يستهلها بقوله :

قم ناج أهرام الجلال وناد . هل من بناتك مجلس أونادى

وقصيدة شوقى هذه تليت فى الحفلة التى أقيمت لفيلسوف الفريكة أمين الريحانى عند زيارته مصر :

أما قصيدة الجواهرى فكانت معدة ليلقيها فى الحفلة التكريمية ، التى عزم النجفيون على إقامتها للأستاذ أمين الريحانى عند زيارته النجف سنة ١٩٢٢ وهى على وزن قصيدة شوقى وقافيتها ولكن الريحانى لم يبق فى النجف أكثر من ساعتين فقدمها له فى الكوفة حسب ما أخبرنى الأستاذ كاظم الدجيلى مرافق الريحانى فى سفرته هذه . وبعد أن قرأها شك فى أن تكون هذه القصيدة لهذا الشاب الصغير ، وعنوانها .

«أمين الريحانى»

لمن المحافلُ جمّةُ الوفّادِ جلّ المقام بها عن الإنشادِ(١)
مَن زانَ صدر المجلس الأعلى وقد صفحَ الجلالُ بحيث فاض النادى
من صاحب السمةِ التى دلّتْ على أدب الحضارةِ فى جمالِ البادى
يا نجلَ سوريا وتلك مزيةٌ شهدتْ لها بمهارةِ الأولادِ
فى كلِ يوم للمحافل رنةٌ لكَ مِن نيويوركِ إلى بغدادِ
ما قدر هذا الاحتفال وإنّما كل البلادِ محافل ونوادى
تعداد مجد المرء منقصة إذا فاقت مزاياه عن التعداد

ومن عجيبِ ما حدث فى هذا الموضوع فقد شتم الريحانى فى كتابه «قلب

(١) « حلبة الادب مطبعة دار السلام فى بغداد » وفى (٣٠) من ديوانه (بين الشعور والعاطفة) وقد نشرت هذه القصيدة جريدة العراق فى عددها الممتاز سنة ١٩٢٢

العراق ، الأستاذ الجواهرى بدون سبب اللهم إلا إذا كان السبب مادياً . وفى سنة ١٩٣٦ يقصد الريحانى بغداد . فيكتب الجواهرى مقالا فى جريدته (الانقلاب) عنوانه « جسوس مخيف فى تا يكرس بلاس » وعلى أثره خرج من العراق ولم يعد بعدها .

* * *

وعارض إيليا أبا ماضى فى قصيدته السينية ومطلعها :

أحبُ مُعانقةَ النّرجسِ لعينيك يابنةَ كولمبسِ

بقصيدة على وزنها وقافيتها وأرسلها ضمن رسالة لصديق له سافر إلى أمريكا :

« بين النجف وأمريكا »

أأمريك يا ابنة كولمبس لحبك وقعٌ على الأنفس(١)
صبوتُ إليكِ وأينَ الفراتُ وأهلوه من بحركِ الأطلس
حناناً ولو كان فى وسعنا سعينا إليك على الأرؤسِ
إذا أنِسَ الصبُ ذكر الحبيب ففى غير ذكرك لم آنس
هواجسُ تُدنى إليك المنى ولولا المنى قطُ لم أهجس
وإنى، وقلبى ذاكَ الرقيق أحنُ إلى صخركِ الأملس

ويقارع الأستاذ على الشرقى صاحب القائية التى يستهلها :

زهوُ القصورِ ونزهةُ الأريافِ غرفٌ مطلاتٌ على الغرّافِ

بقصيدة على وزنها وقافيتها وعنوانها :

---

(١) ١٦ حلبة الأدب مطبعة دار السلام فى بغداد .

« الروضة الغناء »

نسجَ الرّبيعُ لها الرداءَ الضافي وهمت بها كفُّ الحيا الوَكّافِ(١)
فضتْ بها عذراء كل سحابةٍ خطرت فنَبّهتِ المزار الغافي
قضى الربيع بها ديون مصيفها مِن سَحّ كل مدرة الخلاّفِ
الخبُ ما ضمنتْ ضلوع سمائها للأرض لا مِن يدعيه الجافي

ويعارض الأستاذ محمد رضا الشبيبي في قصائده الخمس بمثلها عدداً ووزناً وقافية . ولا يبعد أن الأستاذ الجواهري كان لا يخشى من شاعرٍ عراقيّ في ذلك الوقت غير الأستاذ الشبيبي فمن هنا تحداه بعيون قصائده وسأكتفي بذكر قصيدة واحدة ، ومن رغب فعليه مراجعتها . يقول الأستاذ الشبيبي وعنوان قصيدته « باطل الحمد » :

فتنةُ الناسِ وقينا الفتنـا باطلُ الحمدِ ومكذوب الثنا

ويجاريها الجواهري بقصيدة عنوانها :

« جناية الأماني »

جلبتْ لِيَ الهمَ والهمُّ عَنا آه ما أروحني لولا المنى(٢)
آه ما أروحني مِن غارسٍ شجرَ الأمالِ لكنْ ما جنا
كلما حُدِثتُ عن نجم بدا حدثتني النفسُ أن ذاك أنا
أملٌ أخشى عليه زَمَنى فلو استطعت أطلتُ الزّمنا
لا تذكرني المنا بشجى الحشا ذكره إني الفت الشّجنا
إنما أشكو حيـاةً كلها تبعات كنت عنها في غنى

---

(١) ٢١ حلبة الأدب مطبعة دار السلام ببغداد .
(٢) ٢٨ حلبة الأدب .

ويقارع ابن التعاويذى بقصيدة مثلها وزناً وقافية . ومستهل قصيدة ابن التعاويذى :

قلْ للسحاب إذا مرته يد الجنائب فارجحن

أما قصيدة الأستاذ الجواهرى فعنوانها :

« فعلام رن »

أمنعم القلب الصحيح تركتنى حلفَ المحن(١)
لم ترع عهدَ حشا رآك على السريرة مؤتمن
سلْ جفنكَ الوسنان هل علمتْ جفونى ما الوسن
لحظ الحبيب أثار بين النوم واللحظ الفتن
إن كان لابدَّ الرهان فرحمة بالمرتهن

والجواهرى عارض هؤلاء البارزين من الشعراء والمحلقين فيه وعمره (حفظه الله) لا يتجاوز العشرين ربيعاً إذ أن ولادته كانت ١٩٠٣ وإذا قارنت بين هذا الشاعر الناشىء وبين هؤلاء الذين مارسوا القريض وعركوه فستجد هذا الشاب فى سوية كثير منهم على الأقل ، وإلا فشعره وهو بعمر الفجر أشعر من كثيرهم .

وتفجع مصر بفتاها وسيدها المرحوم سعد زغلول الزعيم الوطنى الذى قارع الاستعمار البريطانى بمصر فهز موته البلاد العربية بأسرها وتنفجر مواهب الشعراء أسفاً لهذا الحادث الجلل فيطلع الأستاذ الجواهرى بقصيدة عنوانها :

« على سعد »

قم والتمسْ أثر الضريح الباكى وسل الكنانة كيف مات فتاكِ(٢)

(١) ٤٧ حلبة الأدب .
(٢) ١٥ ديوان الجواهرى بين الشعور والعاطفة .

وسل الكنانة مَن أصابكِ غرّةً ... واستلَّ سهمك غيلة فرماكِ
أهرام مصر وقد بناك لغاية ... فرعون ذو الأوتاد حين بناكِ
علموا بأن ستداس مصر وما بها ... حتى قبور المالكين سواكِ
فاستوطنوك وحسب أرضك ميزة ... إن لم يروا ثقة بغـــير ثراكِ
تأريخ مصرٍ فى يديكِ يعيده ... مِن جانبيك صدى السنين الحاكى

. . .

ويرتفع ماء دجلة وتصبح بغداد على قاب قوسين من الغرق وذلك سنة ١٩٢٥ فتهز مشاعره تلك الأمواج الزاحفة كأنها الربوات فينظم قصيدة عنوانها :

« بغداد على الغرق »

بدتْ خود لها الأغصان شعر ... ودجلة ريقها والسفح ثغر(١)
على بغـــداد ما بقيتْ سلام ... يضوع كما بدا للورد نشر
سمت زهواً على السّفحين منها ... قصور ملؤها زهو وكبر
يظلل دجلة منهـا جناح ... كما باهى بقادمتيـــه نسر
نزلت فما رأيت أبر منهــا ... وهل فى العَرب ضيف لا يبر

. . .

سقى الجسر المطير من الغوادى ... فلقى اللهو واللذات جسرُ
هو البرج الذى كادت عليه ... نجوم الأفق ساجدة تخرُّ
رأيت بأفقــه شمساً وبدراً ... كأحسن ما ترى شمس وبدرُ
وقفت عليه وقفة مستطيرٍ ... من الأحزان ملؤ حشاه ذعرُ
وللامواج من حنقٍ نشيش ... كما يغلى على النيران قدرُ

---

(١) ١٥ ديوان الجواهرى بين الشعور والعاطفة مطبعة النجاح : وقد نشرتها جريدة العالم العربي سنة ١٩٢٧ .

ودجلة كالسجين بغى فراراً وأزبد حيث أعوزه المفرُّ

وفى عام ١٩٢٤ ضاق ذرعاً بما هو فيه من قيود وتقاليد عائلية ودينية واقتصادية فرغب أن يخرج من محيطه إلى ما هو أوسع مدىً واتساعاً فطلب من وزارة المعارف أن تعينه مدرساً على الملاك الثانوى وفعلاً سافر من النجف إلى بغداد بعد مجىء كتاب وزارة المعارف بالقبول ولما حل بها وجد حول تعيينه انقسامات طائفية وهى ذيول لانقسامات طائفية سابقة حول الموقف الذى وقفه الوزير السيد عبد المهدى فى قضية كتاب (الدولة الأموية) لأنيس النصولى الذى فصل ونفى خارج العراق بسببه .

وقد عين الجواهرى مدرساً على الملاك الابتدائى بدلاً من الثانوى . وحدث نزاع شديد بين الوزير وبين مدير المعارف ساطع الحصرى حول الجواهرى وحول قصيدته :

هب النسيم فهبت الأشواق وهفا إليكم قلبه الخفاق
لى فى العراق عصابة لولاهم ما كان محبوباً إلى عراق

ثم إن ساطع الحصرى فصل الجواهرى حتى من المدرسة الابتدائية . وحينما علم الوزير بفصله ألزم ساطع بإصدار أمر عاجل ينقض فيه كتاب الفصل السابق فأبى مدير المعارف أن ينزل عند رغبة الوزير مما استوجب أن يعتزل مديرية المعارف .

وفى هذه الفترة انتقل الأستاذ الجواهرى إلى البلاط بوظيفة مساعد لمدير التشريفات . أما القصيدة فعنوانها :

« تحية الوزير »

حى الوزيرَ وحى العلم والأدبا وحى من أنصف التأريخ والكتبا(١)

---

(١) ٢٢ ديوان الجواهرى مطبعة النجاح ببغداد .

وحيثها ضربة للجهل قاضية مجالس العلم قد عجت لها طربا
وحيّه ساخطاً هاجت حميته وحيه ناهضاً غيران ملتهباً
أريد منه الذى لم يهـــوه فنبا وسيم ما لم يطق وجدانه فأبى

• • •

وهى قصيدة كلها على هذا السبيل فى الاسترسال :

ويموت عميد أسرتهم فى التسعين من عمره الشيخ حسن الجواهرى وكان من العلماء والمجتهدين وذلك سنة ١٩٢٦ فندبه الجواهرى ورثاه بقصيدة

حذرتُ وماذا يفيد الحذر وفوق يمينى يمين القدرْ (١)
وممـا يهوّن وقع الحمام أن ليس للمرء منه مَفرْ
يوقع ما شاء عود الزمان ويبكى ويضحك منه الوتر

ثم يعدد مزاياه وصفاته الحميدة ويقسم بأنه كان عف اللسان واليد والنظر وأنه متواضع صغير النفس ، وأنه فى شبابه كان تقياً براً وفى شيخوخته كان أبر :

حلفت لقد كنت عف اللسان وعف اليدين وعف النظر
جنانك لا تعتليه الشكوك ونفسك لا يزهيها البطر
شباب مضى كنت براً به وشيخوخة كنت فيها أبر
فلم تدرِ فى صغرٍ ما الصغار ولم تدر ما الكبر عند الكبر

أسمعت إلى هذا الشاب المتمشيخ فى فنه وأدبه وإلى هذه القافية فى هذه القصيدة التى لا تريدها إلا كما هى . ولم أر شاعراً مثله فى اختيار القافية على كثرة ما قرأت من الشعر . وهذا دليل اختزانه اللغة ومعرفته التامة بوضع

---

(١) ١٢٥ ديوان الجواهرى مطبعة النجاح ببغداد .

القوالب للمعانى . ولعل كاتباً يتصيد المواضيع المغرية فيكتب رسالة عن القافية فى شعر الجواهرى ولا أكتم من سيكتب عنه فى هذا الصعيد بأنه سيرى البراعة فى هذا الفن الأدبى الذى يندر أن يكون مثله شاعر فى وضع القافية على كثرة نظمه وعلى استطالة قصائده فى دوره الأدبى الأخير . إن الجواهرى لو لم تكن له إلا هذه الناحية لكان من أبرز الشعراء فكيف به وهو المنجم الثرى فى باقى جوانبه الفنية : الأخيلة والأساليب والمعانى .

والأمر الذى يلفت النظر فى شعر الجواهرى هو أنه على كثرته كله جيد — وأخص المرحلة الأخيرة من شعره فلا تجد فى القصيدة بيتا واحداً قلقا ينفر منه الطبع ويتخطاه الحسن الفنى .

كما أن شعره يمثل عصره بكل ما فيه فأنت تقرأ تاريخ العراق السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى منذ أن طلع الجواهرى عليه شاعراً يلتقط كل ما يقع عليه بصره وكل ما يستوعب حسه وإدراكه فأنت تقرأ تاريخ العراق بنخيله وأشجاره، وأنهاره وروافده وصحاريه ورماله وخصبه وجدبه . وبشعر الجواهرى تقرأ العراق الحديث بقر شتائه وحمارة قيظة بسهوله وجباله بكل ما فيه من خيرات وثروات طبيعة وغير طبيعية .

كل هذا وغير هذا تقرؤه فى شعر الجواهرى بفكر متسلسلة واضحة . وفى هذه المرحلة من شعر الجواهرى نجد له قصائد فى موضوعات فردية وأخرى سياسية لا داعى لذكرها فى هذه العجالة ولعلى أفرد له كتاباً يستقصى كل شاردة وواردة من حياته .

• • •

أما المرحلة الثانية فهى التى تبتدىء على وجه التقريب من سنة ١٩٢٥ — ١٩٣٦ ، ويؤرخ هذه الحقبة الأدبية لشاعرنا الملهم ديوانه الذى طبعه

فى النجف سنة ١٩٣٥ فنى هذه المرحلة من تأريخ شعره ظهر عليه بعض التميز عن سابقه بطول قصائده ، وعمق تفكيرة ، وارتفاع أساليبه ، وسعة خياله وكثرة إنتاجه.

وقد تميز شعره أكثر ما تميز بعد أن خرج من المحيط الذى يدور فى فلكه النجف وسافر إلى إيران لزيارة أخيه الأستاذ عبد العزيز الذى سافر منذ زمن واستقر فيها .

فقد أرسل من إيران قصيدة إلى صديقه الحميم المرحوم الشيخ رضا ذهب الأديب الناقد وكان عنوان القصيدة :

« على حدود فارس »

أحبابَنا بَين محانى العراقْ ... كلفتم قلبىَ ما لا يُطاق (١)
العيش مرّ طعمه بعدَ كم ... وكيف لا والبعد مر المذاقْ
كل لياليكم هنيئــاً لكم ... بيض ، ودهرى كله فى محاقْ

. . .

جاء الشتــا بالثلج فوق الربى ... نضـّده فيها طِباقاً طِبـاق
حتى إذا الصيف انبرى واغتدتْ ... تصبح الأرض بكاسٍ دهاقْ
هبَّ عليـلا ريحها لا صحا ... وماس سكراً روضها لا أَفاقْ
أحسن ما فى وجه هذا الثرى ... عيونه لا رميتْ بانطباقْ
تجرى وتجرى أدمعى ثرَّةً ... وأدمعى أولى بشأو السِباقْ

وقد تعددت زيارته لإيران وهذه قصيدة عنوانها (على كرند) وهى مصيف جميل كما أنها قريبة للحدود العراقية . يصف فيها جمال ايران وجبالها والعيون المتدفقه من فوقها .

---

(١) ٤٤ ديوان الجواهرى بين الشعور والعاطفة مطبعة النجاح ببغداد .

خليلي أحسن ما شاقني   بفارس هذا الجمال الطبيعي (١)
إلى الآن تجرى متون الجبال   علينا بمثلِ مذابِ الدموعِ
هلما معي نحو هذى الرياض   نجددْ عهوداً بفصلِ الربيعِ
فقد أضحت الأرض مخضرة   تضاحك عن شمل حسن جميع
ومهلاً فظلم لهذا الجمال   تمرّ عليه بلحظٍ سَريع

وقصيدة أخرى عنوانها :

« ما بين العراقين »

كلل اقطاركِ يا فارس ريف   طاب فصلاكِ ربيع وخريف (٢)
لاعرتْ أرضكِ من لطف فقد   ضمن الحسن له جو لطيف
يا رياضاً زهرتْ فى فارسٍ   شكرتكنّ عيون وأنوف
مثلما للقلبِ من حر الجوى   رقة للطير فيكنّ رفيف
أ لِشيءٍ غير أن نقطفه   ثمراً غضاً دنت منه القطوف

وقصيدة أخرى قالها عند رجوعه من إيران سنة ١٩٢٦ وموضوعها :

(البادية فى إيران)

ياهاجين لخريف فارسٍ   ما تصنعون لو أتى ربيعه (٣)
ورافعين طنباً تدعمه   قدودكم دام لكم رفيعه
أبيات حسنٍ نظمتْ بيوتكم   جميعها وحبكم جميعه
كأنما الجمال شعر بحره   بَرّ وأطنابكم تقطيعه

ولاأريد أن أكرر مرة أخرى موضوع الحدود الأدبية وتقسيم مراحل

---

(١) ٧٢ ديوان الجواهرى بين الشعور والعاطفة مطبعة النجاح ببغداد .
(٢) ٧١ ديوان الجواهرى بين الشعور والعاطفة .
(٣) ٦٨ ديوان الجواهرى بين الشعور والعاطفة

الشاعر فهى كما قلنا حدود تقريبية أكثر منها واقعية . إن سفر الجواهرى إلى ايران وتفتح قريحته بقصائد متعددة فى جمال طبيعتها وانتقاله من بيئة إلى أخرى وإلى مواضيع لم يكن قبل هذا مسبوقا بها مما يجعلنى أن اعتبر هذا بداية مرحلته الأدبية الثانية وإلا فليست فى شعره فروق حاسمة قاطعة تتضح فيها مرحلة عن مرحلة .

إن نفسية الجواهرى فى هذا الدور كانت مضطربة جد الاضطراب لا تقر على حال فانتقاله من محيط متزمت إلى آخر منطلق رخى العنان وإلى قلة معرفة فى مداخل السياسة العراقية ومخارجها وإلى طبيعته المتكشفة وذكائه المفرط وإلى قرب الملك الذى كانت تترامى على أقدامه كبار الساسة وإلى أشياء أخر من هذا القبيل كثيرة مما جعله غير مستقر على أمر .

فتراه ينغمس فى اللذات بكل تبعاتها وينعى على الحكم ورجاله ويمدح فيصل الأول ويتعرض له بقصيدة أخرى ويمدح ياسين الهاشمى ويتخلى عنه ويثور على رجال الدين فيصليهم بحممه من أجل وقوفهم ضد فتح مدرسة البنات فى النجف ويمدح نورى سعيد ويعرض به فى قصيدة أخرى ويجعل من محسن السعدون شخصا لا ثانى له ويرثيه بعدة قصائد وينظم قصيدة عامرة فى رثاء الحسين بن على شهيد الطف وينظم غزلا مكشوفا مجرداً عن كل رياء وحذر وينعى على أهله وذويه ويوظف فى البلاط ويخرج منه من غير فلسفة ويظل على ولائه للبلاط ويقبض راتبه مدة أكثر من ستة أشهر وهو مستقيل منه .

فهذا الدور الذى عاش فيه الجواهرى كان أعنف دور مرّ عليه فهو يريد أن يكون شيئا إلا أن الوسائل تعوزه ولأنه يريد الأمور بالاكراه والعنف فى حين أنه بعد لم يقف على قدميه .

نظم قصيدة فى الأدب المكشوف ونشرها فى جريدة العراق سنة ١٩٢٧ باسم « ابن سهل » وعنوان القصيدة :

« جربيني »

جربيني من قبل أن تزدريني ... وإذا ما ذممتني فاهجريني (١)
ويقينا ستندمين على أنك ... من قبل كنت لم تعرفيني
لا تقيسي على ملامح وجهي ... وتقاطيعه جميع شئوني
أنا لي في الحياة طبع رقيق ... يتنافى ولون وجهي الحزين

. . .

أنا ضد الجمهور في العيش والتفكير ... طراً وضدهم في الدين
كل ما في الحياة من متع العيش ... ومن لذة بها يزدهيني
التقاليد والمداجاة في الناس ... عدو لكل حر فطين
أنجديني : في عالم تنهش « الذ ... ئبان » لحمي فيه : ولا تسلميني
وأنا ابن العشرين من مرجع لي ... إن تغضيت لذاذة العشرين

فتثور ثائرة الملك (علي) عند سماعها فيأتي للبلاط محتجاً على قول الجواهري « وضدهم في الدين » ، وتنتهي هذه الأزمة بأن يطلب فيصل من الجواهري أن يزور أخاه « عليا » في بيته .

وينظم قصيدة أخرى في هذا الصعيد سنة ١٩٢٩ وهو موظف في البلاط يسجل فيها كل ما وقع له تلك الليلة من معاقرته الخمرة في بار (مهران) وما يتبع الخمرة من انغماس في المجون وكان رفيقه في هذه السهرة هو المرحوم الأستاذ عبدالرزاق الناصري صاحب جريد الأنباء . وكان الجواهري حديث عهد بالزي الأفرنجي وعنوان القصيدة .

« النزغة »

كم نفوس شريفة حساسه ... سحقوهن عن طريق الخساسة (٢)
وطباع رقيقة قابلتهن ... الليالي بغلظة وشراسه

---

(١) ٩٥ ديوان الجواهري ح ٣ مطبعة شركة الرابطة .
(٢) ٢١١ ديوان الجواهري مطبعة شركة الرابطة .

مالضعف شكواى دهرى فما أنكر باسى وإن تحاميت باسه
غير أنى أردت للنجح مقياساً صحيحا فلم أجد مقياسه

. . .

كل هذا ولست انكرأنى من لذاذاتها اختلست اختلاسه
ألف ابحاشة من الدهر قد غطت عليها فى ليلة إيناسه
ليلة تغضب التقاليد فى النا س وترضى مشاعراً حساسه
من ليالى الشتاء بسامة إن ليالى كلها عباسه
فاحتسينا كأساً واخرى فدبت سورة لم تدع بنا إحساسه
وهذينا بما استكنت به النفس وجاشت غريزة خناسه
لا « الحسين الخليع » يبلغ شأوينا ولا « مسلم » ولاذو « النواسه »
قال لى صاحبى الظريف وفى الكف ارتعاش وفى اللسان انحباسه
أين غادرت « عِمَّة » واحتفاظاً قلت إنى طرحتها فى الكناسه

. . .

ويخرج من البلاط ويصدر جريدة الفرات سنة ١٩٣٠ وكان يشتغل معه فى الجريدة المحامى محمد عبد الحسينى فعارض وزارة المعارف بمقالٍ ندد فيه بسياستها وأحيل على المحكمة وغرم بمبلغ واغلقت الجريدة ، ولما راجع رئيس الوزراء بصدد اصدارها أرجأه إلى وقت آخر فمال إلى حزب الاخاء الوطنى ومدح الحزبين بقصيده لاميه عنوانها

الحزبان المتآخيان

عليكم وإن طال الرجاء المعول وفى يدكم تحقيق مايتأمل (١)
وانتم أخير فى ادعاءٍ ومطمعٍ وأنتم إذا عد الميامين أول
وماذا ترجى أنفس لايسرها سوى الشعب مسروراً وماذا تؤمل

وهى قصيدة طويلة على هذا النحو ومنها البيت المشهور

وسيان قالوا خطبة مضرية لياسين أم قالوا تقدم جحفل

(١) ٢٤٦ ديوان الجوهرى مطبعة الغرى فى النجف

وفي سنة ١٩٣٠ يشكل نوري سعيد وزارته الاولى فيحييه بقصيدة عنوانها «انها وزارة المفاوضات»

لقد أزمت وأنت بها حفي فاين العزم والقلب الذكي (١)

وقصيدة أخرى عنوانها

(الزعيم)

عليك سلام ايها البطل الفرد تطالعك البشرى ويخدمك السعد (٢)

وفي سنة ١٩٣١ يسافر فيصل بن الحسين إلى جنيف تمهيداً لدخول العراق عصبة الامم فينظم الاستاذ الجواهري قصيدة عنوانها

«سفر جلالة الملك المعظم»

لقيت عقبى الجهد والاتعابِ ونزلت خير محلةٍ وجنابِ (٣)
ورحلت خير مودع عن موطنٍ حاميت عنه وأبتَ خير إياب

. . .

اليوم يوم تفاهمٍ بالرغم من أنى أحب تطاحن الاحزاب
وسياسةٍ سلبيةٍ لو أثمرتْ فيها نجاح رغائبٍ وطلابِ
وخيانة الاّ يقدر مخلص تدعو سياسته إلى الاضراب
لكن إذا لم تبق إلا ميتة أو اختها فسياسة الايجاب
إني خدمتك بالقوافي قاصداً بك خدمة التأريخ والآداب

وفي هذه السنة نفسها ينظم قصيدة يعرض لنوري سعيد فيها وعنوانها

---

(١) ١١٠ ديوان الجوهري مطبعة الغري في النجف
(٢) ٢٥٩ ديوان الجواهري مطبعة الغري في النجف
(٣) ١٠٦ ديوان الجواهري مطبعة الغري في النجف

« الانانية »

أرى الدهر مغلوبا ضعيفا وغالبا　　فلا تعتبن لايسمع الدهر عاتبا (١)
تمكنّ ذو طولٍ فأصبح حاكماً　　وجُنِّبَ مدحور فأصبح راهبا

. . .

ولو كنت من أهل السياسة لم أدع　　سناما لمن أرتاب فيهم وغاربا
تخذت الورى بالظنّ أحصى خطاهم　　ورحت لدقات القلوب محاسبا
ولم أر فى الاثم الفظيع اقترفته　　سوى اننى أدَّيت للحكم واجبا
فإن لم أطقْ تهديم بيت مصارحا　　اتيت فهدمت البيوت مواربا
لجأت إلى الدستور فى كل شدّةٍ　　أفسر منه ماأراه مناسبا
وجردته سيفا أمض وقيعة　　من السيف هنديا وأمضى مضاربا

وفى هذه السنة ١٩٣١ تضيق الدنيا به فحالته الاقتصادية مضطربة وهو شاب لم ينعم بأى ثراء كما يقول. والقصيدة تشرح حاله بكل وضوح، وعنوانها

« الحياة فى شكلها الصحيح »

ذوى شبابى لم ينعمْ بسراءِ　　كما ذوى الغصنُ ممنوعاً عن الماء (٢)
سدت عليّ مجارى العيش صافيةً　　كفُ الليالى وأجرتها بأقذاء
فمن عناءٍ بليات نهكت بها　　إلى عناء ومن داءٍ إلى داء
ستُ وعشرون ماكانتْ خلاصتها　　وهى الشباب طريا غيرغماءِ
فان عجبت لشكوى شاعرٍ طربٍ　　طول الليالى يرى فى زىٍ بكّاءِ
فلستُ أجهل مافى العيش من نعم　　انا الخبير باشياء واشياء

---

(١) ١٦٨ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف

(٢) ١٦٨ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف

ولا أحبُّ ظلام القبر يغمرنى   انا المشعُّ بآمالى وأهواء
وإنما انا والدنيا ومحنتها   كطالبِ الماء لمَّا غصَّ بالماء

إلى آخر هذا النسق العجيب فكأنه يسرد عليك قصة وضعه وما انتابه وهو شاب يافع ، وأن الدهر سدّ عليه مجرى حياته يرويها من غير تكلف وكأنه وهو يحدثك لاقيود فى هذه القصيدة فى القافية والوزن واللغة والاسلوب والاخيلة انها موهبة ما بعدها موهبة وفن يعجز كبار أهل الفن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

شيدت قصور على الاجراف جاهزة   بكل ماتشتهيه أعين الرائى
فيهن من شهوات النفس أفظعها   فيها غرائبُ أخبار وأنباء
فيها اللذاذات والافراحُ عاصفة   بنفس ذاكَ المرائى عصف نكباء
حتى إذا قلت قولاً تستبين به   لطف الحياة بتصريح وايماء
هاجوا عليك باقذاع ومفحشة   وآذنوك بحرب جد شعواء

ويعد قصيدة فى مدح فيصل بن عبد العزيز ولى عهد المملكة السعودية الذى زار العراق سنة ١٩٣٢ والشاعر مدرس ويرسلها لجريدة (أم القرى) التى تصدر فى الحجاز وهى الجريدة الرسمية لحكومة ابن سعود ، كما والجواهرى يعلم قبل غيره بالعداء الكامن بين هذين القبيلتين البدويتين .

ويعلم باهتمام فيصل بن الحسين بهذه الجريدة حيث كان الجواهرى يقدم الجرائد لفيصل مذ كان فى البلاط . كما لم يكن بين الجواهرى وبين البلاط مايستوجب هذا الطعن بفيصل بن الحسين . ومن جانب ثانٍ فإن الجواهرى يشجب الحكم الفردى القبلى فى المملكة السعودية إلا أنه نظم قصيدة شامخة البناء يمدح بها ابن عبد العزيز ويعرض فيها بفيصل بن الحسين وما ذلك إلا استجابة لطبيعته واسترسالا لنفسيته وعنوانها :

« سمو الأمير فيصل »

على سمة وفى طنف الأمان وفى حبّاتِ أفئدةٍ حوان (١)

. . .

فتى عبد العزيز وفيك ما فى أبيك الشهم من غرر المعانى
لأمرٍ ما نحس من انعطاف عليك وما ترى من مهرجان
تأمل فى السهول وفى الرّوابى ومختلف الاباطح والمغانى
ألست ترى ارتياحا وانطلاقا يلوح على خمائلها الحسان
وفى شتى الوجوه نرى انبساطا ولو فى وجه مكتئب وعان
وذاك لأنّ كل بنى سعودٍ لهم فضل على قاص ودان
وأنهم الملاجىء فى الرزايا وأنهم المطامح والأمانى

. . .

وقى الله الحجاز وما يليه بفضل أبيك من غصص الهوان
ومتع ذلك الشعب الموفى بسبع سنين شيقة سمان
على حين اصطلى جيران نجد بجمر لظى وسم الأفعوان
وقد رقّت لها حتى عِداها لكابوسٍ بها ملق الجران
أرادته اضطراراً لا اختياراً وليس لها بدفعته يدان
فليت الساهرين على دمارٍ فداء الساهرين على الكيان
وما سيان مشتملون حزماً ومشتملون أحزمة الغوانى

وعلى أثر نشر هذه القصيدة أرسلت أسئلة من البلاط إلى مديرية معارف

---

(١) ١٤٢ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف .

البصرة والأستاذ مدرس فى ثانويتها وكان المدير عاصم الجلبي فأجاب الأستاذ الجواهرى عنها وإلى هذا الحد انتهى الأمر .

وفى سنة ١٩٣٢ وبعد خروجه من البلاط وإصدار الجريدة (الفرات) وغلقها قدمت بعثة الجامعة المصرية على رأسها الأستاذ أحمد أمين فاستقبلهم الجواهرى بالقصيدة الآتية :

« إلى أعضاء البعثة المصرية »

رسل الثقافة من مضر   وجه العراق بكم سفر (١)
حرص القضاء عليكم   ورعتكم عين القدر
جئتم وهاطلة الغمام   معاً ورحتم والقمر
رشّ السماء طريقكم   أيحبكم حتى المطر

. . .

ياسادتى إن العراق   جميعه بكم ازدهر
والمحتفون بكم وإن   كانوا ذوى كرمٍ وفر
وجميعهم أهل البلاد   ولا يقاس بما ندر
فأجل من زمر تلقتكم   قد اختبأت زمر
وأجل ممن قادهم   حب الظهور من استتر
خفيت ذوات جمة   وبدت لكم بعض الصور

وأزيح من ظفروا به   ومشى اليكم من ظفر
ملء النوادى معجبون   بفضلكم ملء الحجر

---

(١) ٢٨ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف .

لكنهم لم يملكوا حق الجلوس على السرر
غير المناسب أن يمس حرير سادتنا الوبر
فإذا أردتم أن يتا ح لهم بصحبتكم وطر
فضعوا بقارعة الطريق لهم بيوتا من شعر
وسيسمعونكم من التغريد خاتمة السور
وضعُ العراق خذوه من عذبات أقلام أخر

. . .

وفى سنة ١٩٣٢ يسافر إلى سامراء ، عاصمة العباسيين الثانية وقد مر بخاطره كل مامر عليها فنظم قصيدة عنوانها :

«سامراء»

ودّعت شرخ صباى قبل رحيله ونصلت منه ولات حين نوصله (١)
وتعضت كنى من شباب مخلف إيراقه للعين مثلُ ذُبوله

. . .

وإذا أسعفت لمؤسف فلأنه خصب الثرى يشجيك فرط محوله
قد كان فى خفض النعيم فبالغت كف الليالى السود فى تحويله
بدت القصور الغامرات حزينة من كل منهوب الفناء ذليله
كالجيش مهزوم الكتائب فلّه ظفر ورقّ عدوّه لفوله
« العاشق » المهجور قوض ركنه كالعاشق الآسى لفقد خليله(٢)
« والجعفرى » ولم يقصّر رسمه الباقى برغم الدهر عن تمثيله

---

(١) ٦٥ ديوان الجواهرى ج (١) مطبعة بغداد ولى ١١ مطبعة الغرى فى النجف
(٢) العاشق الجعفرى قصراء من قصور الخلفاء العباسيين فى سامراء

بادى الشحوبِ تكاد تقرأ لوعةً لنعيمه المسلوب فوق طلوله
وكأنما هو لم يجد من جعفرٍ بدلا يسر به ولا عن جيله
قضت مجالسه به وخلون من شعر «الوليد» بها ومن ترتيله

• • •

ولقد شجتنى عبرة رقراقة حيرانةً فى العين عند دخوله
إنى سألت الدهر عن تخطيطه عن سطحه عن عرضه عن طوله
فأجابنى : هذى الخربية صدر والبلقع الخالى مجر ذيوله
وسل الرياح الساقيات فانها أدرى بكل فروعه وأصوله
وتعلمن أن الزمان إذا انتحى شهب السما كانت مداس خيوله
مدت بنو العباس كف مطاولٍ فمشى الزمان لهم بكف مغوله
واجتاح صادق ملكهم لمّا طغوا بدعى ملك كاذبٍ منحوله
وكذا السياسة فى التقاضى عنده تسليم فاضلهِ إلى مفضوله

ويثور الجواهرى وينعى على كل القيم الاجتماعية فنفسه خرجت عن إهابها فهو يوصى أبناء جلدته بأن يتركوا الشهامة والنبل والمروءة فهـــذه الصفات طريق العاجز كما أن هذه الخلال وأمثالها تخدع الضعاف المساكين فهو يجرى ساخطا على المجتمع . بقصيدة داليه تتجلى لك فيها عبقريته الحادة عنوانها :

«عبادة الشر»

دع النيل للعاجز القعدد وما استطعت من مغنم فازدد(١)
ولا تخدعنَّ بقول الضعاف من النّاس أنك عفُّ اليد
وأنك فى العيش لا تقتنى خطا الأدنياء ولا تقتدى

(١) ١٧ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف .

سفاسفُ تضحكُ من أمرها   صرامة ذى القوة الأيّد
فلا تغد طوعا لأمثالها   متى ما تعرر بها تنقد
ولا تبق وحدك فى حطةٍ   ومهما يكنْ سلم فاصعد
فأنك لو كنت محض الأباء   ومحض الشهامة والسؤدد
وأصدق فى القول من هدهدٍ   وأخشن فى الحق من جلمد
وأعطيت فى الخلق ظهر الغمام   وفى الفضل منزلة الفرقد
شريفا تشير إليك الأكفّ   وتنعت بعلم المفرد
كما زاد حظك مِن عيشةٍ   على حظ ذى العاهة المقعد

وفى هذا الدور وهو فى أشد أزماته وأحلك أيامه وفى ظروف اقتصادية وسياسية يكشف عن نفسه وقد استهدف لنقد حاد وشتائم قاسية من طغمة تحاملت عليه تحدوها شتى النزعات وتسوقها مختلف الأغراض إلا أن الجواهرى صمد أمام هذه الحملة التى لا هدف لها إلا تحطيمه.

وهو بهذه القصيدة يكشف عما هو فيه من وضع مؤلم مزعج قلب فيه كل الحيل فلم تجده نفعاً وراح كاشفاً كل ما عمل بهذه القصيدة التى أسماها :

«المحرّقة»

لبستُ لباس الثعلبيين مكرهاً   وغطيت نفساً إنما خلقت نسرا(١)
ومسحت من ذيل الحمـــام تملقاً   وأنزلت من عليا مكانته صقرا
وعدت ملء الصدر حقداً وقرحةً   وعادت يدى من كل ما أملت صفرا
أقول اضطراراً قد صبرت على الأذى   على أننى لا أعرف الحرَّ مضطرا

---

(١) ١٦٧ ديوان الجواهرى مطبعة الرابطة .

وليس بحرٍ من إذا رام غايةً تخوّف أن ترمى به مسلكاً وعرا
وما أنت بالمعطى التمرد حقه إذا كنت تخشى أن تجوع وأن تعرى
وهل غير هذا ترتجى من مواطن تريد على أوضاعها ثورةً كبرى

وفى هذه السنة ١٩٣٣ ينظم قصيدة فى بديعة عطش فنانة حلبية ساحرة . ونظمها كان على شكل ارتجال على وجه التقريب مع أن الجواهرى لا يؤمن بشعر الارتجال بل ولا يقدر على نظمه وهو من الشعراء الذين يعنون عناية كبرى بصقل القصيدة وإنقاء الألفاظ وقد يكون البيت من القصيدة خاليا من لفظة إلى أمد لأن الكلمة التى حضرته لا تعجبه أو هى لا تفى بالمعنى الذى يريده . وهذه القصيدة قالها فى الملهى وهى من الأدب المكشوف وعنوانها :

« فى المرقص »

هزى بنصفك واتركى نصفا لا تحذرى لقوامك القصفا(١)
فبحسب قدّك أن تسنده هذى القلوب وإن شكت ضعفا
أعجبت منك بكل جارحةٍ وخصصت منك جفونك الوطفا
عشرون طرفاً لو نجمعهـــا ما قسمت تقسيمك الطرفا
ترضين مقترباً ومبتعداً وتخادعين الصف فالصفا
أبديعة ولأنت مقبلة تستجمعين اللطف والظرفا

وينظم سنة ١٩٣٤ قصيدة أخرى فى الأدب المكشوف لا مثيل لها فى الشعر العربى فى تصويرها الخوالج النفسية . والجواهرى لا يعرف الغزل فى شعره أعنى الغزل التقليدى فهو ثائر فى كل شعره فى الغزل والسياسة والاجتماع والرثاء وعنوان هذه القصيدة :

---

(١) ٧٤ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف .

« ليلة معها »

لا أكذبنك إننى بشر جم المساوىء آثم أشر(١)
لا الحب ظمآناً يطامن من نفسى وليس صديق النظر
ولكم بصرت بما أضيق به فوددت أنى ليس لى بصر
أوانى حجر وربتما قد بات أروح منى الحجر
لا الشيء يعجبه فيمنعه فإذا عداه فكله ضجر

والجواهرى يقدر ويحترم رجال التأريخ فهو يبجل سقراط لكونه شرب كأس الموت دفاعا عن عقيدته ويحترم روسو لأنه كان جباراً أمام مجتمعه كما يقدر جمال الدين الأفغانى الذى طوف فى الكرة الأرضية وصعد قارة وهبط أخرى من أجل الدفاع عن الحق والعدالة الاجتماعية . كما هو لا يفتر عن ذكر الحسين بن على شهيد الأباء الذى ضحى بكل ما لديه من أجل كلمة الحق وهوى صريعاً فى نواويس كربلاء وبقى منذ أكثر من ألف سنة مضرب المثل فى الرجولة والكرامة والعزة والإباء وعنوان قصيدته فى الحسين :

« عاشوراء »

هى النفس تأبى أن تذل وتقهرا
ترى الموت من صبرٍ على الضيم أيسرا(٢)

. . .

تولى يزيد دفة الحكم فانطوى على الجمر من قد كان بالحكم أجدرا

---

(١) ٢٠٠ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف . و ١٨٦ مطبعة بغداد .
(٢) ٢٨٦ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف .

بنو هاشم رهط النبي وفيهم ترعرع هذا الدين غرساً فأثمرا
وما طال عهد من رسالة أحمد وما زال عهد الملك ريّان أخضرا
وفيهم حسينٌ قِبلة النّاس أصيدٌ إذا ما مشى والصيد فات وغبّرا
وغاض الزبيريين أن أبصروا الفتى قليل الحجر فيهم أميراً مؤمّرا
ففى كل دارٍ ندوة وتجمع لأمرٍ يهمُّ القوم أن يتدبّرا
وقد بثت الأرصاد فى كل وجهةٍ تخوف منها أن تسر وتجهرا
وخفّوا لبيت المال يستنهضونه وكان على فض المشاكل أقدرا
وقد أدرك العقبي معاوى وانجلت لعينيه أعقاب الأمور تبصرا
وقد كان أدرى بابنه وخصومه وأدرى بأنّ الصيد أجمع فى الفرا
وكان يريد بالخمور وعصرها من الحكم ملتف الوشائج أبصرا
فشمر للأمر الجليل ولم يكن كثيراً على ما رامه أن يشمرا
هو الملك لا علق يباع فيشترى لتصبر نفس عنه أو تتصبرا
ولكنه الشيء الذى لا معوض يعوض عنه إن تولى وأدبرا

إلى آخر هذه القصيدة المزدحمة بالطعن على أولئك الذين شوهوا التأريخ وبالتقديس والتعظيم لأولئك النفر الذين تنمروا فى ذات الله ولم يتجرعوا الخسف والذل والهوان ودفعوا الثمن غالياً من أجل عقائدهم فكانوا عبرة التأريخ والمثل السائر .

وفى سنة ١٩٣٥ نظم قصيدة يكشف فيها عن البلبلة الفكرية التى اكتنفته وعن الأعمال المتناقضة التى سببت له كل ما وقع من مشاكل وملابسات وعنوان القصيدة :

« معرض العواطف »

أبرزت قلبي للرماة معرضا وجولت شعرى للعواطف معرضا

ووجدتنى فى صفحة وعقيبها متناقضا فى السخط منى والرضا
أبرمت ماأبرمته مستسهلا إن حان موعد نقضه أن ينقضا
ونزلت منه على الطبيعة منزلآ ألفيتنى فيه على جمر الغضا
ومدحت من لايستحق وراق لى تكفيرتى بهجائه عما مضى
ووجدتنى مستعصياً إطراء من أطريته بالأمس طوعاً ريضا
وحمدت أنى عبد قلبي ما اشتهى أن ينثنى بوداده أو يمحضا
وحمدت من هذا اللسان سكوته حتى يحركه الفؤاد فينبضا
فوضته وحملت الف مصيبة من أجل أن راح الفؤاد مفوضا
نافقت إذ كان النفاق ضرورة متحرقاً من صنعتى مترمضا
ومزيتى وهى الوحيدة اننى جاريت طبعى فى الكثير كما اقتضى

ويصطاف الجواهرى فى زحله ويبهره مناظر وادى العرائش وهو من متنزهات زحله فيصف غناء الطيور وخرير المياه والأشجار الملتفة التى ينبعث عنها الحفيف فيختلط بغناء الطيور وخرير الماء فتشيع البهجة فى النفس من هذا المزيج .

كما يصف فيها المياه المتحدرة من العيون التى هى فى أعالى الجبل إلى ذلك الوادى المفروش بالحصى . وكانت الطبيعة ضاحكة مزدهية تضاعف نشوة الكاس القابض عليها بيده وعنوانها :

« وادى العرائش »

يوم من العمر فى واديك معدود مستوحشات به أيامى السود (٢)
نزلت ساحتك الغناء فانبعثت بالذكريات الشجيات الأناشيد

(١) ٥ ديوان الجواهرى مطبعة الغرى فى النجف .

(٢) ١٧٤ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد و ٧٦ فى ديوان الجواهرى مطبعـــة الغرى فى النجف .

وأجتزت رغم الليالى باب ساحرةٍ   مرّ الشباب عليه وهو مسدودُ
قامت قيامته بالحسن وانتشرت   فيه الأهازيج والأضواء والغيد
ما وحده غرَّد الشادى ليرقصه   الماء والشجر الملتف غريد

• • •

ثق زحيلة أن الحسن أجمعه   فى الكون عن حسنك المطبوع تقليد
أنت الحياة وعمر فى سواك مضى   فإنما هو تبـــذير وتبدير
أقسمت أعطى شبابى حق قيمته   لو أن ما فات منه اليوم مردود
وكيف بى ونصيب المرء مرتهن   به ومغنمه فى العمر محـــدود
لم يأت للجبـــلين العاطفين على   واديك أبهى وأنقى منه مولود
زفّت له متع الدنيا بشائرها   واستقبلته من الطير الأغاريد

• • •

طاف الخيال على شتى مظاهره   واستوقفتنى به تلك الجلاميد
تفجر الحجر القاسى به وبدا   فى وجنة الصخرة الصمّاء توريد
تجرى المياه أعاليـــه مبعثرة   لها هنـــالك تصويب وتصعيد
حتى إذا انحدرت تبغى قرارته   تضيق ذرعاً بمجراها الأخاديد

أما المرحلة الثالثة :

فهى التى تبتدىء من سنة ١٩٣٦ إلى وقتنا هذا . ويؤرخ هذه الحقبة الأدبية لشاعرنا الجواهرى ديوانه بأجزائه الثلاثة : طبع الأول منه ١٩٤٩ والثانى ١٩٥٠ والثالث ١٩٥٣ . كما أنه طبع فى الشام ١٩٥٧ ديواناً جمعه من جموع دواوينه السالفة وقد أضاف إليه بعض قصائده المتأخرة عدا القصيدة الهمزية فى رثاء عدنان المالكى :

خلّفت غاشية الخنوع ورائى   وأتيت أقبس جمرة الشهداء

إن الجواهرى قد بلغ مرتبة لم يبلغها شاعر عراقى قبله . فهو قد قفز فى هذا الدور وفى هذه المرحلة فكان فى القمة فى قرض الشعر خاصة الوصفى منه .

أما شعره السياسى فهو على وفرة إنتاجه فى هذا اللون الأدبى . وكثرة نظمه فيه ورغم هذا كله فهو يحتفظ بالجدة والإبداع فيه . فشعره السياسى وإن كان هو فى غرض واحد وهدف واحد إلا أن الصور والاخيلة التى يبعثها منعكسة عما يحس به الشعب تجعل كل قصيدة كأنها فى غرض واحد وهذا سر من أسرار عبقريته وفنّه . فكل قصيدةٍ من هذا الكثير بهذا اللون تقرؤها وكأنّك لم تقرأ له غيرها .

والأمر الذى لا يكون إلاّ للنادر من أمثاله هو أنه إذا نظم فى موضوع وخاصة إذا كان الموضوع وصفيا فهو يأخذه من جميع أطرافه وحواشيه ويأتى بكل ما يعلق به : القريب والبعيد منه . وهذا دليل تمكنه من العملية الفنية . وتمكنه من القوالب لجزئيات اللغة العربية فكل كلمة من كل قصائده فى هذه المرحلة موضوعة فى محلها وهو درى بمكانها ، عليم بأنها لا غيرها تصلح ، عارف بتناسق وضعها مع غيرها .

وأمر آخر لا يسعنى إلا أن أشير إليه : هو أن قصائده فى هذه المرحلة من تأريخ شعره أصبحت مطوله ، فكل قصيدة تزيد على المئة عداً . وفى بعض قصائده يستغرق جميع القوافى فى باب اللغة التى جاءت منها قافيته ، كما أن جميع القصيدة من النوع الجيد . ومثل هذه الوفرة فى الجودة والاستطالة ، لا يتميز بها أى شاعرٍ عربىّ فى جميع قصائده سوى الجواهرى .

فكل شعره وأخص هذه المرحلة لا تجد فيها إلاّ ما يعجب ، فهو شاعر عبقرى يملك بفنه ناصية اللغة التى اختزن منها فى صباه السهم الأوفر ، كما هو

يتحكم بالأساليب التى أصبحت تتمـــيز به . فلشعره طابع خاص به وهو مدرسة بذاته .

والجواهرى شاعر ثورى يقتدح فكره وتحتك مواهبه فى الانتفاضات والانقلابات ، يجيـــد تصور الوضع بكل إحكام ، ويندفع مع الثورة إلى أبعد مراميها .

ففى سنة ١٩٣٦ وقع الانقلاب العسكرى فى العراق الذى تمّ على يد (بكر صدقى) ضدحكومة ياسين الهاشمى وأصبح رئيس وزراء هذاالانقلاب السيد (حكمة سليمان) ، وبعد أن انهزم ياسين إلى الشام مع وزير الداخلية السيد رشيد عالى الكيلانى صرح الأخير بحديث إلى بعض الصحف بعدأيام من هزيمته : بأن الأوضاع سترجع كما كانت فانشأ الجواهرى قصيدة هزت المحافل الأدبية من ناحيتها الفنية وهزت المحافل السياسية لتصويره وضع العراق وما حاق به من ظلم وجور كما هو يحذر رجل الثورة من عاقبة المصير إذا ظل الوضع كما كان عليه ، ويحثه على أن يخطو سريعاً للاصلاح والعمل المثمر والضرب على أيدى العابثين والمخربين .

أما القصيدة التى حيابها الانقلاب فعنوانها :

« تحرك اللحد »

كلوا إلى الغيب مايأتى به القدر	واستقبلوايومكم بالعزم وابتدروا(١)
وصدقوا مخبراً عن حسن منقلبٍ	وآزروه عسى أن يصدق الخبر
لاتتركوا اليأس يلقى فى نفوسكم	له مدبّا ولا يأخذكم الخور
تذكروا أمس واستوحوا مساوئه	فقد تكون لكم فى طيه عبر

. . .

وانت يابن (سليمان) الذى لهجت	بما جسرت عليه البدو والحضر
الكابت النفس أزمانا على حنقٍ	حتى طغى فرأينا كيف ينفجر

---

(١) ١٥٧ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد

والضارب الضربة العظمى لصدمتها ... لحم العلوج على الأقدام ينتثر
هل ادخرت لهذا اليوم أهبته ... أم أنت بالاجل الممتد معتذر

. . .

لاتبق دابر أقوام وترتهمُ ... فهم إذا وجدوها فرصة ثأروا
هناك تنتظر الاحرار بجزرة ... شنعاء سوداء لاتبقى ولاتذر
وثم شرذمة الفت لها حجباً ... من طول صفح وعفو فهى تستتر
إنى أصارحك التعبير مجترئاً ... وما الصريح بذى ذنبٍ فيعتذر
إن السماء التى أبديت رونقها ... يوم (الخميس) بدا فى وجهها كدر
تهامس النفر الباكون عهدهم ... أن سوف يرجع ماضيهم فيزدهر
تجرى الاحاديث نكراء كعادتها ... ولم يرع سامر منهم ولاسمر
لحاسب القوم من كل الذى اجترحوا ... عما أراقوا وما اغتلوا وما احتكروا
للآن لم يلغ شبر من مزارعهم ... ولا تزحزح مما شيدوا حجر
ولم يزل لهم فى كل زاويةٍ ... مُنَــوّهٌ بمخازيهم ومفتخر
فضيق الحبل واشدد من خناقهم ... فربما كان فى ارخائه ضرر

وفى سنة ١٩٣٨ ينكب الجواهرى ، بأعز ماينكب به فقد توفيت زوجته ورفيقة صباه بحادث مزعج فلم يمهلها غير يومين ووافاها القدر . وكان الجواهرى فى بيروت فى طريقه للقاهرة ممثلا فى الوفد العراقى لمؤتمر الاطباء ويأخذ جريدة عراقية فيقرأ خبر وفاة زوجته من غير سابق عهد فكر راجعاً إلى العراق ورثاها بقصيدة هى من صميم قلبه فعصر بها كل ذكرياته وأودعها كل عواطفه فلم يبق شاردة ولاواردة من أحاسيسه الاوصبها فى هذه اللوحة الفنية

« ناجيت قبرك »

في ذمة الله ما ألقى وما أجد ... أهذه صخرة أم هذه كبد (١)
قد يقتل الحزن مَنْ أحبابه بعدوا ... عنه فكيف بمن أحبابه فقدوا
تجرى على رسلها الدنيا ويتبعها ... رأى بتعليل مجراها ومعتقد
أعيا الفلاسفة الاحرار جهلهم ... ماذا يخبي لهم في دفتيه غد
طال التمحل واعتاصت حلولهم ... ولا تزال على ما كانت العقد
ليت الحياة وليت الموت مرحمة ... فلا الشباب ابن عشرينٍ ولا لبد
مدي إلى يداً تمدد اليك يد ... لابد في العيش أو في الموت تتحد
كنا كشقين وافى واحداً قدر ... وأمر ثانيهما من أمره صدد
ناجيت قبرك أستوحي غياهبه ... عن حال ضيف عليه معجلا يفد
ورددت قفرة في القلب قاحلة ... صدى الذي يبتغي ورداً فلا يجد
ولفني شبح ما كان أشبهه ... بجعد شعرك حول الوجه ينعقد
ألقيت راسي في طياته فزعاً ... نظير صنعي إذ آسى وأفتقد
لايوحش الله ربعاً تنزلين به ... أظن قبرك روضاً نوره يقد

ويصف الجواهرى الاقطاع وظلمه والفلاح وجوعه وترف ذلك وإدقاع هذا بقصيدة مطولة هي في غاية الصراحة والجرأة وذلك سنة ١٩٣٩ وعنوانها

« الاقطاع »

ألاقوة تستطيع دفع المظالم ... وانعاش مخلوق على الذل نائم
ألا أعين تلقى على الشعب هاوياً ... إلى حمأة الادقاع نظرة راحم
وهل مايرجى المصلحون يرونه ... مواجهة أم تلك أضغاث حالم
تعالت يد الاقطاع حتى تعطلت ... عن البت في أحكامها يد حاكم

. . .

---

(١) ١٨٠ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد

عجبت لخلق فى المغارم رازحٍ يقدم ماتجنى يداه لغانم
وأنكأ من هذا التغابن قرحة غباوة مخدوم وفطنة خادم
لو أطلعت عيناك أبصرت مأتماً أقيم على الأحياء قبل المآتم

. . .

سياسة إفقار وتجويع أمة وتسليط أفراد جناة غواشم
لقد قلت لو أصغى إلى القول سامع وما هو منى بالظنون الرواجم
ألا إن وضعا لايكون رفاهُـهُ مشاعا على أفراده غير دائم
أمبتردات بالخمور تثلّجت وبالماء يغلى بالعطور الفواغم
ومفترشات فضلة من زرائب يوسدها ماحولها من ركائم
أمن كدح آلاف تفيض تعاسة يمتع فرد بالنعيم الملازم
وما انا بالهيّاب ثورة طامعٍ ولكن جماع الأمر ثورة ناقم
فما الجوع بالأمر اليسير احتماله ولا الظلم بالمرعى الهنيىء لطاعم
نذيرك من خلق أطيل امتهانه وإن بات فى شكل الضعيف المسالم

. . .

وفى سنة ١٩٤٠ تضيق الدنيا بالجواهرى وتكون عنده مثل كفة الحابل إذ تمر به زوبعة نفسية وأوضاع مزعجةٍ من اقتصادية وغير اقتصادية. وهذه طلائع قصائده التى اجتاز بها على من سواه من شعراء العراق.

« أجب أيها القلب »

أعيذ القوافى زاهيات المطالع مزامير عزّاف أغاريد ساجع(٢)
لطافا بأفواه الرواة نوافذاً إلى القلب يجرى سحرها فى المسامع

---

(١) ١٧ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد
(٢) ٢٢ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد.

تكاد تحس القلب بين سطورها ... وتمسح بالأردان مجرى المدامع
برمت بلوم اللائمين وقولهم ... أأنت إلى تغريدة غير راجع
أأنت تركت الشعر غير محاول ... أم الشعر إذ حاولت غير مطاوع
وهل نضبت تلك العواطف ثرةً ... لطافا مجاريها غزار المنـابع

. . .

أجب أيها القلب الذى لست ناطقا ... إذا لم أشاوره ولست بسامع
وحدث فإن القوم يدرون ظاهراً ... وتخفى عليهم خافيات الدوافع
يظنون أن الشعر قبسة قابس ... متى ما أرادوه وسلعة بائع
أجب أيها القلب الذى سر معشر ... بما ساءه من فادحات القوارع
بما ريع منك اللب نفثْست كربة ... وداويت أوجاعا بتلك الروائع
قساة محبوك الكثيرون انهم ... يرونك إن لم تلتهب غير نافع
وما فارقتنى الملهيات وإنما ... تطامنت حتى جرها غير لاذع
تلفت أطرافى ألم شتاتنا ... من الذكريات الذاهبات الرواجع
تحاشيتها دهراً أخاف انبعاثها ... على أنها معدودة من صنائعى
على أنها إذ يعوز الشعر رافد ... تلوح له أشباحها فى الطلائع
ومنها الذى فوق الجبين لوقعه ... يد ، ويد بين الحشى والأضالع
ومنها الذى يبكى ويضحك أمره ... فيفتر ثغر عن جفون دوامع
ومنها الذى تدنو فتبعد نزعا ... شواخصه مثل السراب المخادع
ومنها الذى لاأنت عنه إذادنا ... براض ولامنه بعيداً بجازع
حوى السجن منها ثلة وتحدرت ... إلى القبر أخرى وهى أم الفجائع
وباءت بأقساهن كفى وما جنت ... من الضر مما تتقيه مسامعى

تحلب أقوام ضروع المنافع ورحت بوسق من أديب وبارع
وعللت أطفالى بشر تعلة خلود أبيهم فى بطون المجامع
وراجعت أشعارى سجلا فلم أجد به غير ما يودى بحلم المراجع
ومستنكر شيأ قبيل أوانه أقول له هذا غبار الوقائع

. . .

ويصطاف الجواهرى سنة ١٩٤١ فى ربوع (لبنان) وهى حبيبة له فقد ناغاها بشعره ثلاثين سنة وهذه قصيدة عنوانها :

« بنت بيروت »

يا عذبة الروح يا فتانة الجسدِ يا بنت بيروت يا أنشودة البلدِ (١)
يا غيمة الشعرِ ملتاثاً على قمرٍ يا بسمة الثغر مُفْتراً على النضدِ
يا روعة البحر فى العينين صافية يا نشوة الجبل الملتفّ فى العضدِ
يا قطرة من نطاف الفجر ساقطها من «أرزِ» لبنان خفّاق الظلال ندى
يا نبتة الله فى عليا مظاهره آمنت بالله لم يولدْ ولم يلد
يا تلعة الجيد نصته فما وقعت عين على مثله يزدان بالجيد
يا جوهر اللطف يا معنًى يضيق به لفظ فيقذفه الشدقان كالزّبد
عيذ وجهك أن أشق برقّته وفيض حسنك أن يعيا برىّ صد
ولا يليق بأجفانٍ انشرها على جمالك أن تطوى على السهد
يد مسحت بها عينى لأغمضها على الهوى ويدى الأخرى على كبدى
وردت من ظمأ ماءً غصصت به فليت أنى لم أظمأ ولم أرد
قال الرفاق ونار الحب آكلة من وجنتىّ : أهذا وجه مبترد

. . .

(١) ١٠٢ ديوان الجواهرى

وفى سنة ١٩٤٤ أقام المجمع العلمى العربى بدمشق مهرجاناً ألفياً لذكرى أبى العلاء المعرى ويدعو الوفود من مختلف الأقطار العربية وغير العربية وترسل وزارة المعارف العراقية من يمثلها وهما الدكتور مهدى البصير والأستاذ طه الراوى .

وكان الجواهرى فى هذا الوقت فى سوريا وقبل انعقاد المهرجان بأيام قطع الأستاذ الجواهرى تذكرة للقفول أو كاد يقطع . وأدركت وزارة المعارف أن الجواهرى يجب أن يمثل فى الوفد العراقى الرسمى . فأبرقت على عجل إلى ممثلها فى دمشق أن يبلغ الجواهرى رسمياً فعدل عن السفر بعد أن بلغ .

وأول ما نظم من هذه المعلقة الفريدة — بعد أن استعصى عليه النظم مدة يومين — قصة عمى أبى العلاء المعرى ، وهذا المورد الشعرى قل أن يأتى مثله فى مثله من الشعر لعمق الفكرة ولتناوله من كل أطرفه وهذا هو المقطع

سل المقادير هل لا زلت سادرةً ... أم أنت خجلى لما أرهقته نصبا
وهل تعمدّت أن أعطيتِ سائبةً ... هـذا الذى من عظيم مثله سلبا
هـذا الضياء الذى يهدى لمكمنهِ ... لصّا ويرشد أفعى تنفث العطبا
فإن فخرت بما عوّضتِ من هبةٍ ... فقد جنيتِ بما حملتهِ العصبا

وهذه القصيدة تكاد تكون على رأس شعر الجواهرى فهى فى صلب الموضوع لم تخرج عن أبى العلاء على طولها فقد سبر حياته وأفكاره وضغطها فى هذ القصيدة فلا بدع أن تكون من أرفع القصائد وأجلها قدراً . هذه القصيدة بعد أن أخذتها الصحف وكتب عنها نقاد الشعر فى البلاد العربية أصبحت مضرب المثل فى الرواية والحفظ . وعنوانها :

«أبو العلاء المعرى»

قفْ بالمعرةِ وامسح خدَّها التربا ... واستوحِ مَن طوّق الدنيا بما وهبا(١)

---

(١) ٤٩ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد .

واستوح مَن طيَّب الدنيا بحكمته ومن على جرحه من روحه سكبا
وسائل الحفرة المرموق جانبها هل تبتغى مطمعا أو ترتجى طلبا
يا برج مفخرة الأجداث لا تهنى إن لم تكونى لأبراج السما قطبا
فكل نجم تمنّى من قرارته لو أنّه بشعاعٍ منك قد جذبا

• • •

أبا العلاء وحتى اليوم ما برحتْ صناجة الشعر تهدى المترف الطربا
يستنزل الفكر من عليا منازلهِ رأس ليمسح من ذى نعمةٍ ذنبا
وزمرة الأدب الكابى بزمرته تفرقتْ فى ضلالات الهوى شعبا
تصيَّدُ الجاه والألقابَ ناسيةً بأن فى فكرةٍ قدسيةٍ لقبا
وأن للعبقرى الفذ واحدة إما الخلود واما المـال والنشبا
من قبل ألف لو انّا نبتغى عظةً وعظتنا أن نصون العلم والأدبا
على الحصير وكوز الماء يرفده وذهنه ورفوف تحمل الكتبا
أقام بالضجة الدنيا وأقعدها شيخ أطل عليها مشفقاً حدبا
بكى لأوجاع ماضيها وحاضرها وشام مستقبلاً منها ومرتقبا
وللكآبة ألوان وأفجعها أن تبصر الفيلسوف الحر مكتئبا

• • •

أجللت فيك من الميزات خالدةً حرية الفكر والحرمان والغضبا
مجموعة قد وجدناهنّ مفردة لدى سواك فما أغنتنا أربا
فرب ثاقب رأى حطّ فكرته غنم فسفَّ وغطى نورها نخبا
وأثقلت متع الدنيا قوادمه فما ارتقى صعداً حتى ادنّى صببا
بدا له الحق عريانا فلم يره ولاح مقتل ذى بغى فما ضربا
هذا اليراع شواظ الحق أرهفه سيفا وخانع رأى رده خشبا

• • •

آمنت بالله والنور ىالذ رسمت   به الشرائع غرّاً منهجا لحبا
وصنت كل دعاة الحق عن زيغ   والمصلحين الهداة العجم والعربا
وقد حمدت شفيعاً لى على رشدى   أُمّا وجدت على الإسلام لى وأبا
لكنّ بى جنفا عن وعىْ فلسفةٍ   تقضى بأنّ البرايا صنفت رتبا
وأنّ من حكمةٍ أَنْ يجتنى الرطبا   فرد بجهد ألوفٍ تعلك الكربا

وفى سنة ١٩٤٥ مرّ جثمان السيد جمال الدين الأفغانى على العراق فى طريقه إلى الأفغان وقد تنازعت عليه اليوم بعد مماته دولتان : إيران والأفغان وكل تدعى بأنه منها . وقد كان فى حياته يلفظ من قارة إلى أخرى من أجل فكرة الحق والعدالة الاجتماعية .

وكانت الحكومة العراقية قد احتفلت به رسمياً فألقى الأستاذ الجواهرى قصيدته هذه فى الجامع الكبير للشيخ عبد القادر الكيلانى وأمام النعش . وعنوانها :

« جمال الدين الأفغانى »

هَويت لنصرة الحقّ السُّهادا   ولولا الموت لم تطق الرقادا(١)
ولولا الموت لم تفرحْ فرادى   صعقتهم ولم تحزن سوادا
ولولا الموت لم يذهبْ حريق   بيانعةٍ وقد بلغتْ حصادا
وإن كان الحداد يردُّ ميتاً   وتبلغ منه ثاكلة مرادا
فإن الشرق بين غد وأمس   عليك بذله لبس الحدادا

. . .

ترّفعْ أيها النجم المسجّى   وزدْ فى دارة الشرف اتّقادا
ودرْ بالفكر فى خلد الليالى   وجلْ فى الكون رأياً مستعادا
وكنْ بالصمت أبلغ منك نطقاً   وأورى فى محاججةٍ زنادا

(١) ١٠٥ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد .

فإنّ الموت أقصر قيد باعٍ بأن يغتال فكراً واعتقادا

• • •

خشيت الله عن علمٍ وحقّ إذا لم تخش في الحق العبادا
وجدت اللذّة الكبرى فكانت طريف الفكر والهمم التلادا
وأعصاباً تشد على الرّزايا إذا طاشت وتغلبها اشتدادا
ولما كنت كالفجر انبلاجاً (وكالعنقاء تكبران تصادا)
مشيت بقلبٍ ذي لبدٍ هصورٍ (تعاند من تريد له العنادا)
صليب العود لم يغمزك خوف ولم تسهل على الترف انعقادا
ولم تنزل على أهواء طاغ ولا عمّا تريد لما أرادا
ولم تجد الأماني والمنايا مبررةً عن الحق ارتدادا
ولم أر في الرجال كمستمدٍ من الحق اعتزازاً واعتدادا
وكان معسكران : الظلم يطغى ومظلوم فلم تقف الحيادا
ولم تحتّج أنّ البغي جيش وأنّ الزّاحفين له فرادا
ولا أنّ الليالي محرجات وأنّ الدّهر خصم لا يعادى
وأنّ الأمر مرهونٌ بوقتٍ ينادى حين يأزف لا ينادي
معاذير بها ادّرعت نفوس ضعاف ترهب الكرب الشدادا
تريد المجد مرتميا عليها جنىً غضاً تلقّفه ازدرادا

• • •

يسكن الجواهري سنة ١٩٤٦ في جانب الكرخ وفي بيتٍ متواضع يطل على دجلة وتأخذه مناظر المياه الطامية في النهر أيام الخريف فينظم قصيدة في وصف هذا النهر عنوانها :

« دجلة فى الخريف »

بكر الخريف فراح يوعده … أن سوف يزبده ويرعده (١)
وبدت من الأرمات عائمةً … فيه طلائع ما يجنّده
وكأن من زبد الرمال على … أمواجه طفلا يهدهده
واستثقل النوتى مجذفه … برما بمقبضه يجدده
وتحفّزت شم الجبال له … بثلوجها كسفا تهدده
ظلت تعذ خطاه ترقبه … فى الصيف مزدهراً وتحسده
جرداء وهو يضجّ ملعبه … ظلماء وهو يشبّ موقده
خرساء والأنغام ترقصه … وكأنها بالموج ترفده
متطامن لم تخش صولته … لكن تضيق بصائل يده
فمن الشمال يد وتنهضه … ومن الجنوب يد وتقعده
كالناس للحفرات مرجعه … ومن النطاف النزّر مولده
وخضوعه كخضوعهم أبداً … للغيب أنى سار يقصده
والفصل دون الفصل ينعشه … والأرض دون الأرض يسعده
لغب فلا الامساء يوسعه … عطفاً ولا الإصباح ينجده

وفى هذه السنة نفسها يؤبن الجواهرى المرحوم (جعفر أبو التمن) الزعيم الوطنى المعروف فى مواقفه ضد المستعمرين والخونة الأذناب وكان فى الطليعة من المخلصين الذى لاقى النفى والسجون بقدرماقاوم الظلم والطغيان.

وأقيم الحفل الكبير فى (سينما غازى) وقام الجواهرى يقرع الطغمة الحاكمة التى كانت تشهد الحفل وانقلب الاحتفال من تأبين إلى ندوة سياسية

---

(١) ١١٢ ديوان الجواهرى مطبعة بنداد .

فى ذكرى جعفر «أبو التمن»

طالتْ ولو قصرتْ يد الأقدار ... لـرَمت سواك عظـمت من مختار
من صفوة لو قيل أى فذ هم ... لم تعد شخصك أعين النظار
لـكنْ أرادتْ أن تحوز لنفسها ... عين القلادة فازدرتْ بنثار
وأرى المنايا بالذى تختـــــاره ... للموت عاطلة وذات سوار
فطوتك فى درج الخلود فعطرت ... بك سالف الأحقاب والآثار
واستنزلتك لغربةٍ ولا أنت من ... علياك فى لجبٍ من الانصار
وتجاهلتْ أنّ البلاد بحاجةٍ ... لكَ حاجة الأعمى إلى الإبصار
قسما بيومك والفرات الجارى ... والثورة الحمراء والثوار
والأرض بالدَّمِ ترتوى عن دمنةٍ ... وتمجه عن روضةٍ معطار
والخيل تزحف لم تدع لمغيرها ... جثث تغطى الأرض أىَّ مغار
إن الذين عهدتهم حطب الوغى ... لولاهم لم تشتعـــل بأوار
واللاقحين نتاجها بأعزْ ما ... ملـكتْ يمين من حمىً وذمار
والداهنات دماؤهم لمم الثرى ... والمؤنسات شواطىء الأنهار
والناحرين من الضَّحايا خير ما ... حملتْ بطون حرائرٍ أطهار
ما إن تزال حقوقهم كذويهم ... فى القفر سارحةً مع الأبقار
وأعزْ ما تبغى الحلائل منهم ... أنـ تستر العورات بالأطمار

. . .

خمس وعشرون انقضت وكأنها ... بشخوصها خبر من الأخبار
ضقنا بها ضيق السَّجين بقيده ... من فرط ما حملت من الأوزار
وتجهمت فيها السماء فلم تجـد ... للخابطين بكوكبٍ سيّار
شاخ الشباب الطيبون وجددت ... فيها شبيبة شيخـةٍ أشرار

وبدا على وجه الحفيد وجدّه   للناظرين تقارب الأعمار
من كان يحسَبَ أن يمد بعمره   حكم أقيم على أساس هار
ومن الفظاعة أن تريد رعيّة   فى ظل دستور لها وشعار
ما يطلب الماسور من يد آسر   إسداء عارفةٍ وفكَّ إسار

. . .

ولأول مرة أرى الأستاذ الجواهرى يعدل عن قصيدة نظم منها خمسة عشر بيتاً إلى أخرى . فعندما كاف من لجنة التأبين بأن ينظم فى رثاء (أبو التمن) نظم قصيدة استهلها .

« علم لف فى يمين الجهاد »

ثم أعرض عنها بعد أن قرأ الأبيات على صديق له فلم يستحسنها كثيراً .

« طرطرا »

هذه القصيدة مستوحاة من القصيدة « الدبدبية » التى قيلت فى الفترة المظلمة(١) :

ونشرت قصيدة الأستاذ الجواهرى فى « الرأى العام » جريدته والتى تنازل عنها وأصبحت لسان حزب « الاتحاد الوطنى » سنة ١٩٤٦ ولم تنشر كلها لورود بعض الأسماء فيها ومع ذلك فقد احتج على نشر هذه القصيدة لدى (البلاط) جمع من محترفى السياسة الذين لا يوالون غير المستعمرين ويأتمرون بأمرهم .

ونقرأ فى « الطرطرية » هذه طرق الحكم الاستعمارى المقنع فى العراق منذ أول الحكم المسمى بالوطنى حتى اليوم الذى قيلت فيه هذه القصيدة . فهى

---

(١) القصيدة الدبدبية مطلعها أى دبدبا تدبدبى أنا على المغربى .

تسير لك هذا الحكم وما فيه من عنصرية وطائفية ورجعية ، ورشوه ونهب للأراضى والعقارات ، وزيف فى الحكم وفقدان للعدالة وجور فى الأحكام وتلاعب فى الدوائر وسلب للحريات وتزييف للانتخـــابات وسجون ومعتقلات وجهاز بوليسى مدرب لا يعرف الرحمة وجوع وعراء ومرض وترف ونعيم لزعانف المستعمرين . كل هذا وكثير من أمثاله أودعها الأستاذ الجواهرى فى هذه القصيدة بأسلوب تهكمى ساخر لاذع لا يعرف المجاملة .

والجواهرى وإن كان شعره متسامٍ فى أسلوبه وبعضه للخاصة لا للعامة إلا أن الكثير منه مفهوم للناس خاصة منه ذلك الذى يعالج فيه الأوضاع السياسية فى العراق وهذه القصيدة من ذلك الذى يجرى بلا تكلف والتواء يفهمها كل سامع .

أى طرطرا تطرطرى   تقـــدمى   تأخرى
تشيعى   تسننى   تهودى   تنصرى
تعرّبى   تكرّدى   تهاترى   بالعنصرِ
تعممى   تبرنطى   تعقّلى   تسدّرى

* * *

لمن ألتاريخ وهو   فى يد المحبّرِ
بدرهم تقلب الحا   ل يد المحررِ
قد تقرأ الأجيال   فى دقة هذا المحضر
عن مثل هذا العصر   أن قد كان زين الأعصر
وأنه من ذهب   وأنه من جوهر
أم للضمير والضمير   صنع هذا البشر
تعلة لصائم   فطيرة لمفطر
أم للقوانين وما   جاءت نغير الهذرِ

تأمر بالمعروف والمنكر فوق المنبر

. . .

أم للمقاييس اقتضا هن اختلاف النظر
إنّ أخا طرطر من كل المقاييس برى
وأنت إن لم تجدى أبا حميــدّ الأثر
وسيداً من الجدود طيب المنحدرِ
ولم ترى فى النفس ما يغنيك أن تفتخرى
شأن عصام أو دعته النفس خير مفخر
طوفى على الأعراب من بادٍ ومن محتضر
والتمسى منهم جدوداً جدَداً وَزَوِرى
تزيدى تزبدى تـعَنـزّى تشمرى
فى زمن الذر إلى بداوةٍ تقهقرى

. . .

أى طرطرا تطرطرى وهللى وكبرى
وطبلى لـكل ما يخزى الفتى وزمرى
أعط سماة فارع شمردلٍ لبحترى
واكتسبى لضغدع سماة ليث قسورى
وعطرى قاذورة وبالمديح بخرى
وصيرى من جعل حديقة من زهر
وأفرغى على المخا نيث دروع عنتر
إن قيل إن مجدهم مزيف فانـكرى
أو قيل إن بطشهم من بطشة المستعمر

وإن هـذا المستعير صولة الغضنفر
أهون من ذبابة فى مستحم قذر
فهى تطير حرّة جناحها لم يعر
وذلك لو لم يستعر جناحه لم يطر
فغالطى وكابرى وحوّرى وزوّرى

ويفتح حزب « الاتحاد الوطنى » مؤتمره الأول سنة ١٩٤٦ والجواهرى أحد مؤسسيه فيلقى قصيدة يبين لهم فيها ما ينتظرهم من إرهاب وسجون ومعتقلات وأن طريقهم مخوف كثير الرعب وأن عملاء الاستعمار الحاكمين سيحصون عليكم أنفاسكم ثم ستدخل بينكم تلك العناصر المريبة والمتخاذلة والمنتهزة وممن يقول ولا يفعل فطريقكم ليس بالطريق السهل فالمستعمرون وأهل الحل والعقد فى هذا البلد سيقفون من نشاطهم موقفاً فيه الحذر والحيطة فكأن الجواهرى يعلم بما سيقع ، على أعضاء الأحزاب والمنتسبين لها فكل ما قاله الجواهرى بل وأزيد مما قال قد وقع فسجن من سجن ونفى من نفى وأغلقت أخيراً الأحزاب وانتهى الحكم إلى دكتاتورية مقنعة بمجلس كفم الأخرس يفتح ويسد عن لا طائل .

ومن الجدير بالذكر أن حزب الاتحاد الوطنى وكان رئيس مكتبه السياسى الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم وقصيدة الجواهرى هذه تتضمن فكرة الحزب :

إلى المناضلين

أطلوا كما اتقد الكواكب ينور ما خبط الغيهب (١)
وسيرو وإن بعدتْ غاية وشقوا الطريق ولا تتعبوا
ومدوا سواعدكم إنها معين من الجهد لا ينضب

---

(١) ١٦٦ حـ٢ ديوان الجواهري .

وهاتوا قلوبكم أفرغت على نجدة الحق أو فاذهبوا
فما إن يليق بمجد النضال ضعيف على نصرة يغصب
وإن غداً باسما يجتلى بشق النفوس ولا يوهب

. . .

وإنى وإن كنت صنوَ الرَّجاء فى حومة اليأس لا أغلب
لا وعدكم من غد صادقاً ويسرف فى الوعد من يكذب
أمامكم موعر مَلقم بشتى المخاوف مستصعبُ
يسد مداخله أرقم وتحمى مسالكه أذؤب
وسوف يبين إذا ما انجلى غد من يجد ومن يلعب
فسوف يدوّر ساعاتكم بما لا يسركم عقرب
وسوف يخونكم خائف وسوف يساومكم «أشعب»
وسوف يزاملكم خطوة ويخذلكم خطوة متعب
وسوف يطول عناء الطريق عليكم فيعزب من يعزب
وسوف تضيق بكم دوركم وسوح السجون بكم ترحب
فقولوا لمن ظنَّ أن الكفاح غلة مزرعة : تكذب
وقولوا لمن ظنَّ أن الجموع مطايا تسخر : ياثعلب

. . .

تريدون أن تستقيم الأمور وأن يخلف الأخبث الأطيب
وأن تجمعوا الشمل من أمة يفرقها الجد والمذهب
وأن يأكل الثمر الزَّارعون وأن يأخذ الأرض من يدأب
تريدون أن يعرف الكادحون من العيش ما عنهم يحجب

تريدون أن تطعنوا فى الصميـ ـم الطباع وأن تضربوا
ومن دون ذلك أن تصطلوا سعير الحياة وأن تسغبوا

• • •

فلا تحسبوا أنكم فى الجهاد هواة يضمهم ملعب
وأن تحسبوا أن مستثمراً ظلوما لمصرعه يطرب
ولا تحسبوا أن مستعمراً يثار عليه ولا يغضب
ولا تحسبوا الأرض يهنا بها ذووها وبالدّم لا تخضب
ولا تحسبوا أنهم يظمأون وطوع أكفهم المشرب
وبشر بحلو الجنى كادحا على الجذر من شجر يضرب
ولا تهنوا إن هذى الأكف تملى على الدهر ما يكتب

• • •

أقام الشيخ (بلاسم الياسين) أحد رؤساء العشائر العراقية مدرسة فى بلده الحى (واسط) وأنفق على هذه المدرسة الثانوية مبالغ طائلة ، كما ألحق إليها ساحة واسعة وجهزها بمختبرات قيمة وشيد إلى جانبها دوراً للمدرسين وعوائلهم وهيأ لها موردا يضمن بقاءها واستمرارها ، ودعا الشيخ (بلاسم) والأدباء ومحررى الصحف وموظفى وزارة المعارف وعلى رأسهم رئيس الوزراء (صالح جبر) ليوم افتتاحها وذلك فى سنة ١٩٤٧ والتى الأستاذ الجواهرى قصيدته العصماء التى فاق بها على جميع من نظم فى المعلم والمدرسة .

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ الجواهرى أبى أن ينظم فى هذا الموضوع لولا الحاح الأستاذ صادق البصام ، كما أنى لا أعرف أن الجواهرى كوفىء بمبلغ من المال على نظم قصيدة قبل هذه القصيدة فقد دفع الشيخ بلاسم بعد مدة من إلقاء القصيدة صكا قيمته النقدية (٧٥٠) ديناراً على أن يطبع الجواهرى ديوانه بهذا الثمن .

(يا بنت رسطاليس)

قمْ حي هذى المنشأت معاهداً ... النّاهضات مع النجوم خوالدا(١)
الشامخات أنوفهنَّ إلى السّما ... والمطلعات لفرقدَين فراقدا
والفاتحات على الخلود نوافذا ... والمجريات مع الحياة روافدا
قمْ حيهنّ ببعث شعبٍ واثقاً ... وترضّهنّ بخلق جيلٍ جاهدا
جلّت بنىً تلد الرجال وقدستْ ... غرف تبوّأها الخلود مقاعدا
قمْ حيِّ هذى الموحيات صوامتاً ... واستنطق الحجر البليغ الجامدا
واخلعْ عليهنّ المواهب تجتلى ... لا النّثر لا الشعر المعاد قلائدا

. . .

يا بنت رسطاليس أمّك حرّة ... تلد البنين فرائداً وخرائداً
وأبوك يحتضن السرير يربّها ... ويقوتها قلباً وذهناً حاشداً
مشت القرون وما يزال كعهده ... فى أمس مشاءً يعود كما بدا
يستنزل الخطرات من عليائها ... عصماً ويدنى العالم المتباعدا
لم يقتنصْ جاها ولا سام النّهى ... ذلا ولا اتخذ الحرير وسائدا
جلَّ النّهى الفكر أعظم عصمة ... من أن يريد وصائفا وولائداً

. . .

يا بنت رسطاليس قصى نستمعْ ... عن عاشقيك أقاربا وأباعداً
عن واهبين حياتهم ما استعبدوا ... للشاكرين ولم يذموا الجاحداً
والصاعدين إلى المشانق مثلما ... ارتقت النسور إلى السماء صواعداً
ومحرقين يغازلون وقودها ... شوقا اليك ويحمدون الواقدا

---

(١) ٩١ح٢ ديوان الجواهرى مطبعة بغداد .

المسملات عيونهم وكأنّهم بطيوف شخصك يكحلون مراودا

. . .

إيه (بلا سم) والمفاخر جمّة أحرزت منهنّ الطّريف التالدا
أحرزت مجداً ليس ينفد ذكره طول المدى وبذلت كنزاً نافدا
خبّر فقد جبت الحياة رخية خضراء لم تكذب لعينك رائدا
وحبلت من غفلات دهرك شطره وقنصت من متع النّعيم الشّاردا
أعرفت كالاثر المخلّد لذّة جازت مخلدها فكان الخالدا
لله درّك من كريم أنعشت كفاه روحا من نبوغ هامدا
نفّقت من عذبات صبيان الحمى علقا بمنعرج الأزّقة كاسدا
قتل العقوق فكم قتلنا نابغا بين البيوت وكم وأدنا قائدا
أولاء حمدك عاقبا عن عاقب أتريد أحسن من أولئك حامدا
سيقول عنك الدهر ثمة ماجد في الرّافدين شأن الكريم الماجدا

. . .

هل غير آلاف تروح كما اغتدت بيدى سواك طرائقا وبدائدا
تغدو إلى مطمورة إن لم ترح للهو دورا والقمار موائدا
أحببتهنّ فكان عدلا شاهدا هذا الجهاد على سموّك شاهدا
وضممتهنّ لبعضهنّ مجهزا جيشا تردّ به الوباء الوافدا

. . .

لو جاز للحرّ السجود تعبّدا لوجدت عبدا للمعلم ساجدا
للمتعب المجهـــود فى يقظاته والمرتعى طيف المتاعب هاجدا
والمثخن المجهول لم ينشد يدا تأسو الجراح ولا تطلب ناشدا
والمستبيح عصارة من ذهنه يغدو الألوف بها ويحسب واجدا

قل للمعلم راجيا لا راشدا　　كن للشبية فى المزالق راشدا
يا خالق الأجيال أبدع خلقها　　وتوق بالإبداع جيلا ناقدا
سيقول عهد مقبل عن حاضر　　نشوى عليه لعنت عهدا بائدا

. . .

« اليأس المنشود »

دعا حزب الاتحاد الوطنى سنة ١٩٤٧ إلى اجتماع عام فى مقره لذكرى وعد « بلفور » المشوم ورجا من الأستاذ الجواهرى أن يعد قصيدة لهذه المناسبة وفى اليوم المعين خرج الجواهرى من الاجتماع مغضباً إذ لم يرقه تنظيم الاجتماع وترتيب الخطباء ، وأرسل القصيدة إلى مجلة (الكاتب المصرى) والتى يشرف على تحريرها الدكتور طه حسين فلم تنشرها المجلة .

وكان الجواهرى قد دافع عن طه حسين لإشرافه على المجلة بمقالين نشرهما فى جريدته (الرأى العام) بعد أن هاجمت الصحف العراقية هذه المجلة .

وأقام أخى حسن الدجيلى حفلة للاستاذ الجواهرى فى فندق «سميراميس» تكريماً له ، فألقى هـذه القصيدة ، ونشرتها مجلة « عالم الغد » وكتبت عن الجواهرى ما يجب أن يكتب عن شاعر عبقرى مثله ونددت بالدكتور طه حسين لعدم نشره هذه القصيدة فى المجـلة التى يشرف على تحريرها فـكان من الجواهرى أن رد بكلمة موجزة ، أبى أن يطعن طه حسين عن طريقه .

وحينما سافر الجواهرى إلى انكلترا مع الوفد الصحافى العراقى مرّ بالدكتور طه حسين بعد أن اعتزل هذا عن تحرير المجلة أكد للجواهرى بأنه الحّ على نشرها فلم تنشرها المجلة . وأرسلها الدكتورطه إلى الأهرام فأبت هذه أن تنشرها .

ردّوا إلى اليأس ما لم يتسع طمعاً … شر من الشر خوف منه أن تقعا(١)
شر من الأمل المكذوب بارقة … أن تحمل الهم والتأميل والهلعا
قالوا غد فوجدت اليوم يفضله … والصبر قالوا وكان الشهم من جزعا
ولم أجد كمجال الصبّر من وطن … يرتاده الجبن مصطافاً ومرتبعا
وإنّ من حسنات اليأس أنّ له … حداً إذا كل حد غيره قطعا
وأنّه مصحر الأرجاء لا كنفا … لمن يلصّ ولا ظلا لمن رتعا

* * *

وجدت أقتل ما عانت مصائرنا … وما التوى الشيب منه والشباب معا
إنا ركبنا إلى آمالنا أملا … رخواً إذا ما شددنا حبله انقطعا
نسومه الخسف أن يطوى مراحلة … وإن تشكى الحفا والأين والضلعا
هذا هو الأمل المزعوم فاقترعوا … واليأس أجدر لو أنصفت مقترعا
اليأس أطعم باشلاء مقصلة … عدلا وطوّح بالباستيل فاقتلعا
وطارق منه أعطى النصر كوكبة … نزرا وعدى إلى الأسبان فاندفعا

* * *

يا نادبين فلسطينا وعندهم … علم بأن القضاء الحتم قد وقعا
كم ذا تلحون أن تستوقدوا قبسا … من الرماد وممن مات مرتجعا
كفى بمن مات مما سميت أملا … من الحلول التي كيلت لكم خدعا
جيل تصرم مذ أبدى نواجذه … وعد (بلفور) فى تهويده قطعا
نما وشب بايدى القوم محتضنا … ومن ثدى النتاج المحض مرتضعا
والساهرون عليه كل منتخب … يبنى ويهدم إن أعطى وإن منعا
تهوى العروش على أقدامهم ضرعا … وتحتمى ساسة الدنيا بهم فزعا

---

(١) « ديوان الجواهرى مطبعة بغداد .

وعندنا ساسة سؤنالهم تبعا ذلا وساؤوا لنا فى الهدى متّبعا
من كل مرتخص إن عبست كرب أوكشرّ الخطب عن شدقيه فاتسعا
رَدَّ المصيبةَ بالمنديل مُفتخراً مثلَ الصَّبايا بأنَّ الجفنَ قد دمعا
أو عابث مِن فلسطينٍ ومحنتها التى مَعيناً فألقى الدَّلوَ وانتزعا
أو سارقٍ لا لقعر السّجن مرجعهُ لكن إلى الجاه وثاباً وَمُرتفعا

• • •

شدوا بذيل غرابٍ أمة ظلمتْ تطيرُ إن طار أوتهوى إذا وقعا(١)
وخوّفوها (بدبٍ) منه يأكلها فى حين تسعون عاماً تألف السبعا
وضيقوا أفق الدنيا بأعينها مما استجدوه من بغى وما ابتدعا
يا نادبين فلسطيناً صدعتكُمُ بالقول لا منكراً فضلا لكم صدعا
ولا جحوداً بأنَّ الليل يعقبه فجر تفجر منه الشمسُ مطلعا
ولست أنكر أن قد قاربتْ فرص وأوشكت مثقلات الدهر أن تضعا
لكن وجدت القوافى تشتكى عنتاً والمنبر الحرّ يشكو فرط ما افترعا

• • •

إن تحمدوا أو تذموا إن شافعتى أنى رأيت وما راء كمن سمعا
مررت بالقوم شذاذا فما وقعت عينى على مستمن غيره ضرعا
ولا بملتق وأهليـــه بقارعة ولا بحاملة فى الكور من رضعا
ولا بمن يحرس الناظور أرجلهم مهروءة سهلت للكلب منتزعا
وعندنا سلعة تصغى البنين لنا نغلى ونرخصها فى الأزمة السلعا

---

(١) هذا المقطع ينشر الجواهرى حين أعاد نشر هذه القصيدة فى جريدته لأنه قد رشح نفسه لأن يكون نائباً عن لواء كربلاء فى هذا الوقت . والمقصود (بالدب) روسيا . (وبالسبع) بريطانيا .

وجدتها عندهم زهوا منورا البيت والبحر والأسواق والبيعا
بينا تراقص بالانغام صاحبها إذا بها توسع الأنغام مزدرعا
ونحن ما نحن قطمان بمذأبة تساقطت فى يدى رعيانها قطعا
فى كل يوم زعيم لم نجد خبراً عنه ولم ندرِ كيف اختير واخترعا
أعطوهم ربهم فيما أعدّ لهم من الولائم صفوا فوقها المتعا
كاسين : كأساً لهم بالشهد مترعة وللجماهيرِ كاساً سُمها نقعا
قتّالة خوفَ ألا تستساغَ لهم أوصاهُمُ أن يسقوها لهم مُجرعا
وأن يصبوا عليها من وُعودِهِمُ — كالشعر مكتملا — سهلا وممتنعا

هذا جزء من شعر الجواهرى نختم به هذه المحاضرات ونرجو التوفيق :

عبد الكريم الدجيلي